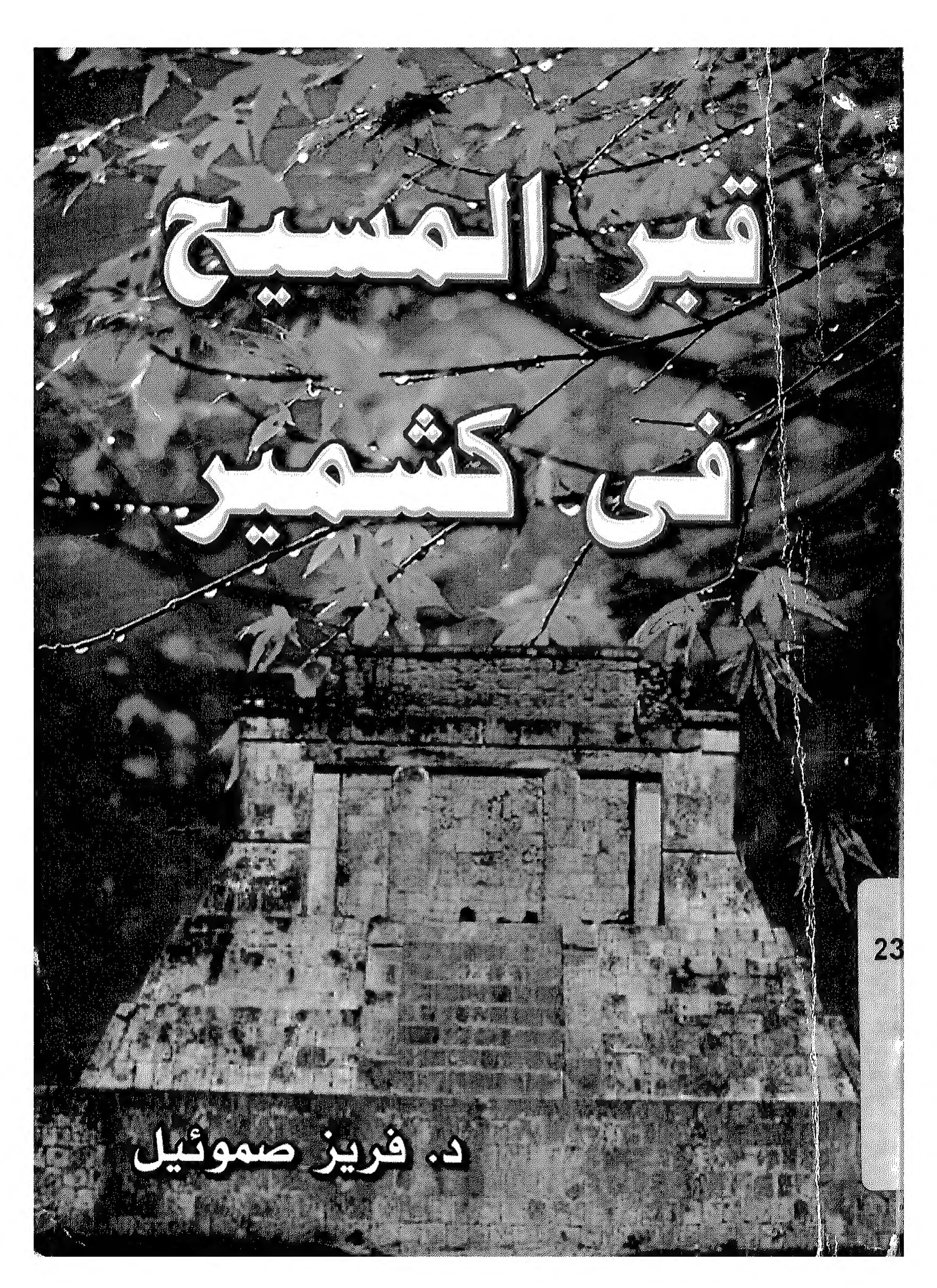

قبر المسيح
فى كشمير
د. فريز صموئيل

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور/ فريز صموئيل

القاهرة

قبر المسيح في كشمير

د. فريز صموئيل

المحتويات

الملاحق :

تقديم

لعل القارئ يشاركني ما أحسست به من دهشة واستثارة حين وقع بصري على عنوان هذا الكتاب: "قبر المسيح في كشمير"! وأوجه الإثارة في هذا العنوان كثيرة، فالمعروف عن السيد المسيح أنه ولد في فلسطين، وعاش حياته القصيرة كلها في فلسطين أيضاً عدا فترة قصيرة قضاها في مصر في طفولته المبكرة. لذلك يدهشنا أن يقال إن له قبراً في كشمير أو في غيرها!

أما وجه الإثارة الآخر فهو أن يكون الكاتب مسيحياً معروفاً ومرتبطاً بعقيدته الكتابية التي لم تعرف للمسيح قبراً غير ذلك القبر "الخالي"، والمنحوت في الصخر خارج أسوار مدينة أورشليم!

على أن الدهشة تتراجع مع الصفحات الأولى للكتاب، حين يأخذنا الكاتب في رحلة مباشرة إلى معتقد ديني آخر -ليس شائعاً في بلادنا- هو "القاديانية"، التي ابتدعها في القرن التاسع عشر رجل يدعى: "غلام ميرزا أحمد".

والموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب من الموضوعات المثيرة حقاً لما تتميز به القاديانية من خروج على الإيمانيات الراسخة في الديانات الكتابية من جانب، ولأنها -من الجانب الآخر- لم تنل اهتماماً جاداً لا من المتخصصين ولا من العامة.

والمعروف أن مناقشة العقائد الجارية بين قطاعات مختلفة من البشر تعتبر أمراً محفوفاً بالأشواك لما تكتسبه العقيدة -أية عقيدة- من قدسية خاصة لدى معتنقيها، خاصة حين يضفي عليها الزمن كثيراً من المشروعية التي تحول الأنظار عن مناقشتها أو تقويمها.

وبالرغم من ذلك، فإن الكتاب الذي بين أيدينا يقتحم أسفاراً مجهولة، يعرضها الكاتب عرضاً موضوعياً أميناً وجريئاً، فيأخذ بأيدينا لمعرفة القاديانية من خلال تاريخها، ونشأتها، وتطور عقيدتها، وتعارضها مع المعتقدات المسيحية والإسلامية على السواء. كما يناقش ادعاءات مؤسسها ومحاولاته الرامية إلى تأكيد فكره وذاتيته!

ويخصص الكاتب بعد ذلك الجزء الأكبر من بحثه لمناقشة افتراءات القاديانية على المضمون المسيحي، وإنكارها لكثير من الحقائق التي أقرت بها الديانات الكتابية وما اصطلح عليه المفسرون. وهي تعتمد في ذلك على تحريف المعاني الدينية والتاريخية الراسخة، وتستند إلى أحاديث ووثائق ضعيفة أو مجهولة أو مبهمة، وإلى استنتاجات وتعليلات واهية!

على أن الكتاب يتميز بخاصيتين قويتين هما: التوثيق بالمراجع الدقيقة، ثم الملاحق المفصلة والوافية.

ويتميز كاتبنا بقدرته على اقتحام المباحث الصعبة، معتمدا في ذلك على حصيلته المعرفية الواسعة، وقدرته على التنقيب العميق، ودوافعه العلمية الصادقة في استجلاء الحقائق.

ولعلنا جميعنا نعرف المؤلف من خلال إسهاماته البحثية المتلاحقة، ونعرف مدى حرصه على الدرس والبحث والتدقيق في استقصاء الحقائق، والاستناد إلى المعلومات الموثقة والمصداقيات الراسخة.

نرجو من الله أن يعوضه خيرا عن جهده، وإن يفيدنا من علمه.

الشيخ نعيم عاطف

مقدمة

منذ سنوات قرأت هذه العبارات للأستاذ عباس محمود العقاد، عندما كان يتحدث عن نهاية حياة المسيح على الأرض "ومن الأخبار التاريخية خبر لا يصح إغفاله في هذا الصدد لأنه محل نظر كبير، وهو خبر الضريح الذي يوجد في طريق خان يار بعاصمة كشمير ويسمونه ضريح النبي أو ضريح عيسى، وروى تاريخ الأعظمي الذي دون قبل مائتي سنة، أن الضريح لنبي اسمه "عوس آصاف" ويتناقل أهل كشمير عن آبائهم أنه قدم إلى هذه البلاد قبل ألفي سنة، وينقل المولوي محمد علي في ترجمته للقرآن الكريم عن كتاب عربي يُسمى "إكمال الدين"* محفوظ من ألف سنة،أن اسم "عوس آصاف" مذكور فيه وأنه قال عنه: رحالة ساح في بلاد كثيرة. وأن كتاب "برلام ويوشافاط" في ص١١١ يذكر عوس آصاف أنه صاحب بشرى. وأنهم يحفظون مثلاً من أمثاله في تعليمه يشبه مثل السيد المسيح عن الزارع والبذور* وقد أورد المولوي محمد علي هذا التعليق في

---

* "(إكمال) أو (كمال) الدين و(اتمام) أو (تمام) النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة". وهو من تأليف أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي – أشهر مؤلفي المائة الرابعة للهجرة . قدم من خرسان إلى بغداد سنة ٩٦٦م وتوفي بالري سنة ٩٩١م. وكتابه هذا يحتوي على نص قصة "برلام ويواساف" تاريخ الأدب العربي. كارل بركلمان تعريب د. عبد الحليم النجار. جـ ٣. ط ٤ سنة ١٩٧٧م. دار المعارف. ص٣٤٣، ٣٤٧.

* بخصوص هذا المثل انظر ملاحق الكتاب.

تفسير الآية الكريمة "وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربـــوة ذات قرار ومعين" وأورد تعليقاً يقرب منه في تفسير قوله تعالى " إني متوفيـــك ورافعك إليّ" وغيرها من الآيات التي تناولت حياة عيسى بـــن مريـــم"[١].

وعندما قرأت الفقرة السابقة ثارت في داخلي أسئلة عديدة، لم أستطع - في ذلك الوقت - أن أجد لها إجابة شافية، وعندما درست في كتاب ســـابق[٢] إدّعاء ذهاب المسيح إلى الهند في الفترة من الثانية عشرة إلى الثلاثين مـــن عمره، قادني البحث إلى الإدّعاء الثاني وهو ذهاب المسيح إلى الهند بعـــد الصلب ووجود قبره في سرنجار بكشمير، وعرفت أن هـــذا مـــا تدعيـــه الطائفة الأحمدية (القاديانية). وفي هذا الكتاب نبحث هذا الموضوع ونركـز بحثنا في بابين:

الباب الأول: القاديانية، نظرة تاريخية.

الباب الثاني: القاديانية وموقفها من المسيح.

وأرجو من الله أن أكون قد وفقت.

الباب الأول:

القاديانية: نظرة تاريخية

١

نبي كاذب

إن مبتدع هذا الإدعاء هو غلام ميزرا أحمد مؤسس الطائفة القاديانيــة نسبة إلى قاديان، والسبب الذي دعاه إلى ابتداع هذه المقولة هو إدعاؤه أنــه هو المسيح الموعود، الذي تحدث عنه القرآن والأحاديث النبوية. فحســـب الفكر الإسلامي، هناك إجماع على أن المسيح قد رُفع بالجســـد إلـــى السماء، وأنه سوف يأتي مرة ثانية قبل قيام الساعة. وحتى يستطيع غـــلام أحمد أن يطبق هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على نفسه، كـــان يجب أن يموت المسيح ويُدفن ويكون له قبر معروف وبـــهذا يســـتطيع أن يفسر عودة المسيح ثانية، بأنها عودة روحية، وليس مجيئاً حرفياً للمســـيح. وهكذا روج لمقولة، إن المسيح صُلب ولكنه لم يمت على الصليـــب، بـــل أغمي عليه فقط ودُفن ثم خرج من القبر بعد أن أفاق من إغمائه[1] وفر إلى الهند، وعاش هناك حتى بلغ ١٢٠ عاماً من عمره، ثم مات ودفن. وأعلـــن أن قبره موجود في سرنجار في كشمير.

وقد كتب الشيخ عبد الوهاب النجار: "يوجد رأي في في مسألة المسيح جاء به غلام أحمد القادياني، وهو من بلدة قاديان فـــي الـــهند. قـــال: إن المسيح أنجاه الله من كيد اليهود فذهب إلى بلاد الهند واســـتقر فـــي بلـــدة كشمير في شمال الهند بسفح جبال همالايا، وأقام هناك إلى أن وفاه أجلـــه ودُفن في تلك البلاد بقرب بلدة سرنجار وله قبر معـــروف. هـــذا الرجـــل أدعى أنه المسيح الموعود بمجيئه. ولكن كيف يكون هو المســـيح، وهـــو معروف بأنه غلام أحمد القادياني، معروف النســـب ومعـــروف الأســـرة؟ فذهب إلى تأويل الأمر، على أن المسيح مات ولا يمكن أن يـــأتي، ولمـــا

كانت الأحاديث دالة على أنه سيأتي في آخر الزمان. قال: أنا المسيح بمعنى أني آت بهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة... وفي رأيي أن دعواه مجئ المسيح إلى الهند أمر يحتاج إلى بحث واف وتحقيق دقيق، ولا يمكن تصديقه إلا بظهور الأمر ظهوراً بيناً وثبوته ثبوتاً قاطعاً لكل شبهة، ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئاً، لأننا إذا تمشينا مع الأحاديث وجدنا فيها علامات منها أنه يقتل الدجال.. وهذا لم يحصل من ذلك الرجل" (٢)

فمن هو هذا الغلام؟

غلام ميرزا أحمد، وُلد في قرية قاديان في أقليم البنجاب، سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠م وإلى قاديان نُسب مذهبه، فدعي القاديانية أو الأحمدية، نسبة إليه هو. بعد وفاة الغلام أحمد تولى الخلافة أستاذه الحكيم نور الدين، ثم تنازعها بعد وفاته بشير الدين محمود (نجل الغلام)، والمولوى محمد علي، الذي قاد جناح المعارضة، وقد بايعته الأغلبية وانتقل إلى لاهور. وهناك أسس الشعبة اللاهورية. وبعد انقسام الهند تركوا الهند إلى باكستان، لأن قاديان مسقط رأس الغلام وقعت فى حدود باكستان، لذلك أمر بشير الدين أتباعه بتركها والذهاب إلى باكستان، حيث أسس مدينة جديدة أسماها "الربوة" وأدّعى أنها هي التي ورد ذكرها في القرآن "كمثل جنة بربوة" البقرة ٢٦٥، و"إلى ربوة ذات قرار معين" المؤمنون ٥٠.

وفي عامي ١٩٣٩/١٩٤٠م حاولت جماعة لاهور أن تنال تأييد الجامع الأزهر لدعوتها فبعثت بطالبين وألحقتهما بكلية أصول الدين، وحاول هذان الطالبان نشر كتابين باسميهما تحت ستار الإسلام، أحدهما سمياه "تعاليم أحمدية" والثاني "الأحمدية كما عرفتها". وهذان الكتابان كانا بداية نشر

تعاليم القاديانية في مصر. فلما علم شيخ الجامع الأزهر بأمر هذين الطالبين شكل لهما لجنة للتحقيق معهما والتحقق من مذهبهما وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين وقتها. وكتبت اللجنة في قراراتها".. إن القاديانيين كافرون"، وفُصل الطالبان من الكلية واعتبرا ملحدين. ونشرت عنهما الصحف المصرية. ومن هنا استمر استبعاد القاديانيين من الدراسة في الأزهر.[٣]

مختصر العقيدة القاديانية[٤]

يعتقد القاديانيون:

١ – أن لهم إلهاً يتصف بصفات البشر.

٢ – أن الأنبياء والرسل يبعثون إلى يوم القيامة.

٣ – أن غلام أحمد نبي الله ورسوله والمسيح الموعود.

٤ – أن غلام أحمد يُوحي إليه عن طريق الملاك جبرائيل.

٥ – أنهم أصحاب دين جديد منفصل عن الأديان كلها، وأن لهم شريعة جديدة.

٦ – أنهم أمة جديدة ولها كتاب مُنزل اسمه "الكتاب المبين".

٧ – إلغاء عقيدة الجهاد.

٨ – أن كل إنسان كافر حتى يدخل القاديانية.

٩ – حجهم هو حضور المؤتمرالسنوي في قاديان التي لها مكانة مكة، بل هي أفضل منها.

ادّعاء غلام أحمد النبوة:

مر هذا الادعاء بمراحل ثلاث:

١ - **المرحلة الأولى**: بدأ الغلام دعوته بأنه مجدد، وأن العناية الإلهية، قد اختارته ليجدد للأمة أمور دينها، ولم لا أوليست الأمة كلها تعتقد أن الله يبعث على كل رأس قرن من يجدد لها دينها[٥]

وفي هذه المرحلة نفى أنه نبي، وقال: :إني ما أدعيت النبوة قط، ولا قلت لهم إني نبي، ولكنهم تعجلوا وأخطأوا فهم قولي.. وإني ما قلت للناس سوى ما كتبت في كتبي أي أني محدث وأن الله يكلمني كما يكلم المحدثين[٦]. وقال: "لا نقول بوحي النبوة، ولكن نقول بوحي الولاية الذي يتلقاه الأولياء.. وبالجملة ليست هنا أيضاً دعوى النبوة وإنما دعوة الولاية والتجديد[٧]

٢ - **المرحلة الثانية**: ادعاؤه أنه المسيح الموعود

في المرحلة الأولى من أطوار دعوته كان الغلام أحمد يؤمن أن عيسى قد رفع إلى السماء حياً، وأن رفعه إلى السماء وعودته مرة أخرى لا تقتصر شواهده على ما ذكره الإنجيل، إنما قام على ذلك في الإسلام شواهد أقواها وأهمها عنده التواتر، وهو أن الأمة الإسلامية قد تناقلت هذه العقيدة جماعة عن جماعة إلى النبي، ولكنه عاد وناقض نفسه قائلاً: فمن سوء الأدب إن يقال أن عيسى ما مات.. بل هو توفى كمثل إخوته، ومات كمثل أهل زمانه، وأن عقيدة رفعه قد جاءت في المسلمين من الملة النصرانية[٨].

وفي أخر المرحلة الأولى جاءت إلى الغلام رسالة من صديق عمره الحكيم نور الدين يعرض عليه فيها أن يدعى أنه المسيح الموعود، وأنه لو

فعل ذلك لاستقبله الناس بالتجلة والإكبار وأن الأحاديث الواردة في عيسى ورفعه ونزوله من السماء، بل والآيات القرآنية يمكن تأويلها بما يناسب دعوته. وقد انزعج الغلام انزعاجاً شديداً من هذا العرض وأدرك أنه ربما يعجل بسمعته، بل ربما يؤدي بحياته كلها، وأنه من الأفضل له أن يؤثر السلامة وأنه يكفيه من الناس ثقتهم به على أنه ولي مجدد مُلهم من ربه. ولقد عبر الغلام عن خلجات نفسه، ومكنون صدره في رسالته التي بعث بها إلى الحكيم نور الدين، والتي أسماها "الخالدة" وقال فيها: "لقد تساءل الأستاذ الكريم ما المانع من أن يدّعي هذا العاجز أنه مثيل المسيح وينحني في مصداق الحديث الذي جاء فيه أن المسيح ينزل في دمشق، وأي خطر في ذلك؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة أن يكون مثيل المسيح، أن همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين". ولكن نتيجة لخياله المريض وأحلامه الجامحة ودهاء الحكيم نور الدين، وتشجيع الإنجليز، أعلن أنه المسيح الموعود الذي بعثه الله من جديد" [٩].

وفي البداية قال: إنه مثيل المسيح، وأنه لا مانع أن يأتي بعده عشرات المسحاء " أنا أدعيت أني مثيل المسيح، لا المسيح الموعود كما ظن السفهاء... أنا لا أدعي قطعاً بأني المسيح بن مريم، بل الذي يقول هذا عني هو مفتر كذاب ودعواى أني مثيل المسيح تعني أن فيّ بعض خصال المسيح الروحانية وعاداته وأخلاقه التي أودعها الله في خُلقي" وأكد هذا بالقول: :أنا ما أدعيت بأني أنا المسيح الموعود، ولا يكون بعدى مسيح آخر بل أعتقد وأكرر هذا القول بأنه من الممكن أن يجئ بعدي لا المسيح الواحد بل عشرات آلاف"[١٠]، ثم بعد ذلك قال إنه المسيح الموعود "أقسم بالله الذي أرسلني والذي لا يفترى عليه إلا الملعونون، أنه أرسلني مسيحاً موعوداً" [١١]

وقال إن "دعواى أني أنا هو المسيح الموعود الذي أُخبر عنه في جميع الكتب المقدسة بأنه سيظهر أخر الزمان"[١٢]. وأعلن: "أن الله بعث من هذه الأمة المسيح الموعود الذي هو أعلى شأناً من المسيح السابق وسمي هذا المسيح غلام أحمد"[١٣] وقد كرر هذا الإدعاء كثيراً جداً في كتبه وخطبه ونكتفي بما سبق.

٣ – المرحلة الثالثة: ادعاء النبوة:

قبل سنة ١٩٠٠م أنكر الغلام أنه نبي إنكاراً تاماً، ففي سنة ١٨٩٢م كتب: "إني التمس من جميع المسلمين، أن الكلمات التي وردت في كتب هذا العاجز (كفتح الإسلام، وتوضيح المرام، وإزالة الأوهام)، مثل: المحدث نبي ببعض معانيه، أو المحدثية نبوة ناقصة أو المحدثية نبوة جزئية، فليست هذه الكلمات بمحمولة على معانيها الأصلية، بل استعملت بسذاجة على وجوهها اللغوية، واني لا أدعي النبوة الحقيقة أبداً.. لهم أن يفهموا كلمة "المحدث" مكان النبي في كل موضع.. وليصوروها –أي كلمة النبي– منسوخة"[١٤]

وقال: "لا شك أن الإلهام الذي أنزله الله على هذا العبد قد استعملت فيه بكثرة كلمات النبي، والرسول، والمرسل بالنسبة لهذا العاجز، فليست هي بمحمولة على معانيها الأصلية... ولكن الله إذا شاء خاطب أحداً بكلمة النبي أو الرسول بمقتضى المعاني المجازية"[١٥]

ونفى أن تكون النبوة والرسالة بالمعنى الحقيقي "إنه وإن كان ألهم العاجز بالتواترخلال العشرين سنة الماضية، وقد وردت في هذا الإلهام

كلمات الرسول أو النبي ولكنه يخطئ من يظن أن المراد بهذه النبوة والرسالة، النبوة والرسالة الحقيقيتين".(١٦)

وأوضح أن المحدث أيضاً نبي ببعض معانيه، وإن لم تكن له النبوة التامة ولكنه نبي بصفة جزئية لأنه مُشرف بكلام الله، وهو يطلع على الأمور الغيبية ويُحفظ وحيه أيضاً كوحي الأنبياء من تدخل الشيطان" (١٧) وصرح أن استعمال كلمة النبي على غير معناها الحقيقي لا يستلزم الكفر "إن هذا العاجز ما إدعى النبوة أو الرسالة الحقيقية في حياته، ولا يستلزم الكفر أن يستعمل المرء كلمة على وجه غير حقيقي، ويستعملها مع الناس على معناها الشامل من جهة اللغة" (١٨)

وفي سنة ١٩٠٠م بدأ أصحابه المقربون منه يتحدثون عنه باعتبار أنه نبي هذه الأمة الجديد الذي اصطفاه الله محل وحيه ورسالته، كما جاء في خطبة الجمعة في ٨/٧/ ١٩٠٠م للمولوي عبد الكريم، أمام مسجد دلهي وأحد أتباع الغلام. وفسرت النبوة في هذه المرحلة على أنها نبوة ناقصة أو نبوة ظلية، فقد قال بشير الدين محمود: "إذا قيل إنه نبي فإنما نبوة جزئية أو نبوة ناقصة"(١٩)

وفي سنة ١٩٠١م أعلن الغلام أنه نبي مثل سائر الأنبياء، وأنه يوحى إليه، وملك الوحي هو جبرائيل، وقد كثرت أقواله التي تؤيد وتؤكد نبوته مثل "هو الإله الحق الذي أرسل رسولاً في قاديان" (٢٠)

"أنا رسول ونبي، أي أنني باعتبار الظلية الكاملة مرآة فيها انعكاس كامل للصورة المحمدية والنبوة المحمدية" (٢١)

" والذي نفسي بيده أنه أرسلني وسماني نبياً" (٢٢)

وأعلن "أن زهاء مائة وخمسين بشارة من الله وجدتها صادقة إلى وقتنا هذا، فلماذا أنكر اسمي نبياً ورسولاً، وبما أن الله هو الذي سماني بهذه الأسماء فلماذا أنكرها أو لماذا أخاف غيره؟" (٢٣)

وقد حاول أن يرد على التعارض في أقواله "قبل بضع أيام اعترض مخالف على رجل من أتباعي بأن الذي بايعته يدعي أنه نبي ورسول، فأجابه بالنفي المحض، مع أن هذا الجواب غير صحيح، والحق أن وحي الله الطاهر الذي ينزل عليّ جاء فيه لفظ رسول ومرسل ونبي، وليس مرة واحدة بل مئات المرات. فكيف يصح هذا الجواب"(٢٤).

٢

القاديانية والإسلام

القاديانية نحلة منشقة على الإسلام، ويرى د. عوف أنها "نحلة اتسمت بالكفر، ولكنها أخفت حقيقتها، وظهرت ببدع لم تكن ضمن أفكار المسلمين، فلطخت بها تاريخها وهذه البدع لفظها العلماء والمفكرون المسلمون، وانصاع لها الدهماء وطلاب المنافع منساقين في تيارها ومضلين ببريقها، بدأت هذه الفرقة تستقطب حولها كل من ضعف إيمانه ووهنت عقيدته وأخذ دعاة القاديانية يبثون فيهم آراءهم وينفثون في نفوسهم أفكارهم البراقة والخادعة"[٢٥]

بل أن الأمة الإسلامية قد أجمعت على أن الذين يتبعون ميزرا غلام أحمد –سواء أكانوا يؤمنون بنبوته أم أكانوا يعتبرونه مصلحاً أو زعيماً دينياً في أي صورة من الصور– خارجون عن دائرة الإسلام[٢٦]

بعض الامور التي خالفت فيها القاديانية الإسلام:

١ – إدعاء النبوة:

حسب المفهوم الإسلامي، أنه لا نبوة بعد محمد، ففي القرآن محمد هو خاتم الأنبياء "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" الأحزاب ٤٠.

وفي الأحاديث النبوية نجد:

– قال محمد: "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي" رواه الترمذي.

– وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي، خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي" صحيح البخاري.

- قال محمد: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله" صحيح البخاري وصحيح مسلم.

- "إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي" صحيح مسلم.

وهناك تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع، ليس مكانها هنا ، فليرجع إليها من يريد الاستزادة.

٢ - إدعاء أنه المسيح الموعود:

كان الغلام في المرحلة الأولى يدّعي أنه مجدد ومحدث، وأن المسيح رُفع إلى السماء وسيأتي ثانية، ثم في المرحلة الثانية ادعى أنه المسيح الموعود، "ولما سأله رجل: ما هذا التناقض الذي نراه في عباراتك، فحيناً تكتب عن نفسك أنك لست نبياً وحيناً تعتبر أنك أعلى شأناً من المسيح الموعود؟ فأجابه قائلاً: أعلم أن هذا التناقض هو مثل ما كنت كتبت في (براهين أحمدية) أن المسيح بن مريم ينزل من السماء، إلا أنني كتبت فيما بعد أن المسيح الموعود هو أنا فلم يكن سبب هذا التناقض إلا أن الله سماني عيسي في (براهين أحمدية). وقال لي: " إن الله ورسوله قد أخبرا بمجيئك، ولكن لما كانت جماعة من المسلمين تعتقد كما كنت أعتقد أن سيدنا عيسى ينزل من السماء، أحببت أن لا أحمل وحي الله على ظاهره، بل أوّلته وجعلت اعتقادي كعامة المسلمين ونشرته في (براهين أحمدية)، ولكن سرعان ما نزل عليّ الوحي كالمطر الغزير في هذا الصدد أن المسيح الموعود هو أنت نفسك، وظهرت معه مئات الآيات، وصدقتني السماء والأرض، وأخبرتني آيات الله البينات على أنني هو المسيح الموعود في آخر الزمان، وأن اعتقادي سابقاً هو ما كتبته في (براهين أحمدية)"[٢٧]

وقد أكد هذا الكلام مرة أخرى محدداً مدة غفلته "بقيت إلى اثنتي عشر سنة غافلاً كل الغفلة عن أن الله قد خاطبني بالمسيح الموعود بكل إصرار وشدة في (البراهين الأحمدية) وما زلت على عقيدة نزول عيسى العامة، ولكن لما انقضت اثنتا عشر سنة آن أن تتكشف عليّ العقيدة الثانية فتواتر عليّ الإلهام أنك أنت المسيح الموعود"[٢٨]. وهو بهذا الإدعاء خالف شبه إجماع إسلامي، وعقيدة ثابتة في القرآن والأحاديث "فلقد ثبت قطعياً في ضوء الكتاب والسنة وإجماع الأمة وضوء عقائد ميرزا غلام أحمد وأحواله الشخصية أن الميرزا ليس هو المسيح الذي وُعد به عند قرب الساعة، وأن الاعتراف بكونه المسيح الموعود تكذيب للقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة، والذين يعتبرون الميرزا المسيح الموعود فهم كفار وخارجون عن دائرة الإسلام". [٢٩]

٣ - إلغاء الشريعة:

لقد نادى الغلام بإلغاء شريعة الجهاد. ويرى د. طه الدسوقي "كانت مهمة المتنبى الجديد الذي صنعه الإنجليز في الهند أن يقوم بزعزعة هذا التشريع وإضعافه، فإذا كان تشريع الجهاد قد ارتبط بعقيدة دينية، فإن من الممكن في تصور الحكومة الإنجليزية أن تتبدل هذه العقيدة على أساس ديني أيضاً.. ولذلك كان القرار أن يقوم غلام أحمد القادياني بإعلان أن الله قد أوحى إليه باعتبار أنه نبي هذه الأمة الجديد بالغاء فكرة الجهاد"[٣٠]

وقد كتب الغلام "اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويُسمي نفسه غازياً، يكون مخالفاً لرسول الله، الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرناً بالغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود وأنا المسيح الموعود ولا جهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان"[٣١]

وهاجم عقيدة الجهاد قائلاً: "إن هذه الفرقة -القاديانية- لا تزال تجتهد ليلاً ونهاراً لقمع العقيدة النجسة، عقيدة الجهاد من قلوب الناس"(٣٢)

ودعا إلى ترك الجهاد: "اتركوا الآن فكرة الجهاد، لأن القتال قد حُرم وجاء الأمام والمسيح ونزل نور من السماء. فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله هو عدو الله ومنكر النبي"(٣٣). وقال: "لا يوجد في هذه الفرقة -القاديانية- جهاد بالسيف ولا ينتظر له، بل هذه الفرقة المباركة لا تجيز تعليم الجهاد سراً ولا علانية، وهي ترى أن الحروب لنشر الدين محرمة قطعاً" (٣٤)

يقول د. عوف: "لقد ألغى شريعة الجهاد، لأن وجوده يعتمد على وجود الاحتلال البريطاني". وقد كتب الغلام في (نور الحق) "ولا يجوز لمسلم أن يقاتل ضد هذه الحكومة مهما كان"، وقال: في (تبليغ الرسالة) "إني من أول عهد عمري إلى هذا الوقت وهو قرابة ستين عاماً اشتغل في هذا الأمر المهم بلساني وقلمي لأجذب قلوب المسلمين نحو الحكومة البريطانية العظمى، كما أبذر في قلوبهم بذور الحب الصادق والصداقة المباركة، كما أبعد وأزيل من قلوب بعض الذين لا يعقلون عقيدة الجهاد الخاطئة، التي تعكر من الصفاء وتضع العقبات في سبيل العلاقات البرئية والاخلاص مع الحكومة البريطانية"(٣٥)

وبالغائه شريعة الجهاد يكون قد خالف كثيراً من النصوص القرآنية التي تحض على الجهاد في سبيل الله مثل: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " البقرة ١٩٣ وأيضاً خالف الأحاديث النبوية مثل: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" رواه مسلم

٤ - إلغاء فريضة الحج:

يضع القاديانيون مدينة القاديان في مرتبة واحدة مع المدينة المنورة، ومكة المكرمة، بل يرون أنها أفضل وأن أرضها أرض حرام وتقام فيها

شعائر الله. وقد أعلن الخليفة الثاني (نجل الغلام): "أقول لكم صدقـاً أن الله أخبرني بأن أرض قاديان ذات بركة، وتنزل فيها نفس البركات التي تـنزل في مكة المكرمة والمدينة المنورة"(٣٦)

ومن معتقداتهم أن الحج هو الحضور السنوي في قاديان، يقول الغلام: "إن مؤتمرنا السنوي هو الحج، وأن الله لختار المقام لهذا الحج القاديان"(٣٧)

ويرى أحد أتباعه: "الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان هو حج جاف خشيب، لأن الحج إلى مكة لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه"(٣٨)

وهو بهذا قد خالف العقيدة الإسلامية في أحد أركانـها الخمسـة. وخالف النصوص القرآنية: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" آل عمران٩٧. وأيضاً "وأتموا الحج والعمرة لله" البقـرة ١٩٦، وأيضاً "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق" الحج ٢٧

يضاف إلى هذا الأحاديث النبوية الكثيرة التي تتحدث عن ضرورة الحج وفوائده.

موقف القاديانية من المسلمين:

١ - تكفيرهم للمسلمين: لقد كفر القاديانيون المسلمين لأنـهم لم يؤمنوا بنبوة الغلام، حسبما علّم بذلك الغلام وخلفاؤه من بعـده، فقد صرح الغلام أحمد بأن: "الذي لايؤمن بي لا يؤمن بالله ورسـوله"(٣٩) وأعلنها خليفته الميرزا بشير الدين "إن جميـع المسـلمين الذيـن لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خـارجون عن دائـرة الإسلام"(٤٠) وقال أيضاً: "لقيني رجل في لكنهو وسأل بأنه قد اشتهر في الناس بأنكم تكفرون المسلمين الذين لم يعتنقوا القاديانيـة، فـهل هـذا صحيح؟ فقلت له: نعم، لا شك بأننا نكفرهم"(٤١)

وهم يكفرون المسلمين ليس فقط بسبب عدم الإيمان بنبوة الغلام، فقد نُشرت لخليفة الغلام في جريدة الفضل في ٢١/ ٨/ ١٩٢٧م مقالة بعنوان: "نصائح للطلاب" جاء فيها: "قد قال المسيح للموعود، إن إسلامهم أي المسلمين- غير إسلامنا وإلههم غير إلهنا وحجهم غير حجنا، وهكذا نخالفهم في كل شئ"[٤٢]. وجاء في نفس الجريدة في ٣٠/٧/ ١٩٣١م "من الخطأ الظن بأننا لا نخالف المسلمين إلا في مسألة وفاة المسيح، أو غيرها من المسائل الأخرى بل أننا نخالفهم في ذات الله وفي الرسول والقرآن والصلاة والحج والزكاة" [٤٣] ونتيجة لهذا التفكير أمر الغلام وخلفاؤه أتباعهم بما يلي:

أ- عدم الصلاة خلف غير الأحمديين:

قال الغلام: "إن المكفرين ومن يختار طريق التكذيب قوم هالكون، فلا يستحقون أن يصلي خلفهم أحد من جماعتي، وهل يصلي الحي وراء الميت؟ فأعلموا أنه حرام عليكم قطعياً، كما أخبرني الله أن تصلوا خلف كل مكفر أو مكذب أو متردد، وليكن أمامكم منكم وإلى هذا جاءت الإشارة في حديث البخاري "أمامكم منكم" أي عندما ينزل المسيح فعليكم أن تفارقوا جميع الفرق التي تدعي الإسلام"[٤٤]. وأعلن أن هذا حكم الله "هذا هو مذهبي المعروف: أنه لا يجوز لكم أن تصلوا خلف غير القاديانيين مهما يكن ومن يكن، ومهما يمدحه الناس، فهذا حكم الله وهذا ما يريده الله"[٤٥]. وقال خليفته الثاني: "لا يجوز لأحد أن يصلي خلف غير القادياني والناس يكررون هذا السؤال، هل تجوز الصلاة خلفهم أم لا؟ فأقول وأقول: مهما تسألوني أنه لا يجوز للقادياني أن يصلي خلف غير القادياني"[٤٦]

ب – منع الأحمديات من الزواج بغير الأحمديين:

قال الميرزا محمود: "لا يجوز لأي قادياني أن ينكح ابنته من غير القادياني، لأن هذا أمر من المسيح الموعود، أمر مؤكد"[٤٧]. بل أن هذا

يؤدي إلى الخروج من الجماعة: "من ينكح ابنته من غير القادياني فهو خارج من جماعتنا مهما يدعي القاديانية، وأيضاً لا ينبغي لأحد من أتباعنا أن يشترك في مثل هذه الحفلات"[٤٨]

وقال ميرزا بشير الدين: "إن حضرة المسيح الموعود قد غضب غضباً شديداً على أحمدي أراد أن يزوج ابنته غير أحمدي، وقد سأله الرجل مراراً وقدم إليه أعذاراً ولكنه أجابه قائلاً: أبق ابنتك عندك ولا تزوجها غير أحمدي، فزوجها الرجل غير أحمدي بعد وفاته، فعزله الخليفة الأول عن إمامة الأحمديين وأخرجه من الجماعة ولم يقبل توبته مدة خلافته ستة سنوات مع أنه تاب مراراً، والآن قبلت توبته بعدما جربت عليه صدقاً"[٤٩] ثم قال: ليس من عادتي إخراج أحد من الجماعة ولكن من يخالف هذا الحكم اطرده من الجماعة[٥٠]

جـ - عدم الصلاة على موتى غير الأحمديين

قال الخليفة الثاني: "لا تشاركوا المسلمين في حفلات الزواج ولا غيرها، ولا تصلوا على جنائزهم، لأنه ليس لنا أي علاقة بهم، وبعد أن قطعت الروابط والصلات ولم يعد يهمنا ما يهمهم، فمن أين لنا أن نصلي على أمواتهم"[٥١]

والغلام نفسه لم يصل على ابنه الحقيقي، لأنه لم يؤمن به ومات على حالة الإسلام[٥٢]. "وتمسكاً بهذه العقيدة وامتثالا لحكمها، لم يشارك محمد ظفر الله خان وزير خارجية باكستان -في ذلك الوقت- في صلاة الجنازة على مؤسس باكستان محمد جناح، وعندما سُئل لماذا لم تصل على مؤسس باكستان؟ أجاب قائلاً: إما تعتبروني وزيراً مسلماً للدولة الكافرة، أو موظفاً كافراً للحكومة المسلمة"[٥٣]

وكتبت إحدى الصحف: "يتعجب بعض الناس من صنيع ظفر الله خان هذا، ولكن الحق أنه لا مجال فيه للتعجب، لأن الذي فعله كان نتيجة حتمية

للدين الذي اختاره، وأن دينه ومذهبه وعقائده وأفكاره وأمته، كل ذلـــك لا يختلف عن المسلمين فحسب، بل يضادهم. فكيف كان له أن يصلي علـــى القائد الأعظم صلاة الجنازة"(٥٤)

موقف المسلمين من القاديانية(٥٥)

يرى د. محمد أقبال: "إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام ولــه طــابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة، ويعلن كفر جميع المســلمين الذيــن لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة يجب أن ينظر إليهم المسلمون كخطر جدي على سلامة الإسلام"

نتيجة لمخالفة القاديانية للعقيدة الإسلامية، وتكفير القاديانيين للمســلمين صدرت الفتاوى باعتبار القاديانية فئة ضالة خارجة عن دائرة الإسلام، وتم اعتبارها أقلية كافرة غير مسلمة.

– ففي رجب سنة ١٣٦٣ هـ اجتمع علماء جميع الفرق الإسلامية في شبه القارة الهندية ونشروا "فتوى تكفير قاديان". وقد أجمع علمــاء الفــرق والمراكز الدينية على تكفير القاديانيين واخراجهم مــن دائــرة الإســلام، ونشرت "مؤسسة مكة للطباعة والإعلام" فتاوى علماء الحرمين الشــريفين وبلاد الشام" وجاء فيها "لا شك أن أذنابه الغلام أحمــد– مــن القاديانيــة واللاهورية كلهم كافرون".

– وفي سنة ١٩٥٣م انعقد مؤتمر كبار العلماء المندوبين عــن جميــع الفرق الاسلامية للبحث في دستور باكســتان وكــان ضمــن التعديــلات المقترحة اعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

– وفي أبريل سنة ١٩٧٤ م انعقد مؤتمر كبير فــي مكــة وحضــره مندوبو ١٤٤ جمعية إسلامية، وهذا نص القرار الذي اتخــذوه "القاديانيــة

نحلة هدامة تتخذ من اسم الإسلام شعاراً لستر أغراضها الخبيثة، وأبرز مخالفتهم للإسلام إدعاء زعيمها النبوة، وتحريف النصوص القرآنية، وإبطالهم للجهاد. القاديانية ربيبة الاستعمار البريطاني ولا تظهر إلا في ظل حمايته، تخون القاديانية قضايا الأمة الإسلامية، وتقف مواليه للاستعمار والصهيونية، تتعاون مع القوى المناهضة للإسلام، وتتخذ من هذه القوى واجهة لتحطيم العقيدة الإسلامية وتحرفها". ولمقاومة خطرها قرر المؤتمر:

١ – قيام كل هيئة إسلامية بحصر النشاط القادياني في معابدهم ومدارسهم وملاجئهم وكل الأمكنة التي يمارسون فيها نشاطهم الهدام في منطقتها، وكشف القاديانيين والتعريف بهم للعالم الإسلامي تفادياً للوقوع في حبائلهم.

٢ – إعلان كفر هذه الطائفة وخروجها على الإسلام.

٣ – عدم التعامل مع القاديانيين أو الأحمديين، ومقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعدم التزاوج منهم، وعدم دفنهم في مقابر المسلمين باعتبارهم كفاراً.

٤ – مطالبة الحكومات الإسلامية بمنع كل نشاط لأتباع ميرزا أحمد مدعي النبوة واعتبارهم أقلية غير مسلمة، ويمنعون من تولي الوظائف الحساسة للدولة.

٥ – نشر مصورات لكل التحريفات القاديانية في القرآن الكريم، مع حصر الترجمات القاديانية لمعاني القرآن والتنبيه عليها ومنع تداولها[*]

---

[*] في سنة ١٩٢٥ صدرت فتوى من مشيخة الأزهر إلى الجمارك بمنع دخول ترجمة معاني القرآن لمحمد علي اللاهوري، بل طالبت بإحراقها. جريدة الأخبار في ١٦/٤/١٩٢٥. "دراسة حول ترجمة القرآن". ص١٤

وفي ١٩٧٨/٧/١٥ م "استعرض مجلس المجمع الفقهي المنعقد بمكة المكرمة، موضوع القاديانية التي ظهرت في الهند، والتي تُسمي أيضاً بالأحمدية.. وقرر المجلس بالإجماع اعتبارها عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً، وأن معتنقيها كفار مرتدون عن الإسلام، وإن تظاهر أهلها بالإسلام، إنما هو للتضليل والخداع، ويعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات وعلماء وكتّاب ومفكرين ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم وبالله التوفيق"(٥٦)

ونختم بهذا الحكم: "قضت إحدى المحاكم الأردنية بارتداد الصحفي إبراهيم أبو ناب عن الإسلام، وقررت التفريق بينه وبين زوجته وطلاقها منه، وفصله عن أولاده، ومنعه من الكتابة. كان عدد من الأصوليين قد أتهموا الصحفي الأردني بأنه من أتباع مذهب القاديانية، الذي يدعى أنه دين سماوي وأن نبيه اسمه غلام ميرزا. وذلك أول حكم من نوعه يصدر في الأردن"(٥٧)

وفي خطاب أرسلته توجان فيصل* من عمان (الأردن) إلى الدكتور نصر حامد أبو زيد، ذكرت فيه هذه العبارة: "أما ضحيتهم الثانية، وهو الكاتب الصحفي إبراهيم أبو ناب، فقد استرسلوا في أهانته بعد الاستتابة واسمعوا أسرته، بحضور أبنائه الشباب أيضاً، ذات التهم -أن حياتهم الزوجية زنا وأن أبناءه أبناء حرام- وزادوا على هذا بأن أرسلوه وزوجته مخفورين بالشرطة من المحكمة الشرعية إلى مكتب المحافظ ليضمن لهم ألا يعودوا إلى ذات المنزل وذات الفراش بعد أن طلقوهما.. أن السيد أبو ناب أصيب بنوبة قلبية في مكتب المحافظ وبعد عام قضى في نوبة ثانية.

---

* توجان فيصل: مذيعة تليفزيون سابقة ونائبة في البرلمان الأردني -أول نائبة برلمانية في تاريخ الأردن- كان المتطرفون قد رفعوا دعوى تفريق بينها وبين زوجها باعتبارها مرتدة. (روز اليوسف ١٩٩٥/٦/٢٦. عدد رقم ٣٤٩٨ لسنة ٧٠).

وتحدثت في ذات الرسالة عن شخص آخر من الطائفة الأحمدية هاجر بعد القضية إلى لندن"*

القاديانية واللاهورية[٥٨]

إن جماعة القاديانيين اللاهورية (نسبة إلى لاهور بباكستان) كثيراً ما تدعى أنها لا تؤمن بنبوة ميرزا غلام أحمد، بل تراه المسيح الموعود والمهدى والمجدد، إذن فهي لا تخالف عقيدة ختم النبوة فلا يقع عليها الكفر، وخلاصة الجواب أن من يثبت دعواه بنبوة كاذبة، فكما أن الإيمان بنبوته كفر، فإن تصديقه واعتباره واجب الطاعة كفر صريح أيضاً، فضلاً عن اعتباره المسيح الموعود والمهدي المجدد والمحدث صاحب الإلهام. إن إدعاء شخص النبوة ينشأ عنه مذهبان متضادان، مذهب من يصدقه ومذهب من يكذبه، ويعتبر المصدقون أتباع دين والمكذبون أتباع دين آخر، وقد ثبت أن ميرزا غلام أحمد القادياني إدعي النبوة بلا ريب، فكل من اتخذوه إماماً من الفرق قد دخلوا في زمرة واحدة سواء سموه نبياً أو المسيح الموعود أم المهدي المعهود أم المجدد.

وقد اعترف محمد علي مؤسس الجناح اللاهوري بنبوة الغلام، ففي ١٣ مايو سنة ١٩٠٤م قدم محمد بياناً أمام محكمة محافظة (غورد أسفور) في الهند، حاول فيه أن يثبت أن من يكذب الميرزا المتنبئ فهو كذاب، وقال: "إن من يكذب مدعي النبوة فهو كاذب، والميرزا مدعي النبوة، فمريدوه يرونه صادقاً في دعواه وأعداؤه يرونه كاذباً"[٥٩]

وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٣ م نشرت صحيفة الجماعة اللاهورية "بيجام صلح" ما اسمته بياناً عن الجماعة كلها، جاء فيه "نحن نرى أن حضرة المسيح الموعود والمهدي المعهود نبي هذا العصر ورسوله"[٦٠].

---

* الأهالي. عدد خاص رقم ٣. يونية ١٩٩٥م. ص٢٧

فإذا درسنا عقائد الجماعة اللاهورية التي تم نشرها بعد سنة ١٩١٤ م لوجدنا أن موقفهم هذا كان محض حيلة ولا فرق حقيقي بينهم وبين الجماعة القاديانية، فالجماعة القاديانية تعتبر إلهام الميرزا حجة شرعية يجب إتباعها، ويراه هؤلاء واجب الإتباع، وكما أن أولئك يصدقون جميع أفكار الميرزا، كذلك يراها هؤلاء واجبة التصديق، وكما أن أولئك يرون كتبه سنداً إلهامياً وحجة شرعية، كذلك هؤلاء يرونها مصادر دينية، وكما أنهم يكفرون مخالفي الميرزا كذلك هؤلاء يقولون بتكفير من يكفر الميرزا أو يكذبه، وإنما الفرق هو أن الجماعة القاديانية تجيز إطلاق لفظ النبي على الميرزا بالمعنى الاصطلاحي والجماعة اللاهورية تجيز استعماله على سبيل المجاز.

مفهوم جماعة لاهور عن نبوة الميرزا غلام احمد

إن الجماعة اللاهورية، وإن كانت تدّعي أنها لا تعتبر الميرزا نبياً، بل تراه مجدداً، إلا إنها تعني من لفظ "المجدد" عين ما تقصد به الجماعة القاديانية من لفظ "النبي".

يقول محمد علي: "إن نوعاً من أنواع النبوة هو ما يُعطى المحدث، وكما في (توضيح المرام) أنها من المبشرات*"[٦١]. ويرى: إن النبوة التي يقال لها النبوة الظلية أو النبوة المحمدية هي نبوة المبشرات[٦٢]. ويؤكد نبوة الغلام بقوله: "إن المسيح الموعود في كتاباته السابقة واللاحقة قرر أصلاً واحداً وهو أن باب النبوة مسدود، غير أن نوعاً من النبوة يمكن

* من الأحاديث المتواترة قول الرسول: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي (فيقال أن ذلك شق على الناس). فقال: ولكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات. قال:رؤيا الرجل المسلم، وهو جزء من أجزاء النبوة، وفي رواية أخرى عن المبشرات: الرؤيا الحسنة أو الرؤيا الصالحة. وفي حديث آخر روي عن عائشة: قولوا إنه خاتم الأنبياء ولا تقولوا لا نبي بعده (الدر المنثور للسيوطي. ومجمع البحار) وعلى هذين الحديثين استند الغلام في إدعائه النبوة.

الحصول عليه، ولا نقول إن باب النبوة مفتوح، بل نقول: إن باب النبـــوة مسدود ، غير أن نوعاً من النبوة ما زال باقياً ويستمر إلى يوم القيامة، ولا نقول إنه يمكن لشخص أن يصير نبياً، بل نقول: إن نوعاً من النبوة يمكـــن الحصول عليه.. وهو الذي سُمي بالمبشرات في مكان، وبالنبوة الجزئيـــة في مكان آخر وبالمحدثية في موضع وبكثرة المكالمة في موضع آخر"[٦٣]

- قد تبين من هذا أن الخلاف بين الجماعتين هو خـــلاف لفظـــي فقـــط، فالجماعة اللاهورية، وإن كانت تُسمي الميرزا بلقب المسيح الموعود والمجدد، غير أنها تعني من هذه الكلمات نفس المعنى الذي تعنيه الجماعة القاديانية مـــن لفظ النبي، ولقد صدق محمد إقبال إذ يقـــول: "إن حركـــة الأحمديـــة تنقسـم إلىقسمين، يسميان بالقاديانية واللاهورية، فالأولى منها تعتبر المـــيرزا نبيـــاً، والثانية ترى اعتقاداً أو مصلحة أن تقدم القاديانية في صورة خفية".

يرى د. طه الدسوقي أنه: "لم ينخدع المسلمون بهذا الفرع اللاهـوري، ولكن كشف الله عن بصيرة الأمة فـــأدركت أن هـــذه حيلـــة مـــن حيـــل المخططين للقاديانية، حيث أنه يرى أن هذه خطة وضعها الإنجليز لمحمـــد علي كي يفسر الدين الجديد بحيث يكون أكثر ملاءمة مع مشاعر الأمة، مع الإبقاء على الاتجاه الأساسي بعد رد الفعل العنيف الذي حدث حين إدعـــى الغلام أحمد النبوة"[٦٤]

اللاهورية وتكفير المسلمين:

تزعم الجماعة اللاهورية أنها لا تكفر غير الأحمديـــين، بـــل تراهـــم فاسقين، ولكن الأمر ليس كذلك فقد ألف محمد علي كتاباً في هذه المســـألة وسماه "رد تكفير أهل القبلة"[٦٥] وقسم فيه من لا يعتبر الميرزا غلام أحمـــد المسيح الموعود إلى قسمين:

الأول: الذين لا يبايعون ميرزا غلام أحمد، ولا يكفرونه ولا يكذبونه، فهؤلاء هم الفاسقون عنده، وليسوا بكافرين.

الثاني: الذين يكفرون الميرزا ويكذبونه، فهم كفار في رأيه، وفيهم يقول: كأن الذين يكفرونه ويكذبونه داخلون في قسم واحد وحكمهم واحد، والمنكرون الآخرون لهم حكم آخر" ثم يبين حكم القسم الأول: "إن حضرة المسيح الموعود لم يعتبر إنكاره أو إنكاردعواه سبباً للكفر، وإنما سبب التكفير، أنه كفّره مفترياً، فعاد عليه الكفر بناء على الحديث الذي يرد الكفر على المكفر إذا لم يكن هو كافراً". ويضيف: " لأن المكفر والمكذب متساويان، أي أن من يكفر الميرزا ومن يكذبونه متساويان، أي أن كلاهما يكفرانه لذلك فكلاهما دخل في دائرة الكفر في ضوء هذا الحديث".

ويقول مناظر الجماعة اللاهورية المشهور "أختر حسين كيلاني": "إن الذين يكذبون الميرزا تعود عليهم فتوى الكفر، كما قال الميرزا في حقهم، لأنهم يكفرونه على أنه مفتر حقيقة"(٦٦).

قد وضح مما سبق أن الجماعة اللاهورية تعتبر من يكذّب الميرزا في دعواه أو يكفره فهو كافر، والذين يسلمون من فتوى الكفر عند الجماعة اللاهورية (وهم فاسقون فقط) هم الذين لا يكذبون الميرزا ولا يكفرّونه من غير الأحمديين، وكم من المسلمين في العالم الإسلامي لا يكذبون الميرزا؟ والحق أن كل مسلم لا يعتبر الميرزا نبياً أو المسيح الموعود فهو يكفرّه. إذن كل هؤلاء داخلون في فتوى الكفر عند الجماعة اللاهورية أيضاً، لأن عدم الاعتراف بالميرزا المسيح الموعود وتكذيبه شئ واحد، وفي ذلك يقول الغلام نفسه: "الذي لا يؤمن فإنه لا يؤمن لأنه يعتبرني مفترياً(٦٧).

٣

هل هناك دليل على صدق الغلام؟

لقد إدعى الغلام أنه مجدد ومحدث وأنه المسيح الموعود ثم إدعى النبوة، وهذه الإدّعاءات تحتاج إلى أدلة تؤكد صدقها، وإذ نضع الغلام أمام بعض الأدلة التي استشهد بها نرى كذبه واضحاً وبهتانه بيناً:

١ - المعجزات:

إن "المعجزة لغة مأخوذة من العجز، وهو عدم القدرة على فعل الشيء، وأما في اصطلاح جمهور المتكلمين، فتعرف بأنها: أمر خارق للعادة ويُظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقاً له في دعواه" (٦٨).

وقد قال الغلام: "إن معجزاتي قد أربت على ألف ألف معجزة". ولست أدري ما هي هذه المعجزات ولكن من معجزاته التنبؤ بالكسوف والخسوف، وكان الإنجليز يمدونه بحسابات هذه الظواهر الفلكية التي لم تكن معروفة في الهند آنذاك (٦٩).

٢ - النبوة عنه في الكتب السابقة:

لقد حاول الغلام أن يجد لنفسه سنداً في الكتب السابقة له، فكما أن المسيح تفرد بأن التوراة قد بشرت بمجيئه، هكذا أراد الغلام أن يثبت أن الكتب المقدسة قد بشرت بمجيئه، فقال: "أنا الذي جئت مصدقاً للبشائر"(٧٠). وقال: "أعزائي، لقد أدركتم الزمن الذي بشر به جميع الأنبياء، وقد رأيتم ذلك الشخص أي المسيح الموعود الذي كان عدد كبير من الأنبياء يتمنى زيارته"(٧١).

وعندما انتشر وباء الطاعون استغل هذا الحادث وأعلن: "إن في القرآن الكريم وبعض صحف التوراة هذا الخبر، بأنه سيقع في زمن

المسيح الموعود وباء الطاعون، وكذلك أخبر المسيح أيضاً عن هذا الحادث في الإنجيل"[٧٢].

وقد طبق كثير من النصوص القرآنية على نفسه[٧٣] مثل:

"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء ١٠٧

"وما ينطق عن الهوى، إنه هو إلا وحي يوحى" النجم ٣،٤

"وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" الأحزاب ٤٦

"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني" آل عمران ٣١

" إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله" الفتح ١٠

" إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" للفتح ١،٢

" يس. والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين" يس١،٢

أما النص القرآني الذي استند عليه كثيراً هو وأتباعه ما جاء في سورة الصف ٦ "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد". فقد قال الغلام: "إن الآية تبشر بمجيئ وأن المراد من أحمد هو أنا"[٧٤].

وقال الخليفة الثاني الميرزا بشير الدين محمود: "أكان أحمد اسم المسيح الموعود أم اسم محمد؟ وهل آية سورة الصف التي بشرت برسول اسمه أحمد هي في حق محمد أم في حق المسيح الموعود؟ إن عقيدتي أنها في حق المسيح الموعود وهو نفسه أحمد"[٧٥]. ولقد ألقى أحد دعاة القاديانية وهو سيد زين العابدين ولى الله شاه، كلمة في مؤتمر القاديان السنوي سنة ١٩٣٤ م وعنوانها "اسمه أحمد" قال فيها: "إن المراد من هذه الآية هو ميرزا غلام أحمد، وليس محمد"[٧٦].

وهناك نص آخر استشهد به الغلام، حيث قال: "أخبرت بأن خبرك موجود في القرآن والحديث، وأنت المصدق لهذه الآية (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)" [٧٧]. التوبة٣٣

أما بالنسبة لاستشهاد القادياني بنصين من الكتاب المقدس كنبوة عن انتشار الطاعون في قاديان في زمن المسيح الموعود، نجد أنه لا علاقة لهما البتة لا بالقاديان ولا بالطاعون.

٣ ـ التنبؤ أو الإخبار بالغيب:

يقول الغلام: "ومن آيات صدقي أن الله أظهرني على كثير من أمور الغيب وهو لا يظهر على غيبه أحداً إلا الذين هم يرسلون" (٧٨). وهو يجعل النبوات أعظم محك لصدقه " فليعلم المنكرون أنه ليس هناك محك امتحاننا وميزان صدقنا وكذبنا أعظم من النبوات" (٧٩).

في ضوء هذا نسجل هنا نبوات(٨٠) الغلام ، ومنها يتضح بالدليل القاطع كذب هذا المتنبئ:

النبوة الأولى:

إن رجلاً مسيحياً اسمه عبد الله آتم ناظر الغلام في مدينة أمرتسر بالهند سنة ١٨٩٣ م، وبعد نقاش طويل لم يصلا إلى نتيجة ولم يفز واحد منهما على الآخر، رغم إدعاء الغلام بأنه مؤيد بوحي إلهي وأراد أن يلعب لعبة حتى يغسل عنه العار الذي لحقه بعدم فوزه على رجل نصراني عادي، فأعلن في صباح الخامس من يونيو سنة ١٨٩٣م: "ما فتح الله عليّ الليلة هو هذا، أني حينما تضرعت وابتهلت أمام الله عز وجل ودعوت منه بأن يفصل في هذا الأمر، فأعطاني آية بأن الكذاب يموت في خمسة عشر شهراً بشرط أن لا يرجع إلى الحق، والصادق يُكرم ويُوقر، وإن لم يمت الكذاب في خمسة عشر شهراً، ولم يتحقق ما قلت أكون مستعداً لكل جزاء، يسود وجهي وأذلل، ويجعل في جيدي حبل وأشنق، وأنا أقسم بالله العظيم أن يقع ما قلت، ولا بد أن يقع"(٨١).

فهل تحققت هذه النبوة؟ وهل مات عبد الله آثم؟ نرى هذا في خطاب أرسل للغلام: "مولانا المكرم، سلمكم الله. السلام عليكم ورحمة الله. اليوم سبعة من سبتمبر، وكان ميعاد النبوة الأخيرة ٥ سبتمبر، وما أبحث في ألفاظ النبوة ولكن ألفاظ الإلهام التي ذكرتم (وإن لم يمت الكذاب في مدة خمسة عشر شهراً، ولم يتحقق ما قلت أكون مستعداً...) والآن ولم تتحقق هذه النبوة، وعبد الله آثم سالم، صحيح، حي، ولم يمكن ولا أظن أنه يمكن التأويل في هذه النبوة...." محمد علي خان[٨٢].

وقد كتب عبد الله آثم في جريدة "وفادار" بعد عشرة أيام من انقضاء المدة المعهودة "أنا ألفت نظركم إلى نبوة الغلام عن موتي، وأخبركم بأني صحيح سالم بفضل الله، وأني سمعت بأن الغلام يقول: إني رجعت عن المسيحية، فأعلن أن هذا كذب، كنت مسيحياً، ولا زلت مسيحياً كما كنت، وأشكر الله على أنه جعلني مسيحياً" [٨٣].

وهكذا ثبت كذب الغلام في نبوته هذه وسقط في الامتحان الذي وضعه لنفسه.

النبوة الثانية:

قال الغلام بصدد هذه النبوة: "فليعلم المخالفون أنه لا يوجد معيار أحسن وأصلح لاختيار صدقنا وكذبنا من هذه النبوة"[٨٤]. وهاك هذه النبوة:

إن رجلاً من أقربائه اسمه "أحمد بك" جاء إلى الغلام لمساعدته في أمر ما، فقال له الغلام: أساعدك بشرط أن تزوجني ابنتك "محمدي بيجوم" وكان عمره آنذاك فوق الخمسين، فأبى أحمد بك، أن يقبل هذا الشرط، فجن الغلام، وبدأ يهدده. وتنبأ قائلاً: "إن الله أظهر عليّ بصورة النبوة، بأن الابنة الكبيرة لأحمد بك ترد لي مع أن أهلها يخالفون ويخالفون ولكن الله يزوجها لي ويرفع الحواجز، ولا يستطيع أحد أن يحول دون تحقق هذا"[٨٥].

وقال : "إن زواجها أمر متحقق، وأنا أقسم بربي أن هذا صدق، ولا تستطيعون أن تحولوا دون وقوعه، وقد قال الله عز وجل: "زوجناكها نحن بأنفسنا ولا يستطيع أحد أن يبدل كلماتي"[٨٦].

وأعلن: "إن نفس النبوة، وهي زواج هذه المرأة مني، تقدير مبرم، والتقدير لا يزول بحال من الأحوال، لأنه قد وجدت في الإلهام هذه الفقرة ولا تبديل لكلمات الله". فمعناه أن نبوتي هذه لا بد لها أن تتحقق، لأن عدم تحقيقها يبطل كلام الله"[٨٧].

وأعلن أن هذه النبوة هي وعد الله له: "إن لم يتحقق هذا النبأ فأكون أخبث الخبثاء، أيها الحمقى هذا ليس افتراء من إنسان، ولا لعبة خبيث مفتري، بل هذا وعد الله الحق، الإله الذي لا تبديل لكلماته. والرب الذي لا مانع لإرادته"[٨٨]. وفي أثناء هذا بدأ الغلام محاولاته، بالوعد والوعيد، فكتب إلى أحمد بك: "أخي الكريم أحمد بك، سلمه الله تعالى، الآن فرغت من المراقبة فغشيني النوم ورأيت أن الله يأمرني بأن أطلعك على أن تزوجني ابنتك الكبرى البكر، لكي تستحق خيرات الله وبركاته وإنعامه وإكرامه، ويفرج عنك الكرب والمصائب، وأن ما أعطيتني ابنتك فتكون مورد عتاب وعقاب، وبلغتك ما أمرني الله لكي تحصل على إنعامه وإكرامه ويفتح عليك خزائن النعم... وأيضاً أنا مستعد أن أوقع على الوثيقة التي جئت بها إليّ، وفوق ذلك كل ممتلكاتي لك ولله، وأيضاً أنا مستعد أن أشفع لابنك عزيز بك للحصول على وظيفة في البوليس، كما سأزوجه بابنة غني كبير من مريدي"[٨٩].

وكتب إليه رسالة أخرى: "إن أعطيتني ابنتك وزوجتني إياها أعطيك نصيباً كبيراً من عقاري وبستاني، وأعطي لابنتك ثلث ما أملك، وأنا صادق فيما أقول، وأعطيك كل ما تطلب وتسأل، ولا تجد رجل واصل رحم مثلي" [٩٠].

وحينما رأى أن هذه التحريضات والترغيبات لم تثمر شيئاً، بدأ يتذلل أمام أحمد بك ويسترحم، فكتب إليه كتاباً جاء فيه: "أنا أرجو منكم بكل أدب وعجز أن تقبلوا زواج ابنتكم مني، لأن هذا الزواج يكون موجباً للبركات، ويفتح عليكم أبواب الرحمة التي لا تتصورون.. ولعلكم تعرفون بأن هذه النبوة قد اشتهرت في آلاف من الناس، بل مئات الألوف، والعالم ينظر إلى تحقق هذه النبوة وألوف من رجال الدين المسيحي يتمنون بأن لا تتحقق هذه النبوة حتى يضحكوا علينا، ولكن الله يذلهم وينصرني.. لذلك أرجو أن تساعدوني في تحقيق هذه النبوة"(٩١).

وكتب إلى ابنيه سلطان أحمد، وفضل أحمد، بأن يساعداه في هذا الأمر، لأن ابنه فضل كان متزوجاً ابنة أخت أحمد بك، وابنه سلطان كان له قرابة مع أحمد بك من جهة أمه، كما كتب إلى زوجته أم سلطان وفضل بأن تسعى هي أيضاً بدورها وكتب متوعداً: "إن تزوجت ابنة أحمد بك من أحد غيري، ففي نفس ذلك اليوم يكون سلطان أحمد محروماً من أرثي، ولا يكون له أي علاقة بي، وأيضاً تكون أمه مطلقة، وأما ابني فضل فيكون أيضاً محروماً من أرثي إن لم يطلق زوجته التي هي ابنة أخت أحمد بك ولا يكون له أي علاقة بي كأخيه سلطان"(٩٢).

ولكن الله يفعل ما يشاء، فزُوجت (محمدي بيجوم) ابنة أحمد بك لرجل يدعى "سلطان بك" ولكن الغلام ما انقطع عن تماديه، وأصر أنه مهما يكن فإن "محمدي بيجوم" تُزوج له، لأنها زُوجت له في السماء، أما زوجها سلطان بك فسوف يموت، "هذا صحيح بأن "محمدي بيجوم" ما زوجت لي، ولكنها قطعياً سوف تزوج لي كما ذكرت النبوة، وأن الناس استهزوا بي لعدم تحقق هذا النبأ، النبأ الذي ما تنبأت به من عند نفسي، بل أُخبرت عنه بعد وحي من الله، وأقول صدقاً أنه يأتي يوم تنحنى فيه رؤوس هؤلاء

المستهزئين من الندم، وأن المرأة لا تزال على قيد الحياة حتى ترجع إلـيّ وتزوج لي، أنا أؤمن بهذا إيماناً جازماً لأن وعد الله لا يخلف"[٩٣].

وكتب "أنا تضرعت أمام الله وابتهلت، فألهمت، سوف أريهم آياتي بأن هذه المرأة تثبت ويموت زوجها وأبواها خلال ثلاث سنوات، ثم ترجع هـذه المرأة إليّ ولا يكون أحد يستطيع المنع" [٩٤]. وطال الآمد ولم يمـت زوج "محمدي بيجوم" ولم ترجع إليّ الغلام أحمد المتنبي الكاذب، وقد استمرت محاولته لتحقيق هذه النبوة لمدة اثنتين وعشرين سـنة (١٨٨٦ - ١٩٠٨) حتى مات، وأما محمدي بيجوم، فقد ماتت سنة ١٩٦٦م، وعـاش زوجـها أربعين سنة بعد الغلام ومات سنة ١٩٤٨م وهكذا ثبت كذب الغلام أيضـاً في هذه التنبوة.

النبوة الثالثة:

وهي عدة نبوات معاً تتعلق بإنجابه ولداً

فقد تنبأ مرة وامرأته حبلى: "الحمد لله الذي وهبني على الكبر أربعـة من البنين، وبشرني بخامس"[٩٥]. وقد كان هذا الإلهام في أول يناير سـنة ١٩٠٣ وفي ٢٨/ ١/ ١٩٠٣م وضعت امرأته بنتاً، وماتت بعد أشهر قليلة.

ومرة أخرى حبلت امرأته، فتنبأ "يولـد ابـن الكـرام، ولـه طـراز جميل"[٩٦]. وبعد ذلك بشهر في ٢٤/٦/١٩٠٤م وضعت زوجته بنتاً.

وأعلن مرة ثالثة في ١٦/٩/١٩٠٧م "إنا نبشرك بغلام حليم" [٩٧]. وفي أكتوبر سنة ١٩٠٧ أعلن "سأهب لك غلاماً ذكياً، ربي هب لي ذرية طيبـة، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى" [٩٨]. وفي ٢٦/٥/١٩٠٨م مات الغلام، ولـم يُنجب هذا الولد. فماذا نقول أمام هذا الفشل الذريع لنبوات الغلام.

النبوة الرابعة

في ١٨٨٦/٢/٢٠م، أعلن الغلام "إن الله بشرني بأن يكون لي ذرية كثيرة من النسوة ذوات البركات اللاتي أتزوج بعضهن بعد هذا الإلهام[٩٩].

ووضح هذه العبارة بقوله: "إني أعلنت في فبراير سنة ١٨٨٦ بعد الإلهام من الله بأنه بشرني بالزواج بعد هذا الإعلان وسوف أتزوج نسوة ذوات يمن وبركات ويولد منهن أولاد" [١٠٠]. والواقع والتاريخ يؤكد أن غلام أحمد ما تزوج بعد هذا الإعلان أي امرأة.

وهكذا مرة تلو الأخرى يُثبت عدم صدق الغلام في إدعائه النبوة.

* النبوة الخامسة:

في ١٨٩٩/٦/١٤م وُلد له ولد اسماه "مبارك" وبعد ولادته تنبأ قائلاً: "إن هذا الولد من نور، ومصلح موعود، وصاحب العظمة والدولة، ومسيحي النفس ويشفي الأمراض، وكلمة الله"وسعيد الحظ. وهذا يشتهر في أنحاء العالم وأطرافه، ويفك الأسارى، ويتبرك به الأقوام"[١٠١].

وفي سنة ١٩٠٧ مرض هذا الولد، فاضطرب الغلام، وفي ١٩٠٧/٨/٢٧م حين خف من مرضه، تنبأ الغلام "ألهمني الله بأنه قبل الدعاء وذهب المرض" [١٠٢].

ولكن عاد المرض من جديد ومات المصلح الموعود في ١٩٠٧/٩/١٦م، وربما يكون هذا هو الابن الذي قال فيه: "إنما نبشرك بغلام اسمه عنموايل ومن المقربين، وهو نور مبارك ومن المقربين، يعالج كل عليل ومرض وكان بأنفاسه من الشافين، وأنه آية من آياتي، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، ولبعث أصحاب القبور من القبور، فهو كلمة الله، ويظهر بظهوره جلال رب العالمين" [١٠٣].

تعليق:

في هذه النبوة نرى محاولة القادياني تطبيق النصوص التي جاءت في الكتاب المقدس والقرآن عن المسيح على ابنه، وإليك ما يبرهن ذلك:

- اسمه عنمو ايل: جاء عن المسيح في مت١:٢٣ "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" فعنمو ايل تحريف لكلمة عمانوئيل وهذا النص تحقيق للنبوة التي جاءت عن المسيح في سفر إشعياء "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" إش ٧:١٤.

- وهو نور: جاء عن المسيح "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان"يو ١: ٩، وقال المسيح عن نفسه: "أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة" يو٨: ١٢.

- يعالج كل عليل ومرض: جاء عن المسيح في مت ٤: ٢٣-٢٤، ٩:٣٥ "وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف".

- كلمة الله: قيل عن المسيح "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده" يو ١: ١، ١٤. وأيضاً قيل عن المسيح في القرآن " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم" النساء ١٧١.

- يظهر بظهوره جلال الله: جاء عن المسيح "وهو بهاء مجده (الله) ورسم جوهره" عب ١:٣. وأيضاً "الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد.. هو خبر" يو ١: ١٨.

النبوة السادسة:

تنبأ الغلام أنه لا يقع الطاعون في القاديان "هو الإله الحق الذي أرسل رسوله في القاديان، وهو يحفظ القاديان من الطاعون، ولو يستمر الطاعون

إلى سبعين سنة، لأن القاديان مسكن رسوله، وفي هذا آيـــة للغــلام[١٠٤]. ولكن الطاعون دخل القاديان، ففي رسالة إلى صهره محمد على خــان "إن الطاعون ههنا في منتهى الشدة، يبتلى الإنسان فيموت بعـــد ســاعات والله يعلم متى ينتهي هذا الابتلاء"[١٠٥]. ليس هذا فحسب، بل دخـــل الطـــاعون بيته، الذي قال فيه: "إن بيتي كسفينة نوح من دخله حفظـــه الله مـــن كــل الآفات والمصائب"[١٠٦].

كتب الغلام: "دخل الطاعون حتى بيتنا، فابتلت غوثان الكبيرة(زوجته)، فأخرجناها من البيت، كما أبتلى الأستاذ محمد دين، فأخرجناه أيضاً. واليوم ابتليت به امرأة أخرى كانت نازلة في بيتنا وجاءت من دلهي.. ومرضـــت أنا أيضاً حتى ظننت أنه ليس بيني وبين الموت إلا دقائق"[١٠٧].

هذه بعض نبوات الغلام أحمد التي منها ثبت كذب دعوته، ومن كـــان كاذباً لا يصح أن يكون نبياً وأن يدعو إلى دين جديد.

القاديانية والهندوسية:

كان الغلام داهية ماكراً، لذلك رأي أنه ليس من مصلحتة ولا مصلحـــة القاديانية كمذهب أن يتجاهل الهندوس، ولا سيما أنهم يشـــكلون أغلبيـــة لا يستهان بها في الهند، لذا فقد مدح أحد آلهتهم وهـــو "كرشـــنا" وقـــال: "إن القديس كرشنا كان نبياً، وينزل عليه روح القدس، وأنه قام بتطهير الأرض من الأربين" [١٠٨]. وقد إدعى الغلام أن الله وعد "كرشنا" بأنه سيظهر فـــي الأيام الأخيرة. وقد تحقق الوعد فيه هو "إنه كان نبياً حقيقياً في عصـــــره، وكان مليئاً بحب الله، وكان يصادق لأعمال الخير، ويعادي لأعمال الشـــر، وأن الله وعده بأنه سيظهره في الأيام الأخيرة وأن الله حقـــق وعـــده فـــي شخصيتي أنا " [١٠٩]. ثم أضاف: "أنني لست مبعوثاً لإصـــلاح المســـلمين فقط، بل لإصلاح الهندوس والمسيحيين. وفي نفس الوقت أنني مبعوث إلى

الهنادكة. وقد أعلنت منذ حوالي عشرين سنة بأنني مرسل لتطهير الأرض من الذنوب التي امتلأت بها، إنني بشكل المسيح بن مريم، وفي صورة القديس كرشنا، وبمعنى آخر أنني القديس كرشنا فعلاً من الناحية الروحية".

ويؤكد هذه المقولة المولوى محمد علي اللاهورى: "إن الله قد وعد الهندوس بأن يرسل قديساً آخر الزمان وأنه حقق وعده بإرسال النبي المقدس الميرزا غلام أحمد إلى أرض الهند"(١١٠).

لقد حاول الغلام وأتباعه الحصول على دعم الهندوس وتأييدهم، ونجحوا في ذلك وقد ظهر هذا التأييد بوضوح في عدة مقالات كتبها رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو وكانت تدور حول القاديانية من الفرق الإسلامية، فلماذا يصر المسلمين علىفصلها عن الإسلام. رداً على مقالات د. محمد إقبال التي أثبت فيها أن القاديانية فئة كافرة ولا علاقة لها بالإسلام.

القاديانية والصهيونية: (١١١)

– كتبت صحيفة "الفضل" القاديانية: "لئن كان اليهود لا يستحقون تولى بيت المقدس لأنهم ينكرون رسالة محمد، والمسيحيون لا يستحقون لأنهم أنكروا رسالة محمد، فغير الأحمديين (المسلمون) لا يستحقون توليته يقيناً".

– لقد أسس المركز القادياني في فلسطين المولوى جلال الدين شمس سنة ١٩٢٨م، ويقع في حيفا، وبه مسجد ومقر البعثة ومكتبة عامة ومكتبة تجارية ومدرسة، ويصدر مجلة شهرية باسم (البشرى) باللغة العربية، وقد قام المركز بترجمة كثير من مؤلفات الغلام أحمد.

- ذكر "دوست محمد شاهد" في كتابه "تاريخ أحمديه" إن ميرزا بشير الدين محمود أقام في فلسطين سنة ١٩٢٤م بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م بإنشاء دولة إسرائيل. ولما قامت دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م طردت سكان فلسطين الأصليين، بينما سُمح للقاديانيين بالإقامة والتبشير دون مسهم بأي أذى. وقد قال بشير الدين محمود: "لا شك أنه ليست لنا مكانة في البلاد العربية مثل مكانتنا في البلاد الأوربية والافريقية، ومع ذلك فقد حصل نوع من المكانة، وهو أنه لا يسمح لأحد بالإقامة في قلب فلسطين غير الأحمدي"[١١٢]

وكيف لا تتمتع القاديانية بهذه المكانة، وقد قام خليفتها الثاني ميرزا محمود بتأييد إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين[١١٣].

والسؤال الآن لماذا تسمح إسرائيل بإقامة المراكز التبشيرية القاديانية فيها، وتسمح بنشر المطبوعات القاديانية؟ من المؤكد أن لإسرائيل مصلحة في ذلك. قال د.محمد إقبال: "إن الميرزائية تشمل عناصر يهودية، كأن هذه الحركة راجعة إلى اليهودية".

مراجع الباب الأول

* المقدمة:

١ - حياة المسيح. ص١٩١-١٩٢، عبقرية المسيح. ص٢١٥.

٢ - السنوات المجهولة من حياة المسيح. د. فريز صموئيل.

* الفصل الأول:

١ - موت أم إغماء. د. فريز صموئيل.

٢ - قصص الأنبياء. الشيخ عبد الوهاب النجار. ص٥٠٩-٥١١.

٣ - القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام. د. أحمد عوف. ص٥٢-٥٣.

٤ - القاديانية دراسات وتحليل. إحسان الهي ظهير. ط١٩ سنة ١٩٨٣. ص١١٧.

٥ - القاديانية ومصيرها في التاريخ. د. طه الدسوقي. ط١ سنة١٩٨٩. ص١١٨.

٦ - حمامة البشرى. للغلام أحمد. ص٦٩، عن المرجع السابق. ص١١٩.

٧ - تبليغ الرسالة. للغلام أحمد. جـ٢ ص٣٠٢. عن المرجع السابق .

٨ - المرجع السابق. ص١٢٧-١٣٣.

٩ - إزالة الأوهام للغلام. المرجع السابق. ص٢٩٦.

١٠ - المرجع السابق.

١١ - تبليغ الرسالة. للغلام أحمد. جـ١٠ ص١٨، عن القاديانية لظهير. ص١١٩.

١٢ تحفة كوكرة. للغلام أحمد. ص١٢٥، عن القاديانية ومصيرها. ص١٣.

١٣ - دافع البلاء. للغلام ص٣، عن موقف الأمـــة الإســـلامية مـــن القاديانية. ص١٤.

١٤ - بيان للميرزا غلام ألقاه في ١٨٩٢/٢/٢٣م، تبليغ الرسالة. جـ٢. ص٩٥ للغلام، عن القاديانية ومصيرها. ص١٤٥.

١٥ - السراج المنير. للغلام. ص٢٤٢. عن المرجع السابق. ص١٤٦.

١٦ - رسالة للغلام في جريدة الحكم القاديانية فـــي ١٨٩٩/٨/١٧م، عـــن القاديانية ومصيرها. ص١٤٧.

١٧ - توضيح المرام. للغلام ص٢٨. عن المرجع السابق.

١٨ - مصير آثم. للغلام ص٢٧. عن المرجع السابق.

١٩ - القاديانية ومصيرها. ص٥٣.

٢٠ - دافع البلاء. للغلام. ص١١ ط٣ قاديان. عن موقف الأمة الإسلامية. ص١٠-١١.

٢١- نزول المسيح. للغلام. هامش ص٣ ط قاديان ســـنة ١٩٠٩م. عـــن المرجع السابق.

٢٢ - تتمة حقيقة الوحي. للغلام. ص٣٨ ط قاديان ســـنة ١٩٣٤م. عـــن المرجع السابق.

٢٣ - أيك غلطي كازالة. للغلام. ص٨ ط قاديـــان ســـنة ١٩٠١م. عـــن المرجع السابق.

٢٤ - المرجع السابق.

*** الفصل الثاني:**

٢٥ - القاديانية الخطر القادم الذي يهدد الإسلام. ص٧.

٢٦ - موقف الأمة الإسلامية من القاديانية. ص٥.

٢٧ - حقيقة الوحي. للغلام ص١٤٩. ط قاديان سنة ١٩٣٤. عن موقـــف الأمة. ص١٣.

٢٨ - الإعجاز المحمدي. للغلام ص٧. عن ما هي القاديانية لأبي الأعلى المودودي. ص٢٢-٢٣.

٢٩ - موقف الأمة الإسلامية. ص٢٦.

٣٠ - القاديانية ومصيرها في التاريخ. ص١٦٦-١٦٧.

٣١ - الأربعين. للغلام. ص٤٧.

٣٢ - المرجع السابق. ص١٥.

٣٣ - تبليغ الرسالة. للغلام. جـ٤ ص٤٩، عن القاديانية لظهير. ص١١٩.

٣٤ - ترياق القلوب. للغلام. ص٣٣٢، عن موقف الأمة. ص١٠٦.

٣٥ - القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام. ص٩٧٥، دفاع عن العقيدة والشريعة. للشيخ محمد الغزالي. ص٢٤٨-٢٤٩.

٣٦ - أنوار الخلافة. للغلام. ص١٧، عن القاديانية لظهير. ص١١١، ١١٢، ١١٦.

٣٧ - بركات الخلافة. للغلام. ص٥-٧.

٣٨ - القاديانية ومصيرها. ص١٨٤.

٣٩ - حقيقة الوحي. للغلام. ص٦٣. عن القاديانية لظهير. ص٣٤.

٤٠ - مرآة الصدق. لميرزا بشير الدين ص٢٥. عن دفاع عن العقيدة. ص٢٤٥.

٤١ - أنوار الخلافة. لميرزا محمود أحمد. عن القاديانية لظهير. ص٣٥.

٤٢ - دفاع عن العقيدة والشريعة. ص٢٤٦.

٤٣ - المرجع السابق.

٤٤ - تحفة لوكرة. ص٢٨، عن موقف الأمة. ص٣١.

٤٥ - جريدة الحكم القاديانية. في ١٠/١٢/١٩٠٤م. عن القاديانية لظهير. ص٣٦.

٤٦ - أنوار الخلافة. ص٨٩. عن القاديانية لظهير.

٤٧ - بركات الخلافة. ص٧٥. عن القاديانية لظهير. ص٤٣.

٤٨ - جريدة الفضل القاديانية ١٩٣١/٥/٢٣م. عن القاديانية لظهير.

٤٩ - أنوار الخلافة. ص٩٤. عن موقف الأمة. ص٣١-٣٢.

٥٠ - كلمة الفضل. عن القاديانية لظهير. ص٤٣.

٥١ - جريدة الفضل ١٩١٦/٦/١٨م. عن القاديانية لظهير. ص٣٩.

٥٢ - أنوار الخلافة. ص٩١. عن القاديانية لظهير. ص٤٠.

٥٣ - صحيفة رفيندار لاهور ١٩٥٠/٢/٢٨م. عن موقف الأمة. ص٣٣.

٥٤ - موقف الأمة الإسلامية. ص٦٧-٧٠.

٥٥ - المرجع السابق.

٥٦ - جريدة المدينة في٧٩/٣/٩م. عن أباطيل القاديانية في الميزان. ص١١١-١١٢.

٥٧ - جريدة الأخبار القاهرية ١٩٩٠/٥/٢٨م. ص٢.

٥٨ - موقف الأمة الإسلامية. ص٣٦-٤٥.

٥٩ - مجلة فرقان الهندية، يناير سنة ١٩٤٢م. قاديان.

٦٠-٦٤ النبوة في الإسلام. محمد علي. ط لاهور. ص١٥٠،١٨٢، ١٥٣.

٦٥ - رد تكفير القبلة. محمد علي. ط سنة ١٩٢٦م. ص٢٩-٣٠.

٦٦ - مباحثة راو لبندي. ط قاديان. ص٢٥١.

٦٧ - حقيقة الوحي. ط ١٩٠٧م. ص١٦٣.

* الفصل الثالث:

٦٨ - في العقيدة الإسلامية والأخلاق. د. عوض حجازي. ص٧٩.

٦٩ - القاديانية الخطر الذي يهدد. ص٢٧-٢٨.

٧٠ - الأربعين للغلام ص٢٨، ٧٤، عن موقف الأمة. ص٤٩-٥١.

٧١ - المرجع السابق. عن القاديانية ومصيرها. ص١٣١.

٧٢ - المرجع السابق. وقد كتب قادياني على الهامش أن وقوع الطـاعون في زمن المسيح الموعود مذكور في زك ١٤: ١٢، مت ٢٤: ٨.

٧٣ - الأربعين. للغلام. ص٢٨، ٧٤، ٣٩، حقيقة الوحي. للغلام. ص٧٥، ٤٩، ٨٠، ١٠٧، عن موقف الأمة الإسلامية. ص ٤٩-٥١.

٧٤ - إزالة الأوهام. ص٦٧٣.

٧٥ - في خطبة له في ١٩١٥/١٢/١٧م، أنوار الخلافة. ص١٨.

٧٦ - طبعت تحت عنوان "اسمه أحمد" ص٧٤ قاديان سنة ١٩٣٤.

٧٧ - أعجاز أحمدي. ص٩. عن أباطيل القاديانية. ص٤٤.

٧٨ - الأربعين. للغلام. عن القاديانية الخطر الذي يهدد. ص٣٦.

٧٩ - دافع الوسواس. للغلام. ص٢٢٨، عن القاديانية ومصيرها. ص٧٤.

٨٠ - هذا الجزء (النبوات) مأخوذ من القاديانية لظهير. ص١٦٣-١٨٠.

٨١ - الحرب المقدسة. للغلام. ص١٨٨.

٨٢ - مكتوب محمد علي إلى الغلام أحمد. ص١٠٠-١٠١. ليعقوب علي.

٨٣ - جريدة وفادار اللاهورية في١٥/٩/١٨٩٤.

٨٤ - مرآة كمالات الإسلام. للغلام. ص٢٨٨.

٨٥ - إزالة الأوهام. للغلام. ص٣٩٦.

٨٦ - الحكم السماوية. للغلام ص٤٠.

٨٧ - اشتهار الغلام. ١٦/ ١٠/ ١٨٩٤.

٨٨ - ضميمة أنجام آثم للغلام. ص٥٤.

٨٩ - رسالة الغلام إلى أحمد بك. عن نوشنه غيب. ص١٠٠.

٩٠ - مرآة كمالات الإسلام. للغلام. ص٥٧٣.

٩١ - كتاب غلام أحمد بك في ١٨٩٢/٧/١٧م. عن كتاب "كلمـة فضـل رحماني". ص١٢٣.

٩٢ - إعلان غلام أحمد بتاريخ ٢/٥/١٨٩١م. عن تبليغ الرسالة" جـ٢. ص٩.
٩٣ إعلان غلام أحمد الموجود في "منظور إلهي" ص٢٤٤. المنظور القادياني.
٩٤ -إلهام الغلام. عن نوشنه غيب.
٩٥ - مواهب الرحمن. للغلام. ص١٣٩.
٩٦ - البشرى جـ٢. للغلام. ص٩١.
٩٧ - المرجع السابق. ص١٣٦. جريدة بدر القاديانية في١٦/٩/١٩٠٧م.
٩٨ - المرجع السابق.
٩٩ - تبليغ الرسالة. جـ١. للغلام. ص٥٨.
١٠٠ - المرجع السابق.
١٠١ - ترياق القلوب. للغلام. ص٤٣.
١٠٢ - جريدة بدر القاديانية في٢٩/٨/١٩٠٧.
١٠٣ - القاديانية الخطر. ص٢٩.
١٠٤ - دافع البلاء. للغلام. ص١٠-١١.
١٠٥ - مكتوبات أحمدية. جـ٥. للغلام. ص١١٢-١١٣.
١٠٦ - سفينة نوح. للغلام. ص٧٦.
١٠٧ - مكتوبات أحمدية. جـ ٥. للغلام .ص٥.
١٠٨ - في خطبة ألقاها في مدينة "سيالكوت" في ٢/١١/١٩٠٤م. عن قادياني قول وفعل. جـ٢ ص٥٨.
١٠٩ - المرجع السابق.
١١٠ - مجلة الأديان عدد ١١. عن أباطيل القاديانية. ص٣٤-٣٨.
١١١ - موقف الأمة الإسلامية. ص١١٧-١١٩.
١١٢ - جريدة الفضل ٣٠/٨/١٩٥٠م.
١١٣ - مجلة الحق عدد٢ جـ٩. عن تاريخ الأحمدية.

الباب الثاني

القاديانية والمسيح

١

البشارة بميلاد المسيح وولادته

إدعى الغلام القادياني -كما سبق- أنه المسيح الموعـــود، لذلــك أحتــل المسيح في كتابات الغـــلام وأتباعـــه مكانة لا بأس بها، وحاولوا فـــي كــل كتاباتهم أن يثبتوا عقيدتهم. وفي هـــذه الدراسة سوف نركـــز علـــى ثـــلاث موضوعات: البشارة بميلاد المســـيح وولادته، صلب المسيح وموته، عـودة المسيح ثانية.

ذكر أتباع القاديني في تعليقاتهم على ترجمات[1] القرآن أن:

أ - البشرى كانت عن طريق الرؤيا وليس الملاك:

يقول مالك غلام فريد في تعليقه رقم ١٧٤٩ على الآيــة: "فــاتخذت مــن دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً" مريم ١٧، "إن التعبــير يفيد أن البشرى الإلهية بولادة عظيم لم تبلغ إلى مريم في صوت أمكنها سماعه من متكلم وإنما كان ذلك في صورة رؤيا منامية أو تخيل يقظــة" [٢]. ويقــول محمد علي: "هذا يبين أن مجيء الروح لها كان في رؤيا، وأن ما تبودل مــن حديث بينهما كان كذلك، وكلمة "تمثل" التي استعملت هنا تؤيد مــا نقــول، لأن معنى "تمثل" اتخذ شبه شئ آخر، وهذا يكون في الرؤيا فقط".

ب - الميلاد عن طريق أب بشري:

يقول محمد علي [٣] في التعليق على ما جاء في آل عمــران ٤٥ "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابــن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين".

إن ما يسترعي الانتباه أن القرآن لم يذكر زوج مريم قط.. وكونه لــم يذكر والد عيسى لا يكفي في نفي أن يكون له أب" تعليق رقم٤٢٤.

ويقول معلقاً على آل عمران٤٧ "رب أنيّ يكون لي ولد ولم يمسســني بشر"، "إن زواج مريم كان مبرماً، وربما لم تخبر قبل أن جاءها النبأ بأنــه سيكون لها ولد، ومن هنا قالت: "ولم يمسسني بشر" وكان الجــواب: هــو كذلك، والولد سيولد، والله سيتولى إيجاد الظروف اللازمة، وألفاظ الآيــة لا

تفيد أن الطفل سيُحمل به بطريق غير عادي، لأنه من المؤكد أن مريم ولدت غير عيسى، ولم يقل أحد أنهم جاءوا إلى الحياة بطريق غير عادي... ومعنى هذا أن كل ما في الأمر هو بشارتها بأنه سيكون لها ولد، وذلك من باب النبوة".

وقال محمد علي في تعليقه على مريم ٢١ "قال كذلك قال ربك هو عليّ هين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا، وكان أمراً مقضياً". قال: "إنها حملت به بالطريق العادي الذي تحمل كل الناس بأطفالها عن طريقه" تعليق رقم١٥٣٧.

مما سبق نرى أن أتباع القاديانية يعتقدون أن:

١ – بشارة الملاك للعذراء مريم رؤيا منامية أو حلم يقظة.

٢ – المسيح ولد من أب بشري.

٣ – الحمل بالمسيح تم عن الطريق العادي للإنجاب وهو الزواج.

الرد:

"لا شك أن كل إنسان يقف إزاء معجزة ميلاد المسيح حائراً مبهوتاً[⊗]، وأي عقل يستطيع أن يدرك أسرار هذا الميلاد الذي هو معجزة الدهور والأجيال؟ وهذا شأننا نحن البشر الذين لم نألف سوى طريقة واحدة للتناسل

[⊗] "إن حادثة ولادة عيسى بن مريم، أعجب ما شهدته البشرية، في تاريخها كله، ويكون حدثاً فذاً، لا نظير له، من قبله، ولا من بعده.. شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجيبة الثانية، في مولد عيسى، من غير أب، على غير السنة التي جرت، منذ وجد الإنسان، على هذه الأرض، ليشهدها البشر، ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة، تتلفت إليها الأجيال."

د. عبد الغني عبود. "المسيح والمسيحية والإسلام". دار الفكر العربي. ط ١ سنة ١٩٨٤م. ص٥٦-٥٧.

وهي أن يولد الطفل من أبوين رجل وامرأة. ولكن لما جاء ملء الزمـــان، وُلد المسيح من امرأة عذراء لم تعرف رجلاً ذُهلت عقول البشرية من هذا الحادث الخارج عن نطاق الطبيعة وعن حدود إدراكنا.. إن ميلاد المســيح العذراوى يعني ما هو أكثر من مغايرة مجرى الطبيعة حسب اعتقادنا، فهو الطريق التي بها نرى" كائنا إلهيا" غير مخلوق، وذا وجود سابق من الأزل وقد أخذ صورة إنسان مخلوق في جسد مثل بشريتنا" (٤).

ونحن نؤمن بميلاد المسيح من عذراء:

١ – لأن العهد القديم قد تنبأ عن الميلاد مـــن عــذراء، ففـــي إش٧: ١٤"ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اســمه عمانوئيل" وهنا نرى المعجزة الإلهية أن العذراء بدون زواج تحبل وتلــد، وقد أوضح العهد الجديد تحقق هذه المعجزة الإلهية فــي مــت١٨:١-٢٤، لو١: ٢٦-٣٨، وإنكار هذا الميلاد العذراوى يعني إنكار الإنجيل والتشكيك في صدق روايته.

٢ – لأنه من الطبيعي أن المسيح الذي كان في حياته فوق الطبيعـــة، أن يولد بطريقة خارقة للطبيعة، لأن الذي كان معجزة فـــي حياتـــه وفـــي مماته، ينبغي أن يكون أيضاً معجزة في ولادته، فهو لغز الأجيـــال، فـــلا غرابة إذا كان ميلاده لغزاً، وهو معجزة الدهور، فـــلا عجـــب أن يولـــد بمعجزة، وإذا اعترض أحد بالقول: إنه لم يُولد شخص لا قبلـــه ولا بعـــده بمعجزة قلنا: فليكن، لأنه لم يقم في كل التاريخ سوى مسيح واحد"(٥).

٣ – إن المسيح يعلن لنا الله، لذا كان يجب أن يكون دخول هذا المعلن إلى عالمنا بطريقة تختلف عن دخول الآخرين، وهذه الطريقة هي الـــولادة بدون زرع بشر، والولادة العجيبة بطريقة معجزية من عـــذراء: "فقـــالت مريم للملاك كيف يكون هذا، وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقـــال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلـــك أيضـــاً القـــدوس المولود منك يدعى ابن الله" لو١: ٣٤-٣٥.

٤ – "لأن الكنيسة المسيحية منذ بدايتها حتى الآن تؤمن بهذا الميلاد العذراوي، فقد كتب القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية (١١٧–١٢٥م) عدة رسائل قال فيها عن المسيح "ولد حقاً من عذراء" رسالته إلى أهل أزمير ١: ١، ورسائله إلى أهل أفسس ٧: ١٢، ١٨: ٢، ١٩: ١١، وأيضاً كتب يوستينوس في دفاعه عن تفسير إش ٧: ١٤ في محاورته ٤٣،٦٦، ٦٨، ٧٧، والدفاع ١: ٣٣(١٤٠–١٥٠م). وأيضاً العلامة إيريناوس (١٩٠م) في كتابه ضد المبتدعين٣: ٢١، وأيضاً العلامة أريجانوس(٢٢٠م) في كتابه ضد كلسوس ١: ٣٤" (٦).

فالمسيحيون منذ مجيء المسيح إلى الأرض وحتى مجيئه الثاني يؤمنون بأنه وُلد من عذراء، والقاديانيون بإنكارهم الميلاد من عذراء وغيره من العقائد المسيحية، هم ليسوا إلا ناقلين عن غيرهم، فقد أنكر ميلاد المسيح من عذراء كثير من المدارس العصرية التي ظهرت في الغرب، وربما تسرب إليهم هذا الفكر عن طريق الإنجليز –الذين كانوا يحتلون الهند في ذلك الوقت– وسوف أترك أحد أتباع القاديانية للرد على ما كتبوه وهو مالك غلام فريد، فقد كتب في تعليقه رقم ١٧٥٢على الآية "قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا" مريم٢٠، قال: "لو أن مريم فهمت وتصورت أن الوعد المذكور في الآية السابقة (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)، يشير إلى أنها ستلد طفلاً نتيجة للالتقاء الجنسي مع زوجها في المستقبل –كما يظن بعض المفسرين للقرآن– لما كان هناك معنى لأن تعبر عن دهشتها في أن يكون لها ولد".

وكتب أيضاً في تعليقه رقم ٤١٩ على الآية: " قالت رب أنيَّ يكون لي ولد ولم يمسسني بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" آل عمران ٤٧. قال: "إن البشارة بولد –مهما كانت في الظروف العادية– لا بد وأنها أوقعت مريم في حيرة، ليس فقط لأنها ما

زالت عذراء، وإنما لأنها قررت أن تظل عذراء طوال حياتها كذلك، إلا أن الآية تعبر بحق عن حيرتها، وأنها توضح كذلك أن عيسى ليس له أب، وذلك قول مريم: "لم يمسسني بشر"، وإذا كانت مريم لن تظل عذراء، وإنما ستتزوج يوماً ما وتلد أطفالاً في الوقت المناسب، فليس هناك إذا ما يجعلها تندهش وتنزعج عندما يلقي الملك إليها بالبشارة، فليس هناك فتاة عادية تأخذها الحيرة ويستولي عليها القلق عندما تُخبر بأنها ستلد طفلاً بعد زواجها[٧].

- أما قولهم إن البشرى رؤيا منامية، فالاستدلال عليه لا يستقيم لهم، فكون كلمة "تمثل" تفترض اتخاذ شبه شئ آخر تحقق فعلا، فلقد اتخذ الملك شبه بشر، "فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا" وقال النبي عن الوحي: "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا" [٨].

وإذا كانت البشارة رؤيا منامية أو حقيقية متجسدة فهذا لا يؤثر على محتوى البشارة. والنص في الكتاب المقدس. "أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك. مباركة أنت في النساء" لو ١: ٢٦-٢٨.

ويرى حسني يوسف الأطير: "إنه لخطأ فاحش أن يتوهم واهم أن الكاتب -يقصد نفسه- يراوده أدنى شك في قداسة مريم، أو في ولادتها المسيح وهي عذراء لم يعرفها رجل، فهذه عقيدة إيمانية أقول بها بملء اليقين، إذ أعلم أن الإسلام قد أحلها في محلها الصحيح"[٩].

ويقول الشيخ متولي الشعراوي: "إنما اصطفاها على نساء العالمين، يعنى لا توجد أنثى في العالمين تشاركها فما اصطفيت له، لأنها الوحيدة في العالمين التي ستلد بدون ذكر من أبوه، وهذا لم تشاركها فيه أنثى" [١٠].

٢

القاديانية
وصلب المسيح

إدعى الغلام أحمد أنه المسيح الموعود، وحتى يستطيع أن يثبت هـذا الإدعاء، كان يجب أن يُصلب المسيح، ولكن لا يموت على الصليب، بـل يُغمى عليه ثم يُدفن، ثم يهرب من القبر ويذهب إلى الهند* ، وهنـاك فـي كشمير يموت موتاً طبيعياً(١١)، ويكون له قبر معروف فـي سـرنجار(١٢)، وعند ذلك يستطيع الغلام أن يفسر على هواه عودة المسيح ثانيـة -كمـا أوضحها القرآن والأحاديث النبوية- بأنها عودة روحية وأنه هو المسـيح الموعود الذي أتى بهديه وتعاليمه.

وقد سار على هذا المنوال أتباعه من بعده، فقال الميرزا محمود أحمد: "إن الزمان قد تغير الآن فالمسيح عيسى الذي بُعث من قبل، صلبه الأعداء، ولكـن جاء المسيح الجديد ليهلك أعداءه" (١٣). وقال أيضاً: "إن المسـيح الأول صلبـه اليهود، ولكن ميرزا غلام أحمد يصلب يهود هذا العصر"(١٤).

- وكتب محمد ظفر الله خان، تحت كلمة عيسى في ترجمته لمعـاني القرآن: " إن عيسى وُضع على الصليب ولكنه لم يمت، بل أصابه إغمـاء شديد وأُنزل وهو في هذه الحالة" (١٥).

وكتب مالك غلام فريد: "إن اليهود عملوا على قتل عيسى مصلوبـاً، ولكنهم فشلوا، إذ بعد أن وضعوه على الصليب فعلاً، أنزل حياً وإن كـان شبيهاً بالميت".

ويقول في تعليقه رقم ٤٢٣ " خطط اليهود لقتل عيسى مصلوبـاً، وقضى الله ألا يموت كذلك، وأن ينجو من الموت على الصليب، فأُنزل

---

* في الملحق سوف تناقش هذه القضية في تعليقنا على كتاب "المسيح الناصري في الهند" للميرزا غلام أحمد.

حيا ومات طبيعيا في كشمير بعيدا عن مسرح الصليب". ويقـول فـي تعليقه على سورة النساء ١٥٧: "(ما صلبوه) يعني أنه لم يمـت علـى الصليب، والآية لا تنفي الحقيقة أن عيسى وضع على الصيلـب ودق جسده فيه، وإنما تنفي أنه مات على الصليب، ومعنى (شـبه لـهم) أن اليهود شبه لهم أن عيسى مات على الصليب"(١٦).

ويردد أحمد ديدات مثل هذه المقولة كما أوردها في أحـد كتبـه (١٧)، مدعيا وجود ثلاثين دليلا على أن المسيح لم يمت على الصليب وأنزل حيا.

ويرى نبيل الفضل: "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسـول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا" (النساء١٥٧). فهنا نجـد أن القرآن يقول: إن عيسى لم يصلب ولم يقتل، وإنه إنما شبه للناس ذلك. وأن الذين اختلفوا في قصة قتله في شك ليس لهم فيه إلا اتباع الظن، وأنهم ليسوا على يقين من قتل عيسى، ومفسرو القرآن -كما في تفسير الجلاليـن مثلا- يقولون إن اليهود صلبوا شخصا يشبه "عيسى" وظنوا أنـه المسـيح فقتلوه في حين أن المسيح قد رفع إلى الله.

والسؤال الذي يحيرني هو: هل من المعقول أن يخطئ اليهود فيطلبون ويعتقلون ويقتلون إنسانا آخر لمجرد أنه يشبه "عيسى" ولو كان هناك إنسان يشبه عيسى ويعيش في مكان قريب من "عيسى" أما كـان هـذا الإنسـان معروفا ومشهورا لشبهه بعيسى".

لم أقتنع بقصة الشبه هذه أو بالأحرى لم أقتنع بتفسير مفسري القـرآن في قتل عيسى فرأيت البحث في الموضوع منذ البداية لأرسم الصورة التي مات عليها المسيح" (١٨).

ثم بعد البحث وصل إلى النتيجة التالية: "ما قتلوه وما صلبـوه ولكـن شبه لهم" هنا كان خطأ مفسري القرآن في صلب وقتل المسيح، فكلمة (شبه

لهم) لم تكن تعني أنه كان هناك إنسان شبيه بعيسى، وصلبه اليهود ظناً منهم بأنه المسيح، فكلمة (شبه لهم) تعني أنهم اشتبهوا في موته، ولم يتيقنوا من موته، لذلك تنتهي الآية بقوله سبحانه وتعالى: "وما قتلوه يقيناً" (١٩).

الرد:

إن عقيدة موت المسيح على الصليب هي لب العقيدة المسيحية، وأن أي محاولة لهدم هذه العقيدة هي بالتالي محاولة لهدم كل العقائد المسيحية، فبدون موت المسيح على الصليب، ما كان هناك داع للتجسد، ولولا التجسد ما أُعلنت لنا بوضوح عقيدة الثالوث، وبدون موت المسيح على الصليب، فكيف تكون القيامة، وإذا لم يكن المسيح قد قام من الأموات فباطلة هي كرازتنا وباطل هو إيماننا، الذي هو قمة العقيدة المسيحية، بل أن إنكار موت المسيح على الصليب هو إنكار لصحة الكتاب المقدس الذي أعلن هذه الحقيقة. ويرى جون والفورد أنه "ليس هناك حادث في الزمن أو الأبدية يقارن بالأهمية الفائقة لموت المسيح على الصليب، فالأعمال الهامة الأخرى من أعمال الله مثل خليقة العالم، وتجسد المسيح وقيامته والمجيء الثاني وخلق السماء الجديدة والأرض الجديدة تصبح بلا معنى إذا لم يكن المسيح قد مات. والدارس الأمين لعقيدة لاهوت المسيح لا يمكن أن يهرب إذا من مسئولية الدراسة الدقيقة لهذه العقيدة، حيث أنها ليست فقط قلب التبشير بالإنجيل، ولكن بدونها تصبح التعاليم الأخرى كعقيدة لاهوت المسيح، غير ذي معنى.. وفي موته أعلن المسيح سمو قداسة الله وبره، وأيضا محبة الله التي حثته على التضحية، وبموته أعلن كذلك حكمة الله غير المحدودة حيث أنه لا يمكن لعقل بشري أن ينكر طريقة خلاص كهذه، إن الله وحده غير المحدود يرضى أن يضحي بابنه" (٢٠).

وفيما يلي سوف نقدم دراسة موجزة عن نظرية الإغماء® والرد عليها.

نظرية الإغماء:

في القرن الثامن عشر انتشر النقد العصري للكتاب المقدس، حتى تعرضت كل كلمة في الكتاب المقدس للنقد المر. وبدأ التشكيك في كل شئ في المسيحية، وقد أنفق "ماثيو أرنولد" شطراً كبيراً من وقته محاولاً ابتكار مسيحية لا معجزة فيها في إنجيله الشهير "التعقل العذب" Sweet Reasonableness (٢١). ولوجود العنصر المعجزي في قيامة المسيح من الموت، فقد تعرضت حادثة موت المسيح على الصليب وقيامته من الموت للنقد العصري في محاولة للتخلص من الجانب الإعجازي، وانتشرت آراء كثيرة تفند هذا الحدث، مثل ما نادى به صموئيل ريماوس(٢٢) بأن موت وقيامة المسيح هو من اختراع التلاميذ، وما أعلنه شلير ماخر(٢٣) (من المدرسة العقلية في المانيا في القرنين الثامن والتاسع عشر) في كتابه "حياة يسوع" الذي نُشر بعد موته وفيه أنكر المعجزات وخاصة قيامة يسوع وذكر أنها رجوع إلى الوعي بعد إغماء طويل.

وقد نادى بهذه النظرية أيضاً في القرن التاسع عشر الناقد الألماني فنتوريني، وفي منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥١م)، ظهر في السويد كتاب" صلب يسوع بقلم شاهد عيان" وهو عبارة عن رسالة كتبت بعد صلب المسيح بسبع سنوات بمعرفة شيخ أسيني من الأسينيين المقيمين في أورشليم إلى شيخ أسيني آخر جاء فيها: "..لم تحدث قيامة ولكن الأسينيين أفاقوا يسوع من إغمائه بعد صلبه، ثم عاش ستة شهور أخرى قبل أن يموت"(٢٤).

® سبق لكاتب هذه السطور دراسة هذا الموضوع بالتفصيل في كتابه: "موت أم إغماء".

وما زال صدى هذه الأقوال يتكرر في القرن العشرين، فقد نادى بها الكاتب الألماني "كورت بيرنا" عندما أعلن أن "كفن تورينو" يثبت أن المسيح لم يمت على الصليب وأن القيامة ما هي إلا مجرد صحوة إنسان في القبر(٢٥).

وفي عام ١٩٩١م نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان "المسيح لم يمت على الصليب" نظرية جديدة تتحدث عنها بريطانيا. فقد نشر في مجلة الكلية الملكية للأطباء في بريطانيا دراسة تؤكد أن المسيح لم يمت على الصليب وأنه أصيب فقط بالإغماء، أو أنه كان يتظاهر بالموت. هذه النظرية يقدمها طبيب متقاعد، كان يعمل رئيسا للمستشارين بوزارة العدل اسمه تريفور لويد دافيز وزوجته مارجريت المتخصصة في علم اللاهوت.

وقد نشرت هذا الخبر جريدة التايمز البريطانية نقلا عن مجلة الكلية الملكية للأطباء البريطانية وعنها نقلته جريدة الأخبار القاهرية (٢٦).

وملخص هذه النظرية: "إن المسيح لم يمت على الصليب، بل أغمى عليه فقط بسبب الألم، ولما كانت المعرفة الطبية في ذلك الوقت محدودة، فقد حسبوه مات، ووضعوه في القبر، وبسبب برودة القبر والحنوط، فقد أفاق من إغمائه وخرج من القبر وظهر لتلاميذه، وهم ظنوه قد مات فعلا، وأوحى إليهم بفكرة قيامته" (٢٧).

وقد وصل هذا الفكر إلى الهند -لأنها كانت تحت الاحتلال البريطاني- وعرف الميرزا غلام أحمد هذه النظرية فاستغلها لأنها تخدم أغراضه في دعواه أنه المسيح الموعود، وقد ذكر هذا الإدعاء في كتابه "براهين أحمدية" ثم ذكرها أتباعه مثل محمد علي، محمد ظفر الله خان، ومالك غلام فريد في تراجم معاني القرآن، وينشر هذه الفكرة اليوم الداعية القادياني أحمد ديدات(٢٨)* ، ونبيل فضل وغيرهم.

* انظر ملحق تحت عنوان "موقف أحمد ديدات من قضية الصليب".

الرد على هذه النظرية:

فيما يلي سنورد الأدلة على موت المسيح على الصليب:

(١) نبوات العهد القديم:

إذ نتصفح العهد القديم من التكوين إلى ملاخي نجد الكثير من النبوات عن المسيح وقد سبق وأوضح لنا المسيح أهمية معرفة هذه النبوات التي تحدثت عنه، فقال "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي تشهد لي" يو٥: ٣٩. وبعد قيامته من الأموات تحدث مع تلميذي عمواس: "ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" لو٢٤: ٢٧.

والنبوات هي كلمة الله، ويجب أن تتم حسب قول المسيح: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" لو٢٤: ٤٤. وهنا سوف نقتبس بعض هذه النبوات:

- مز٢٢: ١٢-١٨ وقد اقتبس المسيح وهو على الصليب هذا المزمور لنفسه ولبيان تحقيق هذه النبوات اقرأ مت ٢٧:٢٧-٣٨، لو٢٣: ٣٣-٣٤، يو١٩: ١-٢٤.

- مز٣٤: ٢٠ "يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر"، في تحقيق هذه النبوة، اقرأ يو١٩: ٣٢-٣٣.

- مز٦٩: ٢١ "وفي عطشي يسقونني خلاً" اقرأ يو١٩: ٢٨.

- مز١٢٩: ٣ "على ظهري حرث الحراث. طولوا أتلامهم" أي جرحوا ظهري جروحاً عميقة، فصار كخطوط المحراث الطويلة في حقل محروث". الاتمام في مت٢٧: ٢٦.

- إش٥٣ كل الإصحاح نبوات عن معاناة المسيح على الصليب، لـذا يجب قراءته بالكامل (ع ٩وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موتـه.. ع ١٢ سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة، وهو حمـل خطيـة كثـيرين وشفع في المذنبين) في تحقيق واتمام هذه النبوات. ارجع إلـى مـت ٢٧: ٢٨، لو٢٣: ٦٣-٦٤، يو١٩: ٣٤، ١بط٢: ٢٣-٢٥.

هذه قطرة من بحر النبوات عن المسيح وموته على الصليب في العـهد القديم، وقد شهد لذلك المسيح عند القبض عليه "وأما هذا كله فقد كان لكـي تكمل كتب الأنبياء" مت٢٦: ٥٦.

(٢) إعلان المسيح عن موته:

لقد شهد المسيح لحقيقة موته على الصليب، ولا يجرؤ إنسـان علـى إتهام المسيح بالكذب والخداع فهو وحده المعصوم من الخطية.

أ - إخبار المسيح بموته على الصليب قبل الصلب:

سبق المسيح وأخبر تلاميذه بموته على الصليب، اقرأ مـت١٦: ٢١، مت١٧: ٩، مت٢٠: ١٧-١٩، واقرأ أيضا مت٢٦: ١، مر٨: ٣١، مر٩: ٣١، مر١٠: ٣٣-٣٤، لو٩: ٢٢، لو١٨: ٣١-٣٤.

ب - تأكيد المسيح لحادثة موته على الصليب بعد قيامته من الموت:

بعد أن قام المسيح من الموت وفي أثناء حديثه مع تلميذي عمـواس قـال لهما: "أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومـن جميـع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" لو٢٤: ٢٥-٢٧.

وبعد ذلك ظهر لتلاميذه وقال لهم: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنـا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في نـاموس موسـى

والأنبياء والمزامير، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث" لو٢٤: ٤٤-٤٦.

جـ - تأكيد المسيح للنبوات التي أخبرت عنه في العهد القديم:

لقد رأينا -فيما سبق- أن العهد القديم قد تنبأ عن موت المسيح على الصليب، وقد أكد المسيح صدق هذه النبوات (ارجع إلى مت٢٦: ٥٦، لو٢٢: ٣٧، يو٥: ٣٩-٤٧، يو١٥: ٢٥).

(٣) شهادة الأناجيل:

إن الذين يؤمنون بما أوحى به الله في البشائر الأربعة عن ابنه لا يشكون في صحة الحقائق الواردة فيها، لأن الروح القدس يشهد بحقيقة وقوعها، وهم يعرفون مع بطرس الرسول أن كل الحوادث عن الآم المسيح وموته وقيامته ليست "خرافات مصنعة" بل حقائق واقعة.

وحادثة صلب المسيح وموته التي تذكرها البشائر الأربعة لا تترك مجالاً للشك في حقيقتها. لقد طلب اليهود شهود زور ليقتلوا المسيح (مت٢٦: ٥٩، مر١٤: ٥٦-٥٧)، وتشاوراعلى قتله (مت٢٧: ١)، ثم حكموا أنه مستوجب الموت (مت٢٦: ٦٦، مر١٤: ٦٤)، وأسلموه للموت (مت٢٧: ٢٦)، رغم أن بيلاطس صرح بأنه لم يجد فيه علة واحدة للموت (لو٢٣: ٢٢)، والمسيح أطاع حتى الموت، موت الصليب (في٢: ٨)، وقد تعجب بيلاطس أنه هكذا مات سريعا (مر١٥: ٤٤)، ولذلك لم يكسر الجنود ساقيه (يو١٩: ٣٣)، ودفن المسيح في القبر (مت٢٧: ٦٠، مر١٥: ٤٦، لو٢٣: ٥٣)، وبعد ثلاثة أيام قام من الأموات (مت٢٨: ٦-٧، مر١٦: ٦، لو٢٤: ٥-١٠). ولما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه سبق وأخبرهم بذلك (يو٢٠: ٩).

وهكذا نرى أن أحداث الصلب وموت المسيح وقيامته تحتـــل جـزءا كبيرا من الأناجيل الأربعة، ففي إنجيل متى نجد أصحاحي ٢٦، ٢٧عـــن الصليب، مؤكدا موت المسيح "فصرخ بصوت عظيم وأسلم الــروح" مــت ٢٧: ٥٠. وإنجيل مرقس يسجل هذا الحادث في أصحاحي ١٤،١٥ مؤكـدا موت المسيح على الصليب في (مر١٥: ٤٣-٤٤)، وتعجب بيلاطس لموت المسيح السريع وتأكيد هذا الموت بسؤال قائد المئة المسئول عن هذا.

وسجل لوقا أحداث الصليب في أصحاحي ٢٢،٢٣ مؤكدا موت المسيح "ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولمــا قال هذا أسلم الروح" لو٢٣: ٤٦.

أما إنجيل يوحنا فنصفه تقريبا يتحدث عن أســبوع الآلام وأصحاحــا ١٨، ١٩ يتحدثان عن صلب وموت المسيح، مؤكدا مــوت المســيح فــي (يو١٩: ٣٠)، ويضيف برهانا آخر بأنه عندما آتى الجنود ليكسروا ســاقي المسيح ليعجلوا بموته لم يكسروهما لأنهم قد وجدوه قد مات (يو١٩: ٣٣)، ثم يقول: "والذي عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق" يو١٩: ٣٥، فيوحنا يؤكد أنه شاهد عيان. ولوقا يقول أنه تسلم هذا من الذين كـانوا معاينين منذ البدء وأنه قد تتبع كل شئ بتدقيق (لو١: ١-٣).

(٤) شهادة تلاميذ ورسل المسيح:

في أكثر من عشرين سفراً من أسفار الكتاب المقدس (العهد الجديد)، شــهد تلاميذ المسيح ورسله لحقيقة موت المسيح على الصليب ونكتفي هنا بشهادتين:

أ - شهادة الرسول بطرس:

لما أخبر المسيح تلاميذه بأنه سوف يموت على الصليــب (مــت١٦: ٢١)، أحس بطرس بشناعة هذا الأمر، لذا قال للمسيح: "حاشاك يــارب لا

يكون لك هذا" مت ١٦: ٢٢، بل أن بطرس المقدام الجرئ أنكر معرفته بالمسيح، ولكن بعد أن تم هذا وتأكد من موت المسيح وقيامته، امتلأ قوة كشاهد عيان وصرح بهذا الحق في مواجهة الجميع بلا خوف (أع٢: ٢٢-٢٤، أع٤: ١٠، أع٥: ٣٠، أع١٠: ٣٦-٤١). وقد أوضح في رسالته، أن موت المسيح هو موضوع المشورة الأزلية أي أنه معروف قبل تأسيس العالم (١بط١: ١٩-٢٠)، وأنه بموت المسيح على الصليب تمت الذبيحة الكفارية لإجلنا (١بط٣: ١٨). وأصبح لنا رجاء حي بقيامة المسيح من الأموات (١بط١: ٣).

ب - شهادة الرسول بولس:

لقد كتب الرسول بولس كثيراً جداً في رسائله عن موت المسيح، وأعلن أن المسيح قد مات لأجلنا نحن الخطاة (رو٥: ٦-٨، رو٦: ٩-١٠، ١تس٥: ١٠)، "وبموته صالحنا مع الآب وأعطانا أن نكون قديسين وبلا لوم أمامه" (كو١: ٢١،٢٢)، وأن المسيح مات لكي نعيش نحن له" (٢كو٥: ١٥)، "وأن قيامته من الأموات عربون لقيامتنا نحن" (١تس٤: ١٤)، وإن رسالتنا في هذه الحياة هي التبشير بموت المسيح وقيامته، وفي موت المسيح على الصليب ظهرت طاعته الكاملة (في٢: ٨)، ليس هذ فقط بل أظهر بقوة أنه ابن الله بقيامته، من الأموات (رو١: ٤)، وأن هذه هي تعاليم الكنيسة منذ البدء حسب الكتب المقدسة (١كو٥: ٣-٤)، ومن خلال سفر أعمال الرسل، نرى شهادة الرسول بولس الواضحة أمام الجميع عن موت المسيح وقيامته فقد شهد بذلك أمام مجمع بيسيدية (أع١٣: ٢٨-٣٤)، وفي أريوس باغوس للأثينيين (أع ١٧: ٣١)، وأيضاً في قيصرية أمام الملك أغريباس (أع٢٦: ٢٣)، يقول الرسول بولس: "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله" (١كو١: ١٨)،

"لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع وإياه مصلوباً" (اكو٢: ٢)، "إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح" (اكو١٥: ١٤-١٥).

(٥) شهادة الجنود الرومان:

كان القانون الروماني يقدم للمحاكمة كل من يسمح بنزول مصلوب قبل موته، ولذلك تم التأكد من موت المسيح على الصليب. وقد شهد لحقيقة موت المسيح على الصليب:

ا - قائد المئة:

عندما طلب يوسف الرامي من بيلاطس أن يأخذ جسد المسيح بعد موته ليدفنه، سأل بيلاطس قائد المئة، ولما عرف منه أن المسيح مات، وهب الجسد ليوسف (مر١٥: ٤٣-٤٥).

ب - الجنود الرومان:

طبقاً للشريعة اليهودية لا تبيت جثة المصلوب على الخشبة، بل تدفن في نفس اليوم (تث٢١: ٢٢، ٢٣)، وإذ كان الاستعداد ليوم السبت وهو حسب التوقيت العبري يبدأ في الساعة السادسة مساء (مر١٥: ٤٢، يو١٩: ٣١)، لذلك سأل اليهود بيلاطس أن يكسروا سيقان المصلوبين، لكي يعجلوا بموتهم حتى يتم الدفن، وعندما جاء الجنود لكسر ساقي المسيح وجدوه قد مات وبهذا شهد الجنود الرومان (يو١٩: ٣٣-٣٤).

(٦) طعن المسيح بالحربة:

عندما أتى الجنود الرومان لكسر ساقي المسيح، وجدوه قد مات. ولتأكيد موته طعنه أحدهم بحربة في جنبه (يو١٩: ٣٣-٣٤)،فللوقت خرج دم وماء (يو١٩: ٣٤).

وخروج دم وماء هو دليل موت المسيح، فالواضح أنه إذا تمت الطعنة والمسيح على قيد الحياة لخرج الدم على دفعات مع كل انقباضة للقلب، وليس دم وماء، فهذا لا يمكن حدوثه والمسيح على قيد الحياة وقد اخترقت الحربة حتى وصلت إلى القلب وخرج دم والدم من القلب والماء هو السائل التيموري.

(٧) شهادة التاريخ:

إننا كمسيحيين نؤمن بوحي الكتاب المقدس، ولذلك فشهادته عن موت المسيح على الصليب كافية لإيماننا القلبي واقتناعنا العقلي، ويشهد لهذه الحقيقة الروح القدس ويؤيدها اختبارنا المسيحي، فكما قام المسيح من الموت أقامنا معه.

فحقيقة موت المسيح واضحة معلنة لكل من يريد أن يؤمن، ولكن إزاء الهجوم على هذه الحقيقة، نجد لزاماً علينا أن نبرهن على إيماننا، ليس فقط من كتابنا المقدس، بل أيضاً من كتب التاريخ، ليس لأن كتب التاريخ هى مصدر إيماننا، بل كبرهان إضافي، لأن موت المسيح وقيامته فضلاً عن أنهما حقيقتان كتابيتان معلنتان، فهما حدثان تاريخيان قد حدثا وأثبتتهما كتب التاريخ.

أ – شهادة المؤرخين الرومانيين واليونانيين:

لقد شهد لموت المسيح المؤرخ الروماني "تاسيتوس" في كتاب "الحوادث فصل١٥: ٤٤" عند حديثه عن حريق روما: "وأما أولئك الناس –الذين كان يعدمهم نيرون– كانوا يدعون مسيحيين نسبة إلى شخص اسمه المسيح، كان بيلاطس البنطي قد حكم عليه بالقتل في عهد طيباريوس قيصر" (٢٩)، وأيضاً شهد لحقيقة موت المسيح المؤرخ اليوناني "لوسيان" في كتابه "موت بيريجرنيون" قال: "إن المسيحيين لا زالوا يعبدون ذلك الرجل العظيم الذي صُلب في فلسطين لأنه أدخل إلى العالم ديانة جديدة" (٣٠).

ب - شهادة اليهود:

١ - شهادة التلمود: جاء في التلمود المطبوع في أمستردام سنة ١٦٤٠م. ص٣٠ في فصل السنهدرين "أن يسوع قد صُلب قبل الفصح بيوم واحد، ونودى أمامه مدة أربعين يوماً أنه سيُقتل لأنه ساحر وقصد أن يخدع إسرائيل ويضله، وبما أنه لم يتقدم أحد للدفاع عنه، صُلب المسيح في مساء عيد الفصح" (٣١)

٢ - شهادة يوسيفوس: وهو مؤرخ يهودي عاش في القرن الاول الميلادي كتب: "وكان في هذا الوقت -زمن هيرودس انتيباس- إنسان حكيم اسمه يسوع، وكان يصنع المعجزات الباهرة العديدة، ويعلم الناس الراغبين في الحقيقة، وقد اجتذب إليه عدداً من اليهود ومن الأمم أيضاً، هذا كان المسيح وقد وشى به زعماء طائفتنا إلى بيلاطس، فأماته على الصليب، لكن الذين أتبعوه أولاً لم يكفوا عن حبه، وقد ظهر لهم حياً في اليوم الثالث لموته، كما سبق الأنبياء الإلهيون فنادوا بذلك، وبأمور عديدة في شأنه، ونسبة إليه سميت طائفة المسيحيين التي لا تزال إلى هذا اليوم"(٣٢)

جـ - شهادة الآباء المسيحيين:

لقد شهد لحقيقة موت المسيح على الصليب آباء الكنيسة الذين عاشوا في القرون الأولى مثل أغناطيوس أسقف أنطاكية وتلميذ الرسول يوحنا، وبوليكارب أسقف أزمير في القرن الثاني الميلادي، وترتليان أسقف قرطاجنة في القرن الثاني، ويوستينوس وغيرهم.

(٨) الأدلة الاثرية:

هناك كثير من الأدلة الأثرية التي تشهد على صحة موت المسيح مثل:

أ – مخطوطات الكتاب المقدس.

ب – صورة الحكم بصلب المسيح.

جـ – التقرير الذي رفعه بيلاطس البنطي إلى الأمبراطور طيباريوس قيصر.

د – كفن المسيح.

وسنكتفي هنا بالحديث عن "شهادة الأكفان" يو ١٩: ٣٨–٤٠

كانت عادة اليهود في تكفين الميت بأن يُغسل ثم يُلف بالإكفان، وتوضع الأطياب بين طيات الأكفان لحفظ الجسد، وكانت الأكفان تتكون من جزئين، جزء يوضع على الجسد كله، والجزء الآخر على الرأس فقط (يو ١١: ٤٤)، وقد وضع حول جسد المسيح كمية كبيرة من الأطياب حوالي ٧٥ رطلاً، وكانت الأطياب تلصق بالكفن والجسد معاً، بطريقة يصعب معها نزع الكفن عن الجسد، ولقد أوضح الرسول يوحنا ذلك "ولفاه بأكفان مع الأطياب" أي أن الأطياب وضعت بين طيات الكفن. وهنا يحق لنا أن نسأل:

١ – هل لو وضع المسيح حياً –مُغمى عليه فقط– في القبر وهو ملفوف بالأكفان والأطياب، ألا يؤدى هذا إلى موته؟

٢ – هلى في أثناء عملية التكفين والدفن لم يظهر على المسيح أي علامة (مثل التنفس) تدل على أنه ما زال على قيد الحياة؟

ومن الأكفان نرى أن المسيح قد قام من الموت بطريقة معجزية، ولم تكن إفاقة من إغماء فعندما أتى بطرس ويوحنا فجر الأحد إلى القبر وجدا:

أ – الأكفان موضوعة.

ب – المنديل، الذي على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً في موضع وحده "فرأى وآمن لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب، أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" يو ٢٠: ٨–٩.

والسؤال هنا كيف استطاع يسوع وهو مثخن بالجراح أن يتخلص من الأكفان التي كانت تلتف حول جسده وتلتصق به التصاقاً شديداً بسبب المر والحنوط الموضوع بين طيات هذا الكفن. إن الوضع الذي رتبت به الأكفان، كان معجزياً، ولذلك عندما رآها يوحنا وبطرس بهذه الكيفية آمنا وتأكدا أن المسيح قام من الأموات بطريقة معجزية.

قال هنري لآثام [٣٣]، فيما اسماه "شهادة الأكفان":"هذه شهادة لا تحطم نظرية الإغماء فحسب، بل تحطم كل نظرية تفسر عقيدة القبر الفارغ تفسيراً غير معجزي، فمن دراسة (يو ٢٠: ٤-٨)، اقتنع لآثام بأن ترتيب الأكفان في القبر كان عجيباً، فالمعنى اليوناني لكلمتي (موضوعة، وملفوفة) يدل على أن الأكفان في القبر كانت مرتبة، فلم تكن ملقاة جانباً، كما أنها لم تطبق معاً، بل كانت الأكفان في مكانها، كما كانت عندما كان جسد يسوع في القبر. كل ما حدث أن الجسد خرج منها وبقيت الأكفان كما كانت عندما كان الجسد موجوداً، فعندما قام المسيح من الأموات، خرج من الأكفان وهي في مكانها، فنامت الأكفان على الأرض، لأنه لم يعد في داخلها جسد، ولأنها كانت محملة بمائة منا (حوالى ٧٥ رطلاً) من المر والعود، أما المنديل وقد كان صغير الحجم، وغير محمل بالأطياب، وبعد ثلاثة أيام من استخدامه تُرك وحده"

فلا يعقل أن المسيح بعد أن أفاق من إغمائه رتب الأكفان بهذه الطريقة، قبل أن يخرج ويهرب. بل لماذا رتبها؟ ومن أين كان له الوقت وهو يريد الهروب أن يقوم بهذه العملية؟ كيف يقوم بإزالة الأطياب وفك الأربطة من حوله ويداه أصلاً مربوطتين؟ هل شارك يسوع في خدعة القيامة من الموت، وهو المعصوم من الخطأ والخطية؟

بلا شك أن الأكفان وترتيبها برهان أكيد على أن المسيح قد قام من الموت بطريقة معجزية.

(٩) ظهورات المسيح دليل على موته على الصليب:

إن ظهورات المسيح لتلاميذه بعد قيامته من الموت، تهدم بالكامل نظرية الإفاقة من الإغماء، والكتاب المقدس يعلن لنا أن المسيح ظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً مكلماً إياهم عن أسرار الملكوت (أع١: ٣)، وأنه قد ظهر لكل من مريم المجدلية (مر١٦: ٩، يو٢٠: ١٤)، وللنساء الراجعات من عند القبر (مت٢٨: ٩-١٠)، ولبطرس (لو٢٤: ٣٤، ١كو١٥: ٣٥)، ولتلميذي عمواس (لو٢٤: ١٣-٣٢)، وللرسل في غياب توما (لو٢٤: ٣٦-٤٣، يو٢٠: ١٩-٢٥)، وللرسل في حضور توما (يو٢٠: ٢٦-٢٩)، وللسبعة تلاميذ عند بحيرة طبرية (يو٢١: ١-٢١)، وليعقوب (١كو١٥: ١)، وللأحد عشر تلميذاً (مت ٢٨: ١٦-٢٠، مر١٦: ١٤-٢٠، لو٢٤: ٣٣-٥٢).

- وهؤلاء بالطبع شهود عيان لا نستطيع أن نكذب شهادتهم بأن المسيح ظهر لهم بطريقة معجزية، وليس كشخص قد فاق من إغماء.

- إن انقطاع الأخبار عن حياة المسيح وتوقف خدمته برهان أكيد على خطأ نظرية الإفاقة من الإغماء، فلا يصح أن المسيح الذي كان يجول يصنع خيراً ويشفي المرضى، والذي أمر تلاميذه بأن ينشروا رسالته في كل العالم (مت ٢٨: ١٩، مر١٦: ١٥)، لا يصح أن ينهي رسالته بهذه الطريقة ويترك تلاميذه ويهرب، ويتوقف عن الرسالة التي من أجلها جاء من السماء.

- ولا يعقل أن المسيح الذي تحدى الكهنة اليهود وندد بتقاليدهم في كل مكان وأمر تلاميذه أن لا يخافوا من الذين يقتلون الجسد، لا يعقل أن يترك تلاميذه ويهرب خوفاً من اليهود، بل لقد شهد لحقيقة موته وقيامته، وأعطى الوعد لتلاميذه "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" مت ٢٨: ٢٠.

- إن جسد المسيح المقام من الموت له إمكانيات لم تتوافر للجسد الطبيعي (إذا كان قد أفاق من إغمائه كما يدعون).

وقد سجل لنا الوحي المقدس في الأناجيل الأربعة حادثة القيامة (مت٢٨، مر١٦، لو٢٤، يو٢٠)، وبلا شك أن حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات أمر يفوق إدراكنا، ولا نستطيع أن نفهمه بعقولنا البشرية المحدودة، ولكن يجب قبوله بالإيمان، لقد كان الجسد المقام:

أ - أقوى من الحواجز الطبيعية، فقد كان يستطيع الدخول والخروج والأبواب مغلقة (يو٢٠: ١٩).

ب - لم يكن الجسد في حاجة إلى ما تحتاجه الأجساد البشرية مثل الراحة والطعام، وإن كان المسيح قد أكل، فذلك ليس لحاجته، بل لإقناع تلاميذه أنه جسد حقيقي، وليس روحاً أو شبحاً (لو٢٤: ٤١-٤٢).

جـ - لقد تخلص هذا الجسد من قيود الزمان والمكان، فقد ظهر في أماكن متفرقة متباعدة وفي أوقات متقاربة، وكانت ظهوراته منظورة وملموسة، أي كان له المقدرة على الظهور والاختفاء حسب إرادته (لو٢٤: ١٥، يو٢٠: ١٩)، وهذا دليل على أن هذا الجسد، ليس جسداً قد أفاق من إغماء، بل هو جسد القيامة الممجد، الذي يتصف بصفات تختلف عن صفات الجسد البشري العادي.

(١٠) أدلة منطقية وعقلية على موت المسيح على الصليب:

هناك الكثير من الأدلة المنطقية على موت المسيح على الصليب، نكتفي منها بما يلي:

١ - صمت الأعداء.

٢ - لعنة الصليب.

٣ – عقيدة الكنيسة.

٤ – التغيير الذي حدث في حياة التلاميذ.

أ – صمت الأعداء:

لقد رأى قيافا في المسيح عدواً لدوداً له يهاجمه علانية، وعندما قام المسيح بطرد الباعة من الهيكل قضى على مصدر عظيم لثروتهم، فلذلك أشار على اليهود "أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب" يو١٨: ١٤. وعندما بدأ المسيح دعوته تبعه جمع كثير ورأى رؤساءالكهنة أن في هذا زوال لمجدهم وسلطانهم لذلك دبروا أن يتخلصوا من المسيح، وبعد صلب المسيح ودفنه طلبوا من بيلاطس أن يختم القبر ويأمر بوضع حراسة عليه لئلا يأتي التلاميذ ويسرقوا الجسد، لأن المسيح قال وهو حي أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام (مت٢٧: ٦٢–٦٦). وبعد قيامة المسيح من الموت أعطوا الحراس فضة وطلبوا منهم أن يقولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوا الجسد وهم نيام (مت ٢٨: ١١–٢٥)، فشاع هذا القول عند اليهود، فلو كان المسيح لم يمت على الصليب وأفاق من إغماء وهرب إلى كشمير، ما كان اليهود يصمتون عن ذلك بل كانوا يعلنونه مواجهة للتلاميذ وهم ينادون أمام الجميع أن المسيح مات وقام، وأين أختفى المسيح بحيث لا يعرف مكانه أحد؟

٢ – لعنة الصليب :

كان الصليب في اليهودية رمز اللعنة كما جاء في تث٢١: ٢٢-٢٣، ولذلك كانت وسيلة الإعدام في الشريعة اليهودية هي الرجم، أما الرومان فكان الصليب عندهم من وسائل الإعدام، ولكنه كان عقاباً للعبيد وسكان المستعمرات وليس للرومان. فكيف تحول الصليب من رمز اللعنة ووسيلة إعدام العبيد إلى رمز الشرف والكرامة والرحمة والرجاء؟ إن الجواب الوحيد هو أن المسيح مات على الصليب وافتدانا من لعنته "فإن كلمة

الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله" (١كو١: ١٨)، "وصار الصليب هو فخرنا" (١كو٢: ٢)، وصار المسيحيون منذ ذلك الوقت ينقشون رسم الصليب على أيديهم ومعابدهم ومقابرهم وبه يزين الملوك تيجانهم.

٣ – *الكنيسة وعقيدتها:*

"إن التعاليم الكتابية عن شخص المسيح وعمله جوهرية لتوضيح وجود الكنيسة، فبدون موت المسيح لم تكن ذبيحة للخطية ولا خلاص ولا قيامة ولاعنصر من العناصر الأخرى التي تكون مضمون الإيمان المسيحي من البداية، والحقيقة أن الكنيسة استطاعت أن تتحمل قرونا من الاضطهاد وأن تعيش قرونا من الاحتمال والمقاومة، يصعب ايضاحها بعيدا عن نظام اللاهوت النابع من الإيمان بيسوع المسيح كابن الله الذي مات فعلا وقام وصعد إلى السماء" [٣٤].

لقد تأسست الكنيسة المسيحية على أساس موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته من الموت (أع٢: ٢٢-٤١، أع٣: ١١-٢٦، أع٤: ٥-١٢، أع٥: ٢٤-٣٢).

وهناك فريضتان للكنيسة تأسستا على موت المسيح وقيامته وهما:

أ – العشاء الرباني (لو٢٢: ١٩، أع٢: ٤٢، ١كو١١: ٢٦)

ب – المعمودية (كو٢ :١٢)

ويحتفل العالم المسيحي بذكرى موت المسيح وقيامته منذ القرن الثاني الميلادي وحتى الآن.

٤ – *التغيير الذي حدث في حياة التلاميذ:*[٣٥]

لقد تأكد التلاميذ من موت المسيح، لا من جسده الميت فحسب، بل أيضا من جسده المقام، ومن شخص المسيح بعد قيامته من الأموات ولذلك

كان موت المسيح وقيامته هما موضوع تبشيرهم ووعظهم (أع٢: ٢٢-٣٢، أع٣: ١٣-٢٠، أع٤: ٩-١٢، أع٥: ٢٩-٣٢...الخ).

يقول أدولف هارناك -أحد منكري قيامة المسيح- "لقد وثق تلاميذ يسوع أنه لم يبق في القبر ولكن الله أقامه، ولقد لختبروه بأنفسهم أنه قام، كما اختبروا أنه مات فجعلوه مركز وعظهم". فعندما مات على الصليب امتلأ تلاميذه خوفاً ورعباً، فها هو السيد الذي كان يقودهم مرشداً ومعلماً ومدافعاً عنهم في وجه الطغيان اليهودي قد مات. فماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ لا شئ سوى الاجتماع معاً بسبب الخوف من اليهود (يو٢٠: ١٩). وإذ كان المعلم قد مات فماذا يفعل التلاميذ؟ لقد فكر أحدهم أن يذهب للصيد، إلى مهنته الأولى، وقرر البعض أن يذهبوا معه (يو٢١: ٣)، وعندما قام المسيح من الموت وظهر لهم بدل حزنهم فرحاً ويأسهم رجاء وامتلأوا بالشجاعة، وبدأوا كرازتهم بلا خوف في تحد واضح وقدموا ذواتهم للموت في سبيل إعلان شهادتهم، أن المسيح قد مات وقام فهل كان المسيح الضعيف الذي أفاق من إغمائه، وهرب دون مواجهة اليهود، هو الذي أحدث فيهم هذا التغيير وبعث فيهم كل هذا الحماس؟ هذا ما دفع دافيد فردريك ستراوس -أحد رواد النقد العصري ومنكري قيامة المسيح- أن يرد على هذه النظرية قائلاً: "إنه من المحال على شخص تسلل من القبر في حالة من الإغماء والوهن والمرض، وفي حاجة إلى العلاج الطبي وتضميد الجراح والعناية والإسعاف، وفي حالة من الخنوع والاستسلام لآلامه، أنه من المحال أن يطبع شخص كهذا أثره العميق في نفوس تلاميذه ويخدعهم بأنه قاهر الموت والقبر وأنه رئيس الحياة، ذلك الأثر البارز الذي كان أساساً لوعظهم وخدمتهم. إن مثل هذا الانتعاش بعد الإغماء لو أنه حدث، لما كان له هذا الأثر الذي انطبع على نفوسهم في الحياة والموت، ولما بدل أحزانهم غيرة وحماساً ولما حول توقيرهم له سجوداً وتعبداً".

فإن صدقنا "نظرية الإغماء" يجب أن نصدق أن المسيح الذي قام ولم يمت، والذي صارع الألم والجروح حتى النهاية، استعاد وعيه في القبر وفك الأكفان التي كانت تلف جسده بقوة والتي عملت الأطياب

الموضوعة بين طياتها على التصاقها معاً بالجسد بقـوة، ثـم دحـرج الحجر الذي وضع على باب القبر، الذي وصفه إنجيل متى بأنه حجـر كبير (مت٢٧: ٦٠)، وقد سبق ووضعت علـى هـذا القـبر الأختـام والحراس. فكيف هرب من الجنود الذين كانوا يحرسون القبر؟ وهـل شخص بمثل هذه الصورة يستطيع أن يحدث تغييراً هائلاً في تلاميـذه ليقدموا حياتهم في سبيل المناداة بموته؟ هل خدع المسيح تلاميذه وأعلن لهم قيامته من الأموات؟ هل انخدع التلاميذ؟ أم أنهم كـانوا يعرفـون الحقيقة ويخدعون الآخرين؟ هل نصدق أن هؤلاء الرسل الذين غـيروا قيم العالم الأخلاقية يكونون كاذبين؟

إن التغيير الذي حدث في حياة التلاميذ وإعلانهم عن هذه الحقيقة: "أن المسيح مات وقام" هو حقيقة لا تقبل الشك.

(١١) موت المسيح على الصليب ضروري للفـداء والكفـارة فـي العقيدة المسيحية:

"تؤسس العبادات الأخرى عقيدتها على تعليم مؤسسيها، أما المسـيحية فتتميز عن سائر العبادات بما تفرده من أهمية لموت المسيح، لأن المسيحية بدون موت المسيح تنحدر إلى مستوى العبادات الأخرى والوثنية، وإن كان في المسيحية نظام رفيع راق من الأخلاق والآداب إلا أنه بـدون صليـب المسيح، فلن يكون بها خلاص مثل سائر العبادات الأخرى، فالصليب هـو قلب المسيحية، أنه موضوع كرازة الرسل وتعليمهم هـو المسـيح "وإيـاه مصلوباً" (١كو١٨: ٢٣، ١كو٢: ٢، غل٦: ١٤). [٣٦].

إن عقيدتنا المسيحية في موت المسيح على الصليب نؤمن بها لأن هـذا هو وحي الله لنا، وإن بدا منها أمور لا نستطيع أن ندركها بالعقل البشـري

المحدود، ولكنها لاتضاد العقل، إن هذه العقيدة يؤيدها اختبارنا المسـيحي الإيماني خلال العشرين قرناً وتؤيدها شهادة ملايين المسـيحيين الذيـن اختبروا وتأكدوا من موت المسيح.

هذه بعض الأدلة التي أثبتنا من خلالها بما لا يدع للشك مجالاً عـن موت المسيح على الصليب وفندنا فيها إدعاءات "نظرية الإغماء".

٣

القاديانية وعودة المـــسيح ثانـــية

لقد أنكرت القاديانية ممثلة في شخص الغلام مؤسسها و أتباعــــه، عقيــدة عودة المسيح ثانية، لأنه على هذا الإنكار قامت دعوته، أنه هو المسيح الآتي.

فالغلام يرى أن عقيدة عودة المسيح:

١ – باطلة: "أما نزول عيسى من السماء فقد أثبتنا بطلانـــه فـــي كتابنا (الحمامة) وخلاصته أننا لا نجد في القرآن شيئاً في هذا البـــاب غير وفاته"[٣٧].

٢ – جاءت من المسيحيين: "إن عقيدة رجوع المسيح وحياته كانت من نسيج النصارى ومفترياتهم. إن الذين ظنوا من المسلمين أن عيسى نـــازل من السماء، ما أتبعوا الحق، بل هم في الضلال يتيهون" [٣٨].

٣ –المسيح لم يصعد إلى السماء بل مات، لذا فهذه العقيدة لا سند لــها: "فمن سوء الأدب أن يقال إن عيسى لم يمت، وهو شـــرك عظيــم يــأكل الحسنات ويخالف الحياة، بل هو كمثل إخوته مات، كمثل أهل زمانـــه وأن عقيدة حياته قد جاءت في المسلمين من الملة النصرانية" [٣٩].

٤ – غباء من يؤمن بها: "إن بعض الصحابة الذين ليس لهم حصة من الدراية وكانوا من الأغبياء –مثل أبي هريرة الذي كان غبياً، وليـــس لــه دراية جيدة– ويعتقدون بحياة عيسى ونزوله من السماء" [٤٠].

٥ – استعارة وإعلان عن عودته هو: "إن المسلمين والنصارى يعتقـــدون باختلاف يسير أن المسيح بن مريم قد رُفع إلى السماء بجسده العنصري، وأنــه سينزل من السماء، في عصر من العصور، وقد أثبت في كتابي (فتح إســـلام) أنها عقيدة خاطئة، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام –على طريق الاستعارة– بقدوم مثيل المسيح وإن هذا العـــاجز هـــو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام"[٤١].

وقد أثير موضوع عودة المسيح والفكر القادياني في مصر سنة ١٩٤٢م، عندما تقدم هندي يُسمى عبد الكريم خان في القيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط، بسؤال إلى مشيخة الأزهر، جاء فيه: "هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي، وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟".

"وقد صدر العدد رقم ٤٦٣ من (مجلة الرسالة) يوم الاثنين الموافق ١٩٤٢/٥/١م يحمل فتوى الشيخ محمود شلتوت، عنوانها (رفع عيسى) ومضمونها أن عيسى مات موتاً حقيقياً، وأنه لم يُرفع بجسمه إلى السماء، وأنه لا ينزل في آخر الزمان، وأن الأحاديث الواردة في ذلك آحاد، وأن الآحاد لا يُعمل بها في العقائد والمغيبات بالاجماع، وأنها مضطربة اضطراباً لا مجال معه للجمع بينها، وأنها فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وأن درجتهما عند أهل الحديث معروفة -أي أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين- إلى غير ذلك مما جاء في تلك الفتوى" (٤٢).

والشيء المؤسف أن هذا الفكر القادياني وجد من يؤيده في مصر، فقد كتب الشيخ محمد رشيد رضا، تحت عنوان: "القول بهجرة المسيح وموته في بلدة سرى نكرا في كشمير": يوجد في بلدة سري نكرا مقبرة فيها مقام عظيم، يقال هناك، أنه مقام نبي جاء إلى بلاد كشمير من زهاء ألف وتسعمائة سنة يُسمى "يوزأسف" وأن اسمه الأصلي عيسى صاحب، وكلمة صاحب في الهند لقب تعظيم، وأنه من بني إسرائيل وأنه ابن ملك، وأن هذه الأقوال مما يتناقله أهل تلك الديار عن سلفهم وتذكره بعض كتبهم، وأن دعاة النصرانية الذين ذهبوا إلى ذلك المكان لم يسعهم إلا أن قالوا: إن ذلك القبر لأحد تلاميذ المسيح أو رسله، ذكر ذلك بالتفصيل غلام أحمد القادياني الهندي في كتابه الذي سماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) وذكر فيه أنه بالإجمال، وأن تفصيل هذه المسألة يوجد في كتاب معروف هناك اسمه

(إكمال الدين) وذكر أكثر من سبعين اسماً من أسماء أهل ذلك البلد الذين قالوا: إن ذلك القبر هو قبر المسيح عيسى بن مريم* . ورسم صورة المقبرة بالقلم، وأما قبر المسيح فوضعه في الكتاب بالرسم الشمسي (الفوتوغرافي)، مكتوباً عليه "مقبرة عيسى صاحب".

وغلام أحمد هذا يفسر الإيواء في قوله تعالى: "وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين" ٢٣: ٥٠. يفسره بالهجرة إلى الهند والتنجية من الهم والكرب والمصائب والمخاوف. واستشهد بقوله تعالى: "ألم يجدك يتيماً فأوى" ٩٣: ٦، وقوله تعالى: "واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره" ٨: ٢٦، وقوله حكاية نوح: "سأوى إلى جبل يعصمني من الماء" ١١: ٤٣، والربوة المكان المرتفع، وبلاد كشمير من أعلى الدنيا، وهي ذات قرار مكين، وماء معين والمشهور عند المفسرين، أن هذه الربوة هي رملة فلسطين أو دمشق الشام، ولو أوى الله المسيح وأمه إليهما لما خفي مكانهما، ولا سيما إذا كان ذلك بعد محاولة صلبه وتألب اليهود عليه، كما يدل عليه لفظ الإيواء، الذي لم يستعمل في القرآن إلا في الإنقاذ من المكروه، كما علم من الأمثلة المذكورة أيضاً، ومثله قوله تعالى في الأنصار: "والذين أووا ونصروا" ٨: ٧٢، وفي يوسف: "أوى إليه أخاه. قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون" ١٢: ٦٩، وفي آية أخرى: "فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" ١٢: ٩٩.

---

* يرى د. علي عبد الجليل راضي: "إنه مجرد رواية، فقد تخيل الهنود من قبل أن النبي موسى أيضاً مدفون عندهم بقرب بيت بيور في أرض فاب". وقال: إن قصة ذهاب المسيح إلى الهند مشكوك في صحتها. وأن نقطة الضعف في الافتراض هي أن نشاط عيسى قد انقطع منذ ذلك الوقت فلم يدون عنه بعد ذلك شيئاً". المسيح قادم. ص٧٩-٨٣.

ولم يكن قبل تألب اليهود عليه والسعي لقتله وصلبه في مخافة يحتاج فيها إلى الإيواء في مأمن منهم، ففراره إلى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلاً ولا نقلاً"(٤٣)

الرد:

بعد أن صدرت فتوى الشيخ شلتوت قام بالرد عليها الشيخ عبد الله الغماري (٤٤)، والشيخ محمد زاهد الكوثري (٤٥)، والشيخ محمد حامد الفقي(٤٦)، وغيرهم من الشيوخ الأجلاء، وفندوا ما جاء في هذه الفتوى، وأكدوا رفع المسيح الجسدي وعودته مرة ثانية وكونه علم الساعة.

والشيخ محمد رشيد رضا نفسه بعد أن عرف الحقيقة كتب: "إن غلام القادياني لا يوثق بنقله ولا بعقله كما يعلم من كتبه المتناقضة، وقد كان يدّعي أنه المسيح عيسى بن مريم الذي أنبأت الأحاديث بأنه سينزل آخر الزمان من السماء وأنه يوحى إليه، ونشر من وحيه الشيطاني في كتبه كثيراً من النثر والشعر الشخصي، ويتأول الأحاديث الواردة في المسيح تأويلات لا تقبلها اللغة العربية أن تدخل في باب من أبواب الحقيقة ولا المجاز ولا الكناية، وإنما عني بما نقله عن مقبرة كشمير، لأنه يستدل به على زعمه أنه هو المسيح المنتظر، وقد فندت دعواه الخرافية في مقالات نشرتها في المنار، كان لها تأثير عظيم في الهند، ونقلتها الجرائد وترجمتها، واضطر هو إلى الرد عليها بل الهجاء لي بوحيه الشيطاني بما يسخر منه العقلاء، وكان داعية للدولة البريطانية يمدحها ويقول بوجوب حبها والخضوع لها وتحريم عصيانها، والخروج عليها. وبهذا يتيسر له جمع ثروة كبيرة وعصبية وأتباع يفرقون كلمة المسلمين ويدعون الناس إلى الإيمان بنبوته ومسيحيته، وقد أفتى علماء المسلمين بكفره وكفرهم كفانا الله شرهم" (٤٧).

فالفكر الإسلامي لا يؤيد القادياني ويشكك في صحة دعاوي الغـــلام، فالشيخ محمد أبو زهرة، بعد أن نقل عن تفسير المنار -ما سبق- قـال: إن الغلام أحمد راو يشك في صدقه" (٤٨)، والشيخ عبد الوهاب النجــار قــال: "في رأيي أن دعواه مجيء المسيح إلى الهند أمر يحتاج إلـــى بحــث واف وتحقيق دقيق، ولا يمكن تصديقه إلا بظهور الأمر ظهوراً بيناً قاطعاً لكــل شبهة، ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئاً، لأننا إذا تمشينا مع الأحاديث وجدنا فيها علامات منها أنه يقتل الدجال... وهذا لم يحصل من ذلك الرجل" (٤٩).

ولكي تكون الصورة واضحة سنبين هنا المجيء الثاني للمسيح في الإيمـان المسيحي ثم فكرة مختصرة عن عودة المسيح في الفكر الإسلامي:

أولا: المجيء الثاني للمسيح بحسب المفهوم المسيحي:*

إن عقيدة المجيء الثاني للمسيح حقيقة لا شك فيـــها، ولأنـــها حقيقـــة مؤكدة، فقد أجمع عليها المسيحيون في كل العصور. وهذه الحقيقة معلنـــــة بكل وضوح في الكتاب المقدس وقد ذكرتها إصحاحات كاملة مثل مت٢٤، ٢٥، مر١٣، لو ٢١، ١كو١٥.

(١) حقيقة المجيء الثاني:

لقد شهد لحقيقة المجيء الثاني:

١ - **المسيح نفسه**: ففي إنجيل متى قال المســـيح: "وحينئـــذ تظـــهر علامات ابن الإنسان في السماء، وحينئـــذ تنـــوح جميـــع قبـــائل الأرض

---

* قال الدكتور تورى أستاذ دراسة الكتاب المقدس: "إن النبوات الخاصة بعودة المســـيح ذكرت ١٨٣٠ مرة في العهد القديم، ٣١٨ مرة في العهد الجديد، أي أنها تشغل آية من كل ٢٥ آية" النبوات والمجئ الثاني للمسيح. د. القس لبيب ميخائيل.

ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير" مت٢٤: ٣٠، وأيضاً مت٢٥: ٣١، لو٢١: ٢٧، وفي سفر الرؤيا: "ها آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله" رؤ٢٢: ١٢.

٢ - التلاميذ والرسل:

- الرسول يوحنا: سجل في إنجيله قول المسيح: "إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجئ فماذا لك " يو٢١: ٢٢، وفي رسالته الأولى قال: "ولكن نعلم أنه إذا أُظهر سنكون مثله لأننا سنراه كما هو" ايو٣: ٢، وفي الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة): "فإننا متأكدون أننا عندما يعود المسيح ظاهراً سنكون مثله لأننا سنراه على حقيقته". وفي رؤ١: ٧ "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين".

- الرسول بطرس: يتحدث عن ذلك: "لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني، مع أنه يمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح" ابط١: ٧.

ويؤكد أنه : "متى ظهر رئيس الرعاة -أي المسيح- تنالون إكليل المجد" ابط٥: ٤.

ويحض المؤمنين أن يحيوا "منتظرين وطالبين سرعة مجيء الرب" ٢بط٣: ١٢.

- الرسول بولس: يلفت أنظارنا أننا يجب أن نكون "متوقعين استعلان ربنا يسوع المسيح" (اكو١: ٧)، وأن لا نحكم في شئ "حتى يأتي الرب" اكو٤: ٥، ويجب أن تكون سيرتنا "في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح" في٣: ٢٠، وعلينا كمؤمنين "أن نحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح" اتي٦: ١٤، وأن نعيش "منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع

المسيح" تي٢: ١٣ ويفتخر الرسول بولس بأنه قد وضع له "إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره" ٢تي ٤: ٨. اقرأ: ١كو١٥: ٢٣، ١تس١: ١٠، ١تس٢: ٩، عب٩: ٢٨.

٣ ٠ الملائكة:

بعد قيامة المسيح من الموت، وظهوره لتلاميذه مدة أربعين يوماً (أع١: ٣)، نرى هذا المشهد لصعود المسيح، "فيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان وقفا بهم بلباس أبيض (ملاكان) وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" أع١: ١٠-١١.

(٢) بعض العبارات التي وصف بها المجيء الثاني في الكتاب المقدس: [٥٠]

أ – **استعلان:** وهذا يوضح ظهور المسيح في مجده (١كو١: ٧، ٢تس١: ٧، ١بط١: ٧،١٣، ١بط٤: ١٣).

ب – **ظهور:** لاعلان أن ظهور المسيح هو مجيء الرب (٢تس٢: ٨، ١تي٦: ١٤، ٢تي٤: ١،٨، تي٢: ١٣).

جـ – **مجيء:** وهو أكثر التعبيرات استخداماً في العهد الجديد (مت٢٤: ٣-٢٩، ١كو١٥: ٢٣، ١تس٢: ١٩، ١تس٣: ١٣، ١تس٤: ١٥، ١تس٥: ٢٣، ٢تس٢: ١-٩، يع٥: ٧-٨، ٢بط١: ١٦، ٢بط٣: ٤-٨، ١يو٢: ٢٨).

ملحوظة: لقد ذكرنا هنا أهم وأشهر التعبيرات، دون أن نضع في الاعتبار الاختلافات التي يراها البعض بينها.

(٣) كيفية المجيء:

من خلال الكتاب المقدس نرى أن هذا المجيء:

أ ـ شخصي: أي أن المسيح سوف يأتي شخصيا بذاته، وليس آخر بهديه أو بروحه أو تعليمه كما يرى الغلام وأتباعه.

(يو١٤: ٣، يو٢١: ٢٢-٢٣، أع١: ١-١١، ١تس٤: ١٦-١٧، تي٣: ٢٠-٢١، عب٩: ٢٨، يع٥: ٧، ٢بط٣: ٣-٤، ١يو٢: ٣٨، ١يو٣: ٢-٣).

ب ـ علانية: أي ظاهر ومرئي (مت٢٤: ٢٧-٣٠، مت٢٥: ٣١-٤٦، أع١: ٩-١١،).

جـ ـ مفاجئ: أي في وقت غير معروف وغير متوقع (مت٢٤: ٢٦-٥٨، مت٢٥: ١٣، مر١٣: ٣٣-٣٧، لو٢١ :٣٤-٣٦، ٢بط٣: ١٠).

د ـ قريب وسريع: (عب ١٠: ٣٧، ١بط ٤: ٧، يع٥: ٨-٩)

هـ ـ مع الملائكة: (مت١٦: ٢٧، مت٢٥: ٣١، ٢تس١:٧، يه١٤).

فهل تنطبق هذه الصفات على القادياني يوم أن جاء إلى العالم، هل صاحبت مجيئه جوقة من الملائكة.

(٤) أهمية دراسة عقيدة المجيء الثاني:

١ - مفتاح للأسفار الإلهية:(٥١)

تتخذ عقيدة المجيء الثاني مكانة بارزة ومتميزة عبر الكتاب المقدس كله، فيذكرها العهد الجديد أكثر من ثلاثمائة مرة، مخصصا إصحاحات بأكملها لهذا الموضوع (مت٢٤، ٢٥، مر١٣، لو٢١، ١كو١٥)، كما تكرست أسفار كاملة لهذا الموضوع، (١تس، ٢تس، رؤ).

يعلن الرسول بطرس أن الله تكلم بفم أنبيائه القديسين منذ الدهر عن أزمنة رد كل شئ وعن مجيء المسيح (أع٣: ١٩-٢٠). وهناك إلى جانب

هذا العديد من الوعود المحددة في العهد الجديد بمجيء المسيح (مت ١٦: ٢٧، يو١٤: ١٣، ١تس٤: ١٣-١٨، عب١٠: ٣٧، يع٥: ٨، رؤ١: ٧، رؤ٢٢: ١٢، ٢٠).

٢ – توضيح العقائد المسيحية: [٥٢]

مجئ المسيح الثاني يوضح بعض العقائد المسيحية مثل:

أ – الخلاص: ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولا يمكن توضيح الخلاص في المستقبل بعيداً عن الإيمان بمجيء المسيح.

ب – المعمودية: تتضمن القيامة مع المسيح، وستظهر هذه الحياة الجديدة في المسيح يسوع متى أظهر حياتنا في مجده. (كو٣: ١-١٤).

جـ – العشاء الرباني: يحمل ارتباطاً بالمجيء الثاني ويقول الرسول بولس: "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ" ١كو١١: ٢٦.

٣ – فيه للمؤمن رجاء وتعزية [٥٣]

إن التعليم المتعلق بمجيء المسيح ثانية، هو إعلان مجيد، فيه أعظم عزاء للمؤمنين. فقد أعلن الرب مجيئه ثانية ليكون مصدر تعزية لهم في ضيقاتهم، وليحفزهم للقيام بواجبهم (لو٢١: ٢٨، ١كو١: ٧، ١تس١: ١٠، ١تس٤: ١٣-١٨، في٣: ٢، عب٩: ٢٨، يع٥: ٧، ٢بط٣: ١٢، ١يو٣: ٢-٣، رؤ٢٢: ١٢). فعلى المؤمنين أن يمتلئوا بالمحبة، ويسهروا منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب. فمجيء المسيح هو رجاء المؤمنين (أع٢٣: ٦، أع٢٦: ٦-٨، رو٨: ٢٣-٢٥، كو٣: ٤، غل٥: ٥، تي٢: ١٣).

٤ – فيه لغير المؤمنين تحذير وإنذار[٥٤]

إن في إعلان الكتاب المقدس الثاني للمسيح إنذار مخيف جداً لغير المؤمنين الذين يرفضون هذا الإعلان الإلهي، فهو يوضح لهم المصير

الرهيب الذي ينتظرهم، ويعلن لهم أن في إمكانهم النجاة من هذا المصير، وذلك بالتوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح مخلصاً وفادياً لحياتهم (مر١٣: ٣٥-٣٧، ٢تس١: ٧، ٢بط٣: ٣-١٠، يه١٤-١٥).

٥ – حافز لحياة مسيحية كتابية: (٥٥)

إن المجيء الثاني هو أعظم حافز نحو الحياة المسيحية الكتابية، فالإيمان الجاد بهذه العقيدة ذو علاقة وطيدة باستقامة الرأي، فإن من له هذا الرجاء-قلبياً وعقلياً- لن ينكر لاهوت المسيح، ولن يتساءل عن سلطان الكتاب المقدس، والإيمان المسلم مرة للقديسين، وأيضاً يحث الإنسان على أن يُطهر ذاته (مت٢٥: ٦-٢٠، ٢بط٣: ١١، ايو٣: ٣). ويوصيه بالاستعداد والثبات (مت٢٤: ٤٤، مر١٣: ٣٥-٣٦، اتس٥ :٦، ايو٢: ٢٨) .

إن هذه الرجاء المبارك كان حافزاً إلى المسيحية الرسولية، فإن من سمعوا يسوع يقول: إنه سيأتي ثانية، لا يمكن أن ينخدعوا بأباطيل هذا العالم، فقد تشوقوا إلى مجيئه وانتظروه، وعاشوا من أجله، ساعين أن يقودوا الآخرين إلى المسيح وإلى رجاء محبته وفي الوعود بمجيء المسيح أعظم دافع للخدمة (مت٢٤: ٤٢-٥١، لو١٩: ١١-٢٧، أع١: ٨، أع ١٥: ١٣-١٨، رو١٣: ١١-١٢ ، اكو٣: ١١-١٥، ٢تس: ١: ٧-١٠).

(٥) نظريات المجيء الثاني: (٥٦)

يجمع المسيحيون على حقيقة المجيء الثاني للمسيح، ولكنهم يختلفون حول موعد هذا المجيء والأحداث المصاحبة له. ويرجع هذا الاختلاف إلى عبارة "ألف سنة" التي وردت في سفر الرؤيا ست مرات (رؤ٢٠: ١-٧)، فالتساؤل هنا هل سيأتي المسيح بعد الألف سنة أم قبلها؟ وهل تعني مدة محددة أو غير محددة؟ وحول هذا الموضوع هناك آراء نعرض لكل منها بدون الدخول في تفصيلاتها:

أ - المجئ بعد الألف سنة * Past Millienanism

ويرى أصحاب هذه النظرية، أن الألف سنة فترة زمنية غير محـــددة، وأن هذا الملك ملك روحي، لا حرفي. ففي خلال هذه الفترة يملك المســيح روحياً على المؤمنين عن طريق تأثير الروح القدس، وبعد انتـــهاء هــذه الفترة يحل الشيطان، ويحدث ارتداد عظيم ثم يأتي المسيح على الســحاب بمجد عظيم، ويقيم الأموات ثم بعد ذلك الدينونة العامة.

ب - المجيء قبل الألف سنة Pre Millienanism

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الألف سنة فترة زمنية محددة، وأن الملــك الألفي ملك حرفي أرضي، يسبقه اختطاف الكنيسة وعشاء عرس الخروف لمدة سبع سنوات وأثناء ذلك تكون الضيقة العظيمة علـــى الأرض، وبعدهــا يــأتي المسيح مع قديسيه، ويبدأ الملك الألفي على الأرض، وفي نهاية الألـــف ســنة يرتفع المسيح ويحل الشيطان، وبعد ذلك القيامـــة والدينونــة. وتثــور بعــض الاختلافات حول تفاصيل الأحداث السابقة بين معتنقي هذا الرأي.

جـ - اللا ألفيون A. Millienanism

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الألف سنة، أما أن تكون الفترة ما بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني، أو الفترة ما بين موت المؤمن الجسدي وقيامته، وهذه نظرية توفيقية بين النظريتين السابقتين.

---

* "إن التعبير الإنجليزى Millienanism أصله كلمة لاتينية، مكونة من مقطعين Milli ومعناها ألف، Ammus ومعناها سنة، فهي الألف سنة، وقد تُدعى عقيدة الألف سنة باسم آخر هو Chilasm وهي كلمة يونانية من Chiliai بمعنى ألف. ولم يـــرد هـــذا التعبـــير كمصطلح في الكتاب المقدس، ولكن الألف سنة وردت ست مرات في سفر الرؤيا (رؤ٢٠: ١-٧) وهذا التعبير يرد في الكتابات اللاهوتية مشيراً إلى عقيدة مجئ المسيح وتأسيسه ملكوتاً أرضياً لمدة ألف سنة". محاضرات في علم اللاهوت. ص٦٢٠، ٦٢١، ٦٧١، ٦٧٢.

(٦) المجيء الثاني وموعده:

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب، انظروا واسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت" مر١٣: ٣٢-٣٣. أي أن موعد المجيء الثاني لا يعلم به أحد، وهنا سوف نركز على نقطتين:

(أ) المسيح وموعد مجيئه:

استغل البعض ما جاء في النص السابق وقالوا: إذا كان المسيح هو الله فكيف لا يعرف ذلك اليوم؟ فهل حقاً لا يعلم المسيح تلك الساعة؟ وهل في هذا دليل على عدم إلوهيته؟

* لكي نفسر هذا النص أو غيره من النصوص يجب:

أ - أن نفسره في ضوء كل الكتاب المقدس أي نفسر النصوص الإلهية بالنصوص الإلهية، أي قارنين الروحيات بالروحيات.

ب - إذا فسرنا هذا النص حرفياً، فهو يعني أن المسيح لا يعلم اليوم والساعة، وهذا لا يستقيم مع الكثير من نصوص الكتاب المقدس التي تتحدث عن المسيح، الإله المتجسد العارف بكل شئ.

جـ - إذاً لا نستطيع أن نأخذ هذه الآية على معناها الظاهر، بل يجب أن نبحث عن المقصود من ورائها.

* لم يذكر كلمة (ولا الابن) سوى إنجيل مرقس، وهو يركز على المسيح باعتبار ناسوته فالمسيح كما أنه إله تام، فهو إنسان تام، وهو باعتبار كونه إنساناً، لا يعرف اليوم أو الساعة، ولذلك لم يقل المسيح أنا لا أعلم ذلك اليوم، كما قال من قبل "أنا والآب واحد"، بل قال ولا (الابن) أي الابن باعتبار الناسوت، ولو كان يقصد الابن من حيث هو أزلي، ففي قوله إلا الآب يظهر كأنه ينفي المعرفة عن الروح القدس وهو الأقنوم الثالث من

اللاهوت، وهو روح الله، وكيف يمكن أن نتصور الله يعرف أمراً لا يعرفه روحه؟ إذن فالمسيح لا يتكلم عن نفسه من حيث هو إله، ولكن من حيث هو إنسان، وبهذه الصفة لا يعرف زمن القيامة" (٥٧).

* وقال القديس أثناسيوس: إن السيد المسيح قال لتلاميذه عن يوم وساعة مجيئه أنه لا يعرفها أحد ولا الابن لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه، كما يقول صاحب السر إني لا أعلم هذه المسألة، أي لا أعلمها علماً مباح به، لأن بطرس قال له: يارب أنت تعلم كل شئ" (٥٨).

* لماذا أخفى الله هذه الساعة عن تلاميذه؟

قال المسيح لتلاميذه عندما سألوه هل في ذلك الوقت ترد الملك لإسرائيل، قال لهم: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الله في سلطانه" أع١: ٦-٧، ولم يكن من المناسب أن يعرف التلاميذ كل شئ، وقد قال لهم المسيح: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" يو١٦: ١٢.

فلو علم التلاميذ بهذا الموعد لفترت همتهم في الكرازة، ولو علم المؤمنون هذه الساعة لفتر نشاطهم الروحي، وبلا شك سوف يؤجل الخطاة توبتهم، ولهذا أخفيت عنا ساعة المجيء حتى نعي قول المسيح: "انظروا، اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون ذلك الوقت" مر١٣: ٣٣. وهكذا نحيا كل حين:

أ - ساهرين: وقد أوضح المسيح ذلك في مثل العشر عذارى (مت٢٥: ١-١٣)، ومثل العبيد الذين أعطاهم سيدهم الوزنات وطالبهم بالعمل حتى مجيئه (مت٢٥: ١٤-٣٠).

ب - منتظرين: ١كو١: ٧.

جـ مستعدين: مت ٢٥: ١-٤٦، يع ٥: ٧-٨.

د - مقدسين: اتس٥: ٢٣، اتي٦: ١٤، ٢بط٣: ١٤.

هـ - مصلين: مر١٣: ٣٣

(ب) الإنسان ومحاولاته الفاشلة لتحديد موعد المجيء:

قال المسيح: "اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" مت ٢٤: ٤٢، "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" أع١: ٧-٨.

ورغم هذا ظهر على مر العصور أشخاص ادعوا أنهم يستطيعون تحديد موعد مجيء المسيح ثانية ومن هؤلاء الأشخاص.(٥٩)

ا - **وليم مللر**: معمداني أمريكي، قاد حركة منتظري المسيح، عام ١٨٢٢م. ومن خلال دراسته للنبوات الخاصة بمجيء المسيح، وخاصة ما جاء في دانيال ٨، استنتج أن المسيح سوف يأتي سنة ١٨٤٣م، وأعلن ذلك سنة ١٨٣١م، وقد بنى استنتاجه على ما جاء في دا٨: ١٣-١٤ "فسمعت قدوساً واحداً يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم، إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب، لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لي: إلى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء، فيتبرأ القدس" .

وقد فسر وليم مللر:

- تبرئة القدس بمجيء المسيح ثانية إلى الأرض.

- ٢٣٠٠ صباح ومساء بأنها تعني ٢٣٠٠ سنة.

- وحدد موعد بداية إحصاء هذا الزمن فقال إنه يبدأ من السبعين أسبوعا المذكورة في دا٩: ٢٤،٢٥ أي في عام ٤٥٧ق.م، فتصبح النتيجة ٢٣٠٠-٤٥٧ = ١٨٤٣ ب.م

ولما مرت سنة ١٨٤٣م، ولم يحدث شئ، منيت الحركة بخيبة أمل شديدة.

٢ – صموئيل سنود

أحد أتباع حركة منتظري المسيح، وبعد الفشل السابق، أعلن أن مجيء المسيح سيكون في ٢٢ أكتوبر ١٨٤٤م طبقاً للتقويم اليهودي. ولكن هـــذه النبوة خابت أيضاً، فاضطروا بعد ذلك إلى إعلان خطأ حساباتهم وانتظـــار عودة المسيح دون تحديد موعد لها.

٣ – حيرام إدسون

أحد دعاة الأدفنتست (المجيئيون)، أعلن : "علمت في رؤيا أن خـــروج كاهننا العظيم من قدس الأقداس لكي يأتي إلى الأرض ما زال بعيداً جـــداً، إلا أنه في نهاية ٢٣٠٠ صباح ومساء، دخل للمرة الأولى، القسم الأول من القدس، لكي يكمل أحد الأعمال قبل مجيئه إلى الأرض".

٤ – تشارلس رسل (١٨٥٢-١٩١٦م)

مؤسس طائفة شهود يهوه، وهو أمريكي، أنضم إلى جماعة الأدفنتســت فترة ثم انفصل عنهم وكوّن طائفة شهود يهوه. بعد دراسة شاملة للنبـــوات عن مجيء المسيح، حدد عام ١٨٧٦م تاريخاً أكيداً لمجيء المسيح، وعندما لم تتحقق نبوته، ومُني بخيبة كبرى زعم في عام ١٨٧٦، أن المسيح جـــاء فعلاً وإنما بصورة غير منظورة.

وفي سنة ١٨٨٠م أصدر منشوراً، حدد فيـــه نهايـــة هـــذا العـــالم الشرير، وذلك سنة ١٩١٤م. وهذا التاريخ صار فخاً لكثيرين، بســـبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، فانجذب عدد كبير مـــن النـــاس إلـــى تصديق زعمه.

*الرد على هذه الادعاءات:

لكي نفسر نبوات العهد القديم عن مجيء المسيح، يجب أن نفسرها في ضوء المضمون الكامل لكلمة الله، ولا نتناول آية واحدة بمفردها لنبني عليها عقيدة، ويجب أن نفرق بين التاريخ والنبوة، فالنبوة لا تتضمن حتماً كل الخطوات بين الحوادث العظيمة، موضوع النبوة، أي أنها لا تأخذ في الاعتبار مرور الزمن بين الحوادث (إش٦١: ١-٢، لو٤: ١٨-١٩)، وأسلوب النبوة يتسم بالغموض وبه صور مجازية، ولكن الحق الذي تحمله واضح ومؤكد بلا شك، وهؤلاء الأشخاص، وغيرهم على مر السنوات حتى اليوم، قد تجاهلوا المبادئ الصحيحة لتفسير النبوات، فقادهم هذا إلى نظرياتهم السابقة.

وإذ نضع هذه الإدعاءات في ضوء كلمة الله نرى من خلال دا٨: ١٣-١٤.

١ – أن تبرئة القدس تعني عودة المحرقة الدائمة التي تم إبطالها وتطهير الهيكل اليهودي منها، وكما ذكر في التاريخ، فقد تم وقف المحرقة عام ١٦٨ق.م حتى ١٦٥ق.م على يد انطيخوس الرابع، الذي ملك على سوريا سنة ١٧٥-١٦٤ق.م، وهو الذي نجس الهيكل برش دم الخنزير، وأمر اليهود بالتخلي عن ديانتهم وعبادة الآلهه اليونانية وأوقف تقديم الذبائح. حتى قامت الثورة المكابية بقيادة يهوذا المكابي، وتم إعادة المحرقة.

٢ – أن المقصود ب٢٣٠٠ هو عدد المحرقات التي تعطل تقديمها، ذبيحتان يومياً في ١١٥٠ يوم، فيكون المجموع ٢٣٠٠ ذبيحة.

٣ – أن الميعاد الذي حدده مللر لبداية ال ٢٣٠٠ وهو بداية السبعين أسبوعاً، وذلك عند صدور أمر الملك الفارسي لنحميا بالعودة إلى أورشليم،

تحديد خاطئ، حيث أن هذا الملك لم يبطل ذبيحة المحرقة، بل هـو الـذي ساعد اليهود على العودة إلى أورشليم وإعادة بنائها (نح١:٢-٥) .

٤ – أما القول بأن المسيح جاء بصورة غير منظورة –وذلك لتـبرير فشلهم– وأنه دخل للمرة الأولى إلى القدس لكي يعمل أحد الأعمال، والـذي فسروه فيما بعد بأنه تطهير القدس السماوي فهذا أيضاً خطأ. وهنا نسأل:

أ – هل في السماء هيكل؟ كلمة الله تعلن "ولم أر فيـها هيكـلاً، لأن الرب القادر على كل شئ هو والخروف هيكلها" رؤ٢١: ٢٢.

ب – هل السماء بها قدس أول وقدس ثان؟ وأن المسـيح لـم يدخـل القدس الأول حتى طلعوا علينا بنبواتهم؟

جـ – هل كان عمل المسيح ناقصاً يحتاج إلى أن يكمله في السـماء؟ وهو الذي قال: "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته" يو١٧: ٤

د – هل معنى ذلك أن الكفارة لم تتم على الصليب؟ إن هذا بلا شـك مناقض لأقوال الكتاب المقدس(عب١: ٣، ٧: ٢٦-٢٧، ٩: ٢٥-٢٦، ١٠: ١٠-١٤، ٢كو٥: ٨، لو١: ١٩-٢٢... الخ)

ملحوظة:

ظهر في كوريا في القرن ال٢٠ أشخاص أعلنوا أن مجيء المسيح يوم ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٢م.

ثانياً: عودة المسيح في الفكر الإسلامي

هناك شبه اجماع على رفع المسيح حيـاً، ونزولـه آخـر الزمـان. والقائلون بهذا يستندون على ما جاء في (آل عمـران ٤٥، ٤٦، المـائدة ١١٠، النساء ١٥٧، ١٥٩، الزخرف ٥٧، ٥٩، ٦١)، وأيضاً على أكـثر من سبعين حديث حول هذا الموضوع.

يقول السيوطي -العلامة والمفسر المعروف "نفي نزول عيسى كفر"[٦٠].

ويقول الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان: "أنه لا محيد لمن آمن بنبوة محمد من أن يؤمن بنزول عيسى بن مريم النبي الإسرائيلي بعينه في أخر الزمان، من غير تأويل ولا تأمل، ومن أبى فقد أبى"، أي من أبى الإيمان بنزول عيسى فقد أبى الإيمان بنبوة محمد. ونعوذ بالله من ذلك [٦١]. والذين يشذون على هذا الاجماع يقولون أن هذه الأحاديث آحاد ولا تبنى عليها عقيدة، والبعض يرى أنها مسيحيات دخلت إلى الإسلام، وعندما أثار القاديانيون هذا الموضوع في مصر وأصدر الشيخ شلتوت فتواه كثرت الكتب حول هذه القضية، وعلى من يريد الاستزادة الرجوع إلى هذه الكتب[٦٢].

٤

قبر المسيح في كشمير

فيما سبق أثبتنا حقيقة موت المسيح على الصليب وعدم فـــراره إلـــى كشمير كما يدعى الأحمديون. وهنا يثور هذا السؤال: قبر من هذا الموجود في كشمير؟

وإذا استطعنا أن نعرف صاحب هذا القبر، فهذا برهان إضافي يؤيـــد وجهة نظرنا، وسوف نوضح فيما يلي بعض الاحتمالات:

١ - إن هذا القبر كما ذكر (تاريخي الأعظمي، إكمال الدين)، هو قـبر عوس آصاف[٦٣] وهذا الاسم هو تحريف لكلمـــة بوداســـاف. فمـــن هـــو بوداساف هذا وما هي قصته؟

إذ نرجع إلى مصادر التاريخ، نرى أن صاحب الفهرست قد ذكر كتاب "بوداساف" [٦٤] وأيضاً المسعودي في كتابه "مـــروج الذهـــب"، قـــال: إن بوداساف هو الذي جدد مذهب الصابئة، وقدم من الهند إلى فارس[٦٥]

ويرى د. محمد إبراهيم الفيومي: "أن بوداساف هو بوذا واضع الديانـــة البوذية، وقد ظهر بأرض الهند وكان هندياً.. وأن دعوته أخذت منابعها من التراث الهندي الحافل بألوان من الوثنية والشرك والزندقة" [٦٦].

من هنا نرى أن هذا القبر هو قبر بوذا.

وربما يعترض أحد متسائلاً: كيف يكون قـــبر بـــوذا مجـــهولاً لـــهذه الدرجة؟، ولكي نجيب علينا أن نعرف أين دفن بوذا؟

"بعد موت بوذا تم حرق الجثة، ثم جمعوا الرماد، وقسموه إلى ثمانيـــة أجزاء وأرسلوا كل جزء إلى الجهة التي رأوها لائقة، فبنيت فوق الرمـــاد بنيات عظيمة في الجهات الثمانية" [٦٧].

فمن الجائز أن يكون في هذا المكان جزء من هذا الرماد ويصبح هـذا القبر هو قبر بوذا.

وقد لا يكون هناك جزء من الرماد تحت القبر المقام، لكنه دعي قـبر بوذا كما في كثير من أضرحة الأولياء والقديسين التي يُعتقد أنهم مدفونـون فيها وهذا غير حقيقي.

إذن فهذا القبر هو قبر بوذا.

ويوضح الأستاذ العقاد: "إن كتاب (برلام ويوشافاط) يذكر أنه صـاحب بشرى" (٦٨)، وإذ نبحث عن قصة هذا الكتاب نرى تأكيداً لما وصلنا إليـه من استنتاج فاسم الكتاب الصحيح هو "برلام وبوداسف".

وقد جاء في دارة المعارف البريطانية "أنه الصورة المسيحية لقصة بوذا"

Barlaam and Josphat : a Christian adaptation of tales about the Buddha (٦٦)

وجاء أيضاً:

Barlaam and Josphat:

version of the biography of Buddha Known as the story of Barlaam and Josphat had considerable dissemination in medieval Europe. In fact, the buddha - Figure in the story cam to be recognized as Christian Saint (٧٠)

"فبرلام وبوداساف" هي القصة التي تحدثنا عن هداية الأمير الـهندي بوداساف :Josphat على يد الزاهد المسـيحيBarlaam . ويذهـب فلكـس ليبرخت Felix Liebrecht إلى أن هذه القصة رواية نصرانية لفترة من حياة بوذا (٧١).

وقد توافر على دراسة هذه القصة كثير من المستشرقين* مثل دانيال جماريه Gimaret. D [٧٢]، المستشرق الفرنسي وله "يوذا والبوذية في التقاليد الإسلامية".

والمستشرق الفرنسي ليروي ج.ب [٧٣] Lerou .J.P وقد نشر مخطوطاً عربياً مسيحياً مصوراً محفوظاً في أحد أديرة لبنان لقصة برلام ويوسافات عام ١٩٥٥م.

وأيضاً المستشرق الإيطالي ج ج. بوزون[٧٤] Bason .G .G. الأستاذ بالجامعة الكاثوليكية بميلانو، وقد نشر "قصة برلام ويوساف" عن مخطوط عربي عام ١٩١٤ بموناكو وقد طبع هذا الكتاب "برلام وبوذ اساف في المواعظ والأمثال" في بومباي بالهند عام ١٨٨٠م [٧٦].

ويرى د. مراد كامل: "أن هذه القصة من القصص السرياني في القرن الخامس الميلادي، وأنها من أشهر القصص الروحية في العصور الوسطى

---

* وقد جاء في كتاب كارل بروكمان "تاريخ الأدب العربي" جـ ٣ تعريب د. عبد الحليم النجار. ط٤ دار المعارف. سنة ١٩٧٧. ص ١٠٣-١٠٤.

"ومن الكتب المترجمة عن الفارسية أيضاً: قصة الوزراء السبعة، وكتاب بلوهر وبوداساف Barlaam and yoasaf وهو حكاية بوذية تُرجمت للمانويين في السند فأعجبوا بها وعكفوا على قراءتها، وإلى هذه الترجمة ترجع صياغتها الحالية.

(ويحيل بروكمان إلى أسماء وكتابات المستشرقين التي أشارت إلى هذا).

- وهناك نص آخر من قصة بلوهر وبوداساف كتبه: عماد الدين بن بابويه القمي (من فقهاء الشيعة).

- وهناك نص آخر أيضاً ذكره كتاب: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب (انظر ترجمة الأصمعي في ج٢ ص١٤٧).

- وله ترجمة فارسية كتبها آقا محمد باقر. المتحف البريطاني ثان٣٨٠

وقد أصبحت بفضل اتجاهها الأدبي والأخلاقي من الكتب الدولية الشعبية، وضع أصلها بالسريانية، وضعه بعض المبشرين من السريان النساطرة الذين رحلوا إلى الهند، والراجح أن مادة القصة تعتمد على أصل بوذي.. والذي نرجحه أنها نقلت من السريانية إلى اليونانية، وأن الذي وضعها بالسريانية صقلها بالطابع المسيحي لكي توائم ذوق الشعب الذي كتبت له. فلما ترجمت إلى اليونانية صقلت، بالطابع اليوناني أيضاً، وعن اليونانية وصلت إلى العالم الغربي، ثم نقلت إلى الأرمينية والعربية والحبشية القديمة، ويُعزى النص اليوناني إلى يوحنا الدمشقي، وهناك من يرى أنه يرجع إلى راهب فلسطيني اسمه يوحنا وأن المؤلف عاش في أواخر القرن العاشر.*

وهناك من يرى أيضا أن أصل النص الذي ترجم إلى اليونانية عربي إسلامي منقول عن ترجمة بهلوية لقصة بوذية، وأن أول ترجمة عربية كانت النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وكلها احتمالات ضعيفة إذ أن أقدم نص سرياني لهذه القصة يرجع إلى القرن الخامس.

وملخص القصة أنه كان بأرض الهند ملك كبير يحب الدنيا ويعمل جاهدا لها، ويكره الزهد ويحرق الزاهدين، فلما كان ذات يوم سأل عن رجل من خاصته، فقيل له إنه زهد في الدنيا، فعظم عليه، وأرسل في طلبه. فلما مثل بين يديه، أنكر عليه الملك إهلاكه لنفسه ومفارقته لأهله، فأجابه الناسك بأن الدنيا إلى فناء، فحياتها موت وغناها فقر، وفرحها حزن، وشبعها جوع، وصحتها سقم، وقوتها ضعف، وعزها ذل، ولذتها ألم، وأنها الصاحب المؤذي، والطريق المهلك، والمركب الخشن، تجمع

* – المستشرق جماريه يرى أنه ظهر قبل القرن التاسع الميلادي (مجلة المسرة عدد٥٨٦).بينما يقول المستشرق هوروفتز j. Horovtz "لعل قصة برلام اليونانية قد كتبت في فلسطين بدير القديس سابا Sabes في النصف الأول من القرن السابع الميلادي (دائرة المعارف الإسلامية جـ ٨ . ص ١٠٠).

ألم، وأنها الصاحب المؤذي، والطريق المهلك، والمركب الخشن، تجمع لصاحبها الأغاني والمضحكين والمادحين، ثم تجمع عليه النوائح والباكين النادبين، واستمر الناسك على ذلك يصف الدنيا وأهلها في حديث طويل، وما انتهى منه حتى سأل الملك هل يريد أن يصف له الآخرة، فلم يكن جواب الملك إلا أن جازاه بالشقاء والحرمان، وبطرده من مملكته. ويدور الفلك ويرزق الملك بغلام بعد يأس، فيجمع المنجمين والعلماء فيبلغونه أن هذا المولود سيبلغ مرتبة لم يبلغها ملك من ملوك الأرض، وأنه سيكون إماماً في النسك، فيشيع الحزن والبؤس في نفس الملك من أجل ذلك، ولكنه يطرق حيناً ثم يأمر فإذا مدينة قد أخليت ممن فيها، وإذا بين يديه جماعة ممن نبغوا في التربية، وإذا هو يلقي إليهم بأنه سيعهد إليهم بولي العهد ويوصيهم بألا يذكر أحدهم شيئاً عن الموت أو الآخرة، أو الدين والزهد، ولا أن يسمحوا لبصره أن يقع على شئ مادي تستفاد منه هذه المعاني.

وينظر الملك فإذا للنساك منزلة في قلوب الناس، ولكنه لا يطمئن لذلك، ويأمر بنفيهم من بلاده، ويتوعدهم بالقتل، فأخذوا في الهرب والتخفي.

وكبر ابن الملك ونبت نباتاً حسناً، ونشأ عالماً فاضلاً، ولكنه نظر فإذا أمره إلى جماعة وهم يحاصرونه في ذلك البلد وهو لا يفهم لذلك معنى، فمال إلى واحد كان يأنس إليه من هذه الجماعة وما زال به حتى استوضحه جلية الأمر. فكاشف أباه بأنه يرى في مقامه هذا ضيقاً وسوء حال، ويتعلل الأب بأنه إنما يريد أن يبعد عنه الأذى حتى لا يرى ولا يسمع إلا ما يسره، ولكنه رأى أن حبسه لن يزيده إلا إغراء، فأمر المربين أن يخرجوا به إلى ظاهر المدينة وأن يجنبوه النظر إلى ما يسوء، ولكنه سرعان ما يرى الشيخوخة ويعلم أنها بداية طريق الموت، ثم يسأل عن طول الطريق التي تنتهي بالمرء إلى هذه الخاتمة، فيعلم أنه مهما طال فلن يجاوز المائة عام، ثم يتدبر الأمر فيرى الأيام تمر سراعاً، وأن الأجل غير طويل، وأن الأمر لغير ما نشتغل به. فانصرفت نفسه عن الدنيا، ثم سأل فعلم أن هناك جماعة هم النساك يختلف شأنهم عن عامة

الناس، يرفضون الدنيا ويطلبون الآخرة، ولكنه يعلم أن النــــاس يعادونــــهم وأن الملك أباه قد نفاهم وأحرقهم بالنار.

تقول القصة أن أمر ابن الملك قد اشتهر حتى بلغ ناسكاً اسمه بـــرلام، فسار حتى بلغ المدينة التي يقيم فيها وخلع لباس الناسك ولبس ثياب التجـار واحتال حتى وصل لابن الملك، وما زال به يشبه له الناسك بتابوت النـــار المملوء بالذهب ظاهره غث وباطنه ثمين، ويشبه له المتزينين من الأشراف بتابوت الذهب المملوء بالجيفة القذرة النتنة، ثم ما زال بـــه يضـــرب لـــه الأمثال عن الدنيا وغرور أهلها بها وما هم عليه، وعــن صـــاحب الدنيـــا المغرور فيها بما لا ينفعه، ويصف له الحكمة. وابن الملك منصت يستزيده ويتمنى لو يسمع أبوه شيئاً من هذا الكلام. وهو مع هذا مشفق عليه متوجـع له. ثم أخذ الناسك يوضح له الفرق بين النسك وعبادة الأصنام ولـــم يـــزل برلام يتردد على ابن الملك أربعة أشهر وهو يغذيه بلبان الحكمـــة ويدنـــي نفسه إلى الزهد في الدنيا، وفي يوم زعم برلام أن له عيداً يريد أن يحضره مع أصحابه. فقال له ابن الملك: أنا أخرج معـــك. فقـــال لـــه بـــرلام: إن خروجك معي فيه تحريض للملك عليّ وعلى أصحابي، وإن بقـــاءك عنـــد الملك يكفّه عن أهل الدين، وفي ذلك عبادة لك. وخرج برلام بعد أن تعاهدا على أن يرجع لابن الملك قبل أن يحل الحلول" (٧٦).

وبمقارنة هذه القصة بقصة اهتداء بوذا (٧٧) نرى أن هذه القصة هـــي قصة بوذا في ثوب (صورة) مسيحي. مما يؤكد لنـــــا أن يوســـافات هـــو بوداسف هو عوس أصاف. وأن القبر الموجود في كشمير هو قبره.

٢ – قبل الميلاد انقسمت البوذية إلى بوذية الشمال وبوذية الجنـــوب، إلى ماهايانا Mahayana (العجلة الكبرى)، وهينايانـــا Hinayana (العجلـــة الصغرى) وفي المهايانية تغير الدور الذي يعزوه الإنسان لنفسه كإنســـان.. فجميع الناس وجميع الكائنات الحية، تملك أن تصبح الدرجات الأولى لبوذا قادم، لـــ "بوذيساتفا"Baudhisatva وهو لن يدخل النيرفانا لسبب واحد وهـــو

أنه يريد أن يتجسد من جديد كبوذا حتى يجلب الخلاص للآخريـــن، وفـــي إمكان كل أمرئ أن يبلغ هذا الهدف، يمده خلال الطريـــق عـــون الذيـــن أصبحوا من قبل بوذيساتفا.

إن البوذيساتفا الذين يتعرضون لتهلكة العالم إلى أن تخلص جميع الكائنـــات يتميزون بالبطولة والرحمة، ولم يعد البوذي المؤمن يتطلع إلى المثل الأعلـــى للناسك المعتزل، بل إلى المثل الأعلى (للبوذيساتفا) الـــرؤوف بـــالجميع. الأول كان يعتنق مذهب مستويات التأمل، والثاني يتعلق بتعليم مراتب الوجود حتـــى مستوى البوذيساتفا الذي تقبله جماعة بوذا كواحد منهم"[٧٨]

فإذا لم يكن هذا القبر قبر بوذا فلِمَ لا يكون قبر واحـــد مـــن هـــؤلاء "البوذيساتفايين"، وتحرفت الكلمة مع الزمن من بوذيساتفا إلى بوذاساف وقد خلده الناس على مر العصور، وربما كان في وقت من الأوقات مزاراً هاماً ومكاناً مقدساً لدى أتباعه.

٣ - هناك رأي ربما يكون به بعض الاستنتاج الخيالي، وربما جانبـــه الصواب ولكنه رأي، ربما يستطيع باحث عن الحقيقة أن ينقـــب ويبحـــث فيكون له في هذا الرأي مفتاح يقوده إلى الوصول.

ارتبطت الهند مع الدول العربية بعلاقات قوية على مـــر العصـــور، "وكانت السفن الهندية تتردد من ساحلها الغربي إلى موانى الخليج العربـــي منذ أقدم العصور. وفي هذا العصر أصبح ميناء باريغـــاز Baryaza علـــى الساحل الغربي الهندي همزة الوصل بين الهند والخليج العربي. وكان هـــذا الميناء على مقربة من بومباي، ولذلك كان يربط بينه وبين وســـط الـــهند وشمالها طرق برية آمنة ممتدة" [٧٩].

وقد كان في شبه الجزيرة العربية أصنام منها "أساف" وهو صنم مـــن أصنام مكة، يذكر في الغالب مقروناً بـــ "نائلة" وتقول الروايات إن رجـــلاً وامرأة من جُرهم كان يعرفان بهذين الاسمين فجرا في الكعبـــة، فمســـخا حجرين ووضعا على الصفا والمروة عبرة للناس، فعبدتهما قريش فيما بعد بإرشاد عمر بن لحي" [٨٠].

فهل من المحتمل أن تكون كلمة "أساف" مقرونة بالصنم قد وصلت إلى الهند عن طريق العلاقات التجارية والاتصال الحضاري بين الهند وبلاد العرب، ويصبح بوذا آساف أي صنم بوذا ويكون هذا المكان في سابق الأزمنة موضع تمثال لبوذا يقدسه الشعب لدرجة العبادة. وهذا يؤكد رأينا الأول أن هذا قبر بوذا، سواء كان المدفون فيه بعض رماده أو تمثاله. ربما يكشف لنا علم الآثار في المستقبل صحة هذا الرأي.

مما سبق نرى أن هذا القبر أما قبر بوذا، أو قبر أحد أتباعه المشهورين ولا علاقة له بالمرة بالمسيح، وأن المسيح لم يذهب إلى كشمير، بل عاش حتى نهاية حياته على الأرض في فلسطين.

ونختم بما يلي:

كتب د. أحمد شلبي: "من الواضح أننا لا نعلم علم اليقين أين مات عيسى، لأن التاريخ لم يتتبعه بعد أن انتهت رسالته بتركه بني إسرائيل الذين أرسل إليهم، فالتاريخ لا يتتبع كل فرد. على أن هناك قولاً يرى أن المسيح مات ببلاد الهند في لاهور، وله هناك قبر وتدعّي بدعة الأحمدية أنه روح عيسى انتقلت إلى زعيمهم وهو كلام لا أصل له" (٨١).

مراجع الباب الثاني

الفصل الأول

١ – دراسة حول ترجمة القرآن. د. أحمد إبراهيم مهنا. ط. دار الشـــعب. ص ١٦٢ ١٩٧.

٢ – القرآن الكريم مع ترجمة إنجليزية بإشراف مالك غلام فريد.

The Holy Quran with English Translation and Commentray, edited by Malik Ghuulam Farid, 1st edition 1969.

3 - The Holy Quran Arabic text, Translation and Commentray, by Moulana Muhamed Aly, 4th ed.

٤ – الميلاد من عذراء. أنيس يونان. ص ٤٩–٥٠.

٥ – لماذا أؤمن. د. القس إبراهيم سعيد. ص٣٣–٣٤.

٦ – مختصر اللاهوت العقائدى. تعريب الآب جرجـــس المـــاردينى. م. الكاثوليكية حـــ١ ص١١٩، ولماذا أؤمن؟ ص٤٣.

٧ – دراسة حول ترجمة القرآن. ص١٦٨–١٦٩.

٨ – المرجع السابق. ص ١٦٢–١٦٣.

٩ – عقائد النصارى الموحدين. حسني يوسف الأطير. ص١٣٨–١٣٩.

١٠ – مريم والمسيح. متولى الشعراوي. ص٣٠.

الفصل الثاني.

١١ – يقول الغلام "فمن سوء الأدب أن يقال أن عيسى لم يمت، وهو شرك عظيم، يأكل الحسنات ويخالف الحياة، بل هو كمثل أخوته مـــات، وكمثـــل

أهل زمانه، وأن عقيدة حياته قد جاءت في المسلمين من الملة النصرانيـــة. (ضميمة حقيقة الوحي. ص٣٩. عن أباطيل القاديانية. ص٥٧).

١٢ – ذكر ذلك الغلام في كتابه "الهدى والتبصرة لمن يرى" عن تفســـير المنار جـ٦. ص٣٥-٣٦.

١٣ – عرفان إلهي. ص١٤. عن موقف الأمة. ص١١١.

١٤ – تقدير إلهي. ص٢٩. عن موقف الأمة. ص١١٢.

١٥ – القرآن، النص العربي وترجمة إنجليزية جديدة. لمحمد ظفر الله خان.

The Qoran: Arabic Text with New Translation by Muhamed, Zefrulla Kan.

كان وزيراً للخارجية الباكستانية، ثم رئيساً لوفدها في الأمم المتحدة لفـــترة طويلة ، ثم أحد قضاة محكمة العدل الدولية. دراسة حول ترجمة القـــرآن. ص١٥٥-١٥٦، ١٧٢.

١٦ – المرجع السابق. ص١٧٢-١٧٣.

١٧ – مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء. أحمد ديدات. ترجمة علي الجوهري.

١٨ – هل بشر المسيح بمحمد؟ نبيل فضل. رياض الريس للكتب والنشــر. لندن. ص٥٨.

١٩ – المرجع السابق. ص ٧٦-٧٧.

٢٠ – يسوع المسيح ربنـــا. جـون. ف. والفـــورد. تعريـب حزقيـال بسطوروس. ص١٧٣.

٢١ – من دحرج الحجر؟ فرانك موريسون. تعريب حبيب سعيد. ص٥.

٢٢ – تاريخ الفكر المسيحي. د.القس حنا الخضري . جـ١. ص١٥٧.

٢٣ - علم التفسير. د. القس فهيم عزيز. ص٩٧-٩٨.

٢٤ - دائرة المعارف الكتابية. جـ١. ص٦٠.

٢٥ كفن تورينو المقدس. أيين سميث. ترجمة القمص جورجيوس عطاالله. ص١٤.

٢٦ - جريدة الأخبار القاهرية.

٢٧ - مراجع:

أ - قام حقاً. جيمس مارتن. تعريب د. القس صموئيل حبيب. ص٥١.

ب - من دحرج الحجر؟. ص٥١-٥٢.

جـ - العقل والإيمان. نورمان أندرسن. ص٧٣.

د - برهان يتطلب قراراً. جوش مكدويل. تعريب د. القس منيس عبد النور. ص٢٦٣.

٢٨ - مراجع:

أ - مسألة صلب المسيح. ترجمة علي الجوهري.

ب - قيامة أم انتعاش. ترجمة على مختار.

جـ من دحرج الحجر. ترجمة إبراهيم خليل أحمد.

د - آية يونان. ترجمة إبراهيم خليل أحمد.

٢٩ -٣٢ مراجع:

أ - فخر الصليب. صموئيل زويمر. ص٣٧-٤١.

ب - لماذا أؤمن؟. ص١٢٤-١٢٦.

جـ - قضية الصليب. عوض سمعان. ص١٦.

د - برهان يتطلب قراراً. ص٢٢٢.

هـ - الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح. القس منسى يوحنا. ص٤٠.

و - المسيح في يوسيفوس. د. عزت زكي.

٣٣ - قام حقاً. ص٥٣-٥٤.

٣٤ - يسوع المسيح ربنا. ص١٨٧-١٨٨.

٣٥ - مراجع:

أ - برهان يتطلب قراراً. ص٢٥٨-٢٦٣.

ب - قام حقاً. ص٥١-٥٤.

جـ - من دحرج الحجر. ص٨٠.

٣٦ - محاضرات في علم اللاهوت النظامي. ص٢٣٩.

الفصل الثالث:

٣٧ - خطبة إلهامية. للغلام. ص٤. عن أباطيل القاديانية. ص٥٦.

٣٨ - المرجع السابق. ص٦، عن أباطيل القاديانية. ص٥٧.

٣٩ - إعجازي أحمدي. ص٢٢، عن أباطيل القاديانية.

٤٠ - المرجع السابق.

٤١ - توضيح المرام. ص٢، عن القادياني والقاديانية. أبو الحسن الندوي. ط٣. الدار السعودية للنشر. ص٩.

٤٢ - إقامة البرهان على نزول عيسى آخر الزمان. الشيخ عبد الله الصديق الغمارى. ص١٨-١٩.

٤٣ - تفسير المنار. جـ٦. ص٣٥-٣٦، عقيدة الصلب والفداء. ص٤٠-٤١.

٤٤ إقامة البرهان. مرجع سابق.

٤٥ - نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى بن مريم في الآخرة. الشيخ محمد زاهد الكوثري.

٤٦ - مجلة الهدى. الأعداد ١٥-٢٠ للسنة ٦.

٤٧ – عقيدة الصلب والفداء. ص٤٢.

٤٨ – محاضرات في النصرانية. للشيخ محمد أبو زهرة.ط٤. ص٤٦.

٤٩ – قصص الأنبياء. الشيخ عبد الوهاب النجار. ص٥٠٩-٥١٠.

٥٠ – دائرة المعارف الكتابية. جـ٣. ص٥٩٣.

٥١ – محاضرات في علم اللاهوت النظامي. هنرى ثيسن. ترجمة د. فريد فؤاد. ص٥٧٩.

٥٢ – المرجع السابق. ص٥٧٩.

٥٣ – دائرة المعارف الكتابية. جـ٣. ص٥٩٤.

٥٤ – المرجع السابق. ص٥٩٤.

٥٥ – محاضرات في علم اللاهوت النظامي. ص٥٨١.

٥٦ – ملكوت الله. د. القس فهيم عزيز. ط١. ١٩٧٠م.ص٢٤٩-٢٥٢.

٥٧ – أنت المسيح ابن الله الحي. الأنبا أغريغوريوس. جـ٢. ص١١٢-١١٩.

٥٨ – المرجع السابق.

٥٩ – مراجع:

أ – بدعة شهود يهوه ومشايعيهم. أسكندر جديد. ص١٠-١٣.

ب – علم التفسير. د. القس فهيم عزيز.

جـ – يسوع المسيح ربنا. جون والفررد.

د – السبتيون الأدفنتست وعقائدهم المخالفة للمسيحية. وهيب ملك.

٦٠ – نزول عيسى بن مريم آخر الزمان. للإمام جلال الدين السيوطي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار إحياء السنة النبوية. ص٥٤.

٦١ – التصريح بما تواتر في نزول المسيح. الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي. تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. ط مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ص٨٠.

٦٢ - ومن الكتب التي تحدثت حول هذا الموضوع:

أ - الفتاوى. الشيخ شلتوت. ط ١٤. دار الشروق. ص٥٩-٨٠.

ب - إقامة البرهان على نزول عيسى آخر الزمان. الشيخ عبد الله محمد الصديق الغماري. مطبعة الإخوان المسلمين.

جـ - نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة. الشيخ محمد زاهد الكوثري. مكتبة القدسي.

د - عقيدة الإسلام في رفع عيسى ونزوله في آخر الزمان. محمد ضياء الدين الكردي.

هـ - أشرطة الساعة ونظرية آخر الزمان. د. فتحي عيد يحيى.

و - فصل المقال في رفع عيسى حياً ونزوله وقتله الدجال. الشيخ محمد خليل هراس. مكتبة السنة.

ز - المسيح ورسالته في القرآن. الشيخ محمد سيد أحمد.

ح - المسيح عيسى بن مريم. للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير. ط مكتبة الآداب.

ط - وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبهة المخالفين. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. دار العلم. بنها.

ي - المسيحية. د. أحمد شلبي. مكتبة النهضة المصرية. ط٦. ص٤٧-٥٨.

ك - مشكلات العقيدة النصرانية. د. سعد الدين السيد صالح. دار الهدى للطباعة. ص١٤٥-١٤٧.

ل - أضواء على السنة المحمدية. الشيخ محمود أبو رية. ط ٥. دار المعارف. ص١٥٤-١٥٦.

م – المسيح الدجال وأسرار الساعة. العلامة محمد السفاريني.مكتبة التراث الإسلامي. ص٥١-٦٣.

ن – المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى. سعيد أيوب. الفتح للإعلام العربي.

ف – تعقيبات. أ. علي الجوهري:

– مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء. دار الاعتصام. ص ١٩٧-٢٠٣.

– أخطر المناظرات: هل مات المسيح على الصليب؟ البشير للنشر والتوزيع. ص١١٧-١٧٩.

وغيرها من الكتب التي تتحدث عن نزول المسيح.

الفصل الرابع

٦٣ – حياة المسيح. عباس محمود العقاد. ص١٩١-١٩٢. ط دار الهلال.

٦٤ – دائرة المعارف الإسلامية. جـ ٨. ص١٠٠. دار الشعب.

٦٥ – مروج الذهب. المسعودي. جـ ١. ص٤٦.

٦٦– الفكر الديني الجاهلي. د. محمد إبراهيم الفيومي. ص١٤٨، ١٤٩، ١٦٧، ١٦٨. ط ٣ سنة ١٩٨٢م. دار المعارف.

٦٧ – أديان الهند. د. أحمد شلبي. ص١٥٨. ط ٥. مكتبة النهضة المصرية.

٦٨ – حياة المسيح. ص١٩١-١٩٢.

٦٩ – The New Encylopoedia Bretannica vol. 22. 15 ed. p 473.

٧٠ – المرجع السابق. vol. 15 p 276

٧١ – دائرة المعارف الإسلامية. مجلد ٨. ص٨.

٧٢ – مجلة المسرة. عدد ٥٨٦. يونيو سنة ١٩٧٣. ص٥٤٣. المستشرقون. نجيب العقيقي. جـ ١. ص٣٧٨. ط ٤. دار المعارف.

٧٣ – المستشرقون. جـ١. ص٤٣٨.

٧٤ – المرجع السابق. ص٣٨٥.

٧٥ – دائرة المعارف الإسلامية. جـ ٨. ص١٠١، مجلة المسرة ص٥٤٣.

٧٦ – تاريخ الأدب السرياني. د. مراد كامل وآخرون. ص١٧٢-١٧٧. ط ٢ سنة ١٩٧٩. دار الثقافة للطباعة والنشر.

٧٧ – لمعرفة قصة اهتداء بوذا ارجع إلى أديان العالم. حبيب سعيد. ص٩٢-٩٥، أديان الهند الكبرى. د. أحمد شلبي. ص١٤١-١٤٥، فلاسفة إنسانيون. ترجمة د. عادل العوا. ص٥٨-٦٢.، الهند القديمة. د. محمد إسماعيل الندوي. ص١٤٥-١٤٦.

٧٨ – فلاسفة إنسانيون. كارل ياسبرس. ترجمة د. عادل عويدات ص١٠٧.

٧٩ – الهند القديمة حضارتها ودياناتها. د. محمد إسماعيل الندوي. ص٢٠٩. دار الشعب.

٨٠ – دائرة المعارف الإسلامية. جـ ٣. ص٢٨. دار الشعب.

٨١ – المسيحية. د. أحمد شلبي. ص٤٣. ط ٦ سنة١٩٧٨.

الملاحق

ملحق ١

مثل الزارع والبذار

لقد ورد هذا المثل في العهد الجديد على لسان المسيح في مت١٣: ٣-٨، مر٤: ٣-٨، لو٨: ٥-٨، ولهذا المثل تأثير في كثير من الكتابات، ومن الأمثلة على ذلك أنه جاء في كتاب بلوهر وبوذاسف الذي هو موضوع بحثنا.

وجاء أيضاً في كتاب "الرعاية لحقوق الله والقيام بها" * لأبي عبد الله حارث بن أسد القنازي الملقب بالمحاسبي. وهو فقيه شافعي متصوف. وُلد في البصرة حوالي سنة ٧٨٠-٧٨١م، وتوفى في بغداد سنة ٨٥٧م.

---

* "الكتاب عبارة عن نصائح لأحد المتعلمين، ويربط الجدل بالرواية، ولكنه ولا ريب أجمل كتاب إسلامي عن الحياة الباطنة ،كما يرى ماسينون، ونيكلسون ، ومرجع الغزالي في مذهبه الخاص بالمعجزات. وللمؤلف كثير من الكتب الآخرى منها كتاب (الدماء) ذكره ابن حجر في كتابه (تهذيب التهذيب. جـ٢ ص١٣٤-١٣٦) وفيه إشارات كثيرة إلى الإنجيل وكتب الأبوكريفا المتعلقة به مثل العظة التي يقال إن المسيح قالها للعالم السوء وهي في إحياء علوم الدين للغزالي. ط بولاق جـ٣ ص٣٩٨-٣٩٩.

(كما قال المسيح للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع)".

"تاريخ الأدب العربي. جـ٤. كارل بروكمان. تعريب د. السيد يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب. ط٢. دار المعارف. ص٥٩-٦١".

وقد جاء أيضاً في كتاب "عوارف المعارف"[1] لشهاب الدين أبي عبد الله السهروردي** المتوفى عام ١٢٣١م.

وهناك حديث على لسان محمد بينه وبين المثل الإنجيلي بعض مسافة. وهو قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان من نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله وتعالى به فعلم وعلّم. ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" [2].

ولا تسند النصوص القديمة المثل إلى المسيح. فالمحاسبي يمهد له بقوله: "حدثنا الغُلابي قال: سمعت سفيان بن عُيينه يقول: أول العلم حسن الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر. وضرب بعض الحكماء مثلاً لذلك كله فقال...."

ولعل المحاسبي يجهل مصدر هذا المثل، ولولا ذلك لذكر المسيح، فهو في مواضع أخرى من كتابه، لا يحجم عن الاستشهاد بأقواله، ولكنها غالباً ما تأتي عنده بمعناها ومغزاها أكثر مما تنقل بتعبيرها الحرفي. ومن ذلك، على سبيل المثال قوله:

** السهروردي: شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله، صوفي وفقيه من الشافعية، ولد عام ١١٤٥م في سهرورد بفارس.. ثم استقر في بغداد وأصبح شيخ الصوفية في زمن الخليفة الناصر. توفي سنة ١٢٣٤م. وأشهر كتبه: عوارف المعارف، كشف النصائح الغمامية وكشف الفضائح اليونانية، وقد أهداهما للخليفة الناصر.

"دائرة المعارف الإسلامية. الترجمة العربية. طبعة دار المعرفة. بيروت. مجلد ١٢. ص٢٩٦-٢٩٧".

"قال عيسى عليه السلام والبركة، يا معشر الحواريين أدعو الله، عـــزّ وجلّ أن يهوّن عليّ هذه السكرة، يعني الموت، فلقد خفت الموت مخافـــة، أوقفني خوفي من الموت على الموت"

وهذا الكلام مقتبس من أقوال المسيح في بستان الزيتـــون (مـــت٢٦: ٣٦-٣٩، مر١٤: ٣٣-٣٦، لو٢٢: ٤٠-٤٢).

وفي الصفحات التالية نسجل المثل كما جاء في إنجيل متى مقارنة بمـــا جاء في كتاب بلوهر وبوذاسف (برلام وبود أساف) ثم كتاب الرعاية، ثـــم كتاب عوارف المعارف:

(١) - هوذا الزارع قد خرج ليزرع (مت١٣: ٣).

- إن الباذر خرج ببذره الطيب ليبذره (بلوهر).
- إن الباذر خرج ببذره (الرعاية).
- إن الباذر خرج ببذره (عوارف المعارف).

(٢) - وفيما هو يزرع سقط بعض (الحب) على الطريق فجاءت الطيور وأكلته (مت١٣: ٤).

- فلمـــا ملأ كفه منه فنشره وقع بـــعض على حافة الطريق فلا يلبث شيئاً أن التقطه الطير (بلوهر).
- وملأ منه كفه فبذر فـــــــوقع منـــه شيئاً على ظهر الطريق، فلم يلبث أن أنحط الطير عليه فاختطفه (الرعاية).
- نفس ما جاء في كتاب الرعاية (عوارف المعارف).

(٣) - وسقط آخر على الأمـــــــاكن المـــــحجرة، حيث لم تكن له تربة كثيرة، فنبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض (مت ١٣: ٥).

- ووقع بعضه عــــــلى صـــــفاً قد أصابه ماء وندى وطين فنبت، حتى إذا اهتز صارت عروقه إلى يبس الصفا فيموت (بلوهر).

- ووقع بعضه عـــــلى صفاً يعني حجراً أملساً عليه تراب يســـــير وندى قليل، فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفا لم يجد مساغاً ينفذ فيه فيبس (الرعاية).
- نفس ما جاء في كتاب الرعاية (عوارف المعارف).

(٤) – ولكن لما أشرقت الشمس لحترق، وإذ لم يكن له أصل جف. (مت١٣: ٦).
- غير مذكور (بلوهر).
- غير مذكور (الرعاية).
- غير مذكور (عوارف المعارف).

(٥) – وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه (مت١٣: ٧).
- ووقع بعضه في أرض ذات شوك، حـــتى إذا سنبــــل، وكاد أن يثمر خنقه الشوك فأماته (بلوهر).
- ووقع منه شئ في أرض طيبة، فيها شــــوك نابت فنـبت البذر فلماأرتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به (الرعاية).
- كما في الرعاية (عوارف المعارف).

(٦)– وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعـــــطى ثمراً. بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين (مت١٣: ٨).
- ووقع القليل منه في أرض طيبة منقاة، فسلم وزكا وطاب ونما (بلوهر).
- ووقع منه شئ على أرض طيبة، ليس عــــــلى ظهر الطريق ولا على صفا، ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح (الرعاية).
- كما في الرعاية(عوارف المعارف).

(٧) – من مرقس نرى أن الزارع كلمة الله.
- وتفسير ذلك يا ابن الملك أن الزارع هو حـــامل الحكمــــة، وأما

البذر الطيب فصواب الكلام (بلوهر).

- فمثل الباذر كمثل الحكيم، ومثل البذر مثل صواب الكلام، يتكلم به الحكيم (الرعاية).

- كما في الرعاية (عوارف المعارف).

(٨) - كل من يسمع كلمة الملكوت، ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزروع على الطريق (مت١٣: ١٩).

- فأما ما وقع منه على حافة الطريق فتخطفه الطير. فذلك ما لم يجاوز السمع حتى مرّ صفحاً (بلوهر).

- ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع، الكلام وهو لا يريد أن يسمعه، فلا يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه (الرعاية).

- كما في الرعاية (عوارف المعارف).

(٩) - والمزروع على الأماكن المحجرة، هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصل في ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر (مت ١٣: ٢١-٢٢).

- وأما ما وقع منه على الصفا الندية، ثم يبس حين بلغت عروقه الصفا. فذلك ما استحلاه صاحبه ساعة عند السماع بفراغ من قلبه وعرفه بفهمه ولم يعقد عليه بمحافظة ولا نية ولا عقل (بلوهر).

- ومثل الذي وقع على الصفا مثل الرجل يسمع الكلام ويستحسنه، ثم يفضي إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينفسخ من قلبه(الرعاية).

- كما في الرعاية (عوارف المعارف).

(١٠) - والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة. وهم هـــذا العالم، وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر (مت ١٣: ٢٢).

_ وأما ما نبت منه وكاد يثمر ثم أهلكه الشوك فهو ما رعـــاه صاحبه وعقَلَهُ، حتى إذا كان عند العمـــل الذي هو ثمرته، خنقته الشهوات فأهلكته (بلوهر).

- ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك، مثل الرجل الـــذي يستمع إلى الكلام وهو ينوي أن يعمل به، فإذا اعتـــرضت له الشهوات عند مواقع الأعمال خنقته فأفسدته (الرعاية).

- كما في الرعاية. ويضيف والشهوات قيدته عن النهوض بالعـــمل فيترك ما نوى عمله لغلبـــة الشهوة، كالزرع يختنق بالشوك (عوارف المعارف).

(١١) - وأما المزروع على الأرض الجيدة (مت١٣: ٢٣).

- أما ما وقع منه في الأرض الطيبة وزكا وطاب ونما (بلوهر).

- ومثل الذي وقع في أرض طيبة، ليس على ظهر طريق ولا فـــيها شوك، ولا على صفا(الرعاية).

- ومثل الذي وقع في أرض طيبة (عوارف المعارف).

(١٢) - فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم. وهو الذي يأتي بثمر فيصـــنع بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين (مت١٣: ٢٣).

- فهو ما اجتباه البشر، ووعـــاه السمع، وحفـــظه القلب، وأنفذه العزم على قمع الشهوات وتطهير القلب من الدنس، والعمل به (بلوهر).

- مثل الرجل يستمع إلى الكلام، وهو ينوي أن يعمل بـــه، فيفهمه ثم يصبر على العمل به عند مواقع الأعمال، ويجانب الشهوات (الرعاية).

- مثل الرجل يستمع إلى الكلام(عوارف المعارف).

مما سبق نرى أن وجود شخص يروي مثلاً يشبه المثل الذي قاله السيد المسيح* ، لا يعني أنه هو المسيح، فأمثال المســـيح اقتبســـها الكثـــيرون، وخاصة المتصوفون.

ويقول د. عبد الدائم الأنصاري[٣]:

"من العناصر الأجنبية التي كان لها تـــأثير شـــديد علـــى التصـــوف النصرانية. فقد اشتد الجدال بين رجالات النصرانية والمتصوفة، كما حدث الاختلاط بينهما، فأخذت آيات من الإنجيل تظهر في أقوالهم وكتبهم، وهـــا هي كتب الغزالي خاصة: كتاب الإحياء، مليئة بكثير من القصـــص الـــذي يمثل الزهد ويؤكد المحبة.

فقد قيل[٤]: إن راهبين قدما من سوريا إلى البصرة، فقـــال أحدهمـــا للآخر: ألا تذهب لزيارة الحسن البصري فحياته كحياة المسيح.

كما كانت أديرة الرها وحران هما حلقة الاتصال بين المسلمين والثقافة اليونانية[٥]. وتروي كتب الصوفية قصة المسيح الذي مر على ثلاثة نحلـــت جسومهم وأصفرت وجوههم، فقال لهم: ماذا أتى بكم إلى هنـــا؟ فأجـــابوه: خوفاً من النار، فرد عليهم أنكم تخافون شيئاً مخلوقـــاً، وخليـــق بـــالله أن

---

* المرجع الرئيسي هو مقالة تحت عنوان: "مثل إنجيلي في نصوص عربية قديمة" بقلم حنا منصور. مجلة المسرة. عدد ٥٨٦. يونيو ١٩٧٣م. مع تعديل ترجمة نص إنجيل مت ١٣ واقتباسه من ترجمة فانديك. بيروت.

يخلص من يخشاه، ثم مر بثلاثة أشد ضعفاً مـن الأول، فسـألهم السـؤال السابق. فأجابوا شوقاً إلى الجنة، فقال: رغبتم في شئ مخلوق وجدير بـالله أن يحسن على من يرجوه، وأخيراً مر بثلاثة هـم فـي غايـة النحـول والأصفرار، فسألهم كما سأل الفريقين الأولين فاجابوه محبـة الله، فـهتف المسيح أنتم أقرب الناس إلى الله[6].

ويقول د.كامل سعفان في حديثه عن الصوفيين[7]: "ولعل من أخطـر ما يجابهنا من كتابات بعضهم استخدام عبارات (التثليث) فيما يتناولون مـن علاقة الناسوت باللاهوت. ودون شك كان للثقافة المسيحية دور في هـذا، وبخاصة أن المجتمع الإسلامي أتسع فيمـا أتسـع لمجتمعـات مسـيحية، والحضارة الإسلامية استمدت فيما استمدت روافد من ثقافات مسيحية.

ويقول أيضاً: إن الصوفية تأثروا فعلاً بالفكر المسيحي[8].

المراجع:

١ – عوارف المعارف. للسهروردي. تحقيق د. عبد الحليم محمـود، د.محمود بن الشريف. دار المعارف. ط ١٩٩٣. جـ١، جـ٢. والكتـاب من أشهر الرسائل في التصوف، وقد نشر بالقاهرة على هـامش الإحيـاء للغزالي، وهو بصفة خاصة رسالة في الأخلاق والتصوف العملي، ولكنـه في الوقت نفسه يشتمل على إشارات تاريخية هامة، فضلاً عن أنه مؤلـف قيم يزودنا بالمعلومات عن المصطلحات الصوفية.

ويقول عنه د. محمد غلاب: هو كتاب المبـادئ التـي يجـب علـى المتصوفة اتباعها، وهو واحد وستون فصلاً في صورة نصائح مملاة علـى أحد المريدين. ويعتبر منهجاً كاملاً للإرشاد النفسي. وقد عكف الغزالـي – قبل أن يؤلف كتاب الأحياء– على دراسته والعمل بما فيه زمنـاً طويـلاً

وظلت تعاليمه ذائعة في بيئات الصوفية ولا سيما الطريقة الشـاذلية عـدة قرون رغم ما وجه إليه من حملات الخصوم. "التصـوف المقـارن". د. محمد غلاب. مكتبة نهضة مصر. ص٥٢.

٢ - رواه أبو موسى الأشعري. صحيح البخاري: كتاب العلم. بـاب فضل من عِلم وعلّم. جـ١. ص١٨. المطبعة الشرقية. ١٣٠٤هـ.

٣ - التصوف بين الفلسفة والإسلام. د. عبد الدايم أبو العطاء البقري الأنصارى. مكتبة الأنجلو. ص١٥-١٦.

٤- الكامل للمبرد. جـ٢. ص٢٨

٥ - صوفية الإسلام. لنيكلسون. ص٩٨٢.

٦ - دائرة المعارف الإسلامية مجلد. ص٤٠ (بتصرف).

٧ - سبحان الله. د.كامل سعفان. دار المعارف. ط ١ سنة ١٩٨٠.ص٣٥.

٨ - المرجع السابق. ص٣٩

ملحق رقم ٢

الصورة الإسلامية لقصة بوذا

إذا كانت قصة برلام وبوذاسف هي الصورة المسيحية لقصة بوذا، فهناك أيضاً الصورة الإسلامية لقصة بوذا نراها ممثلة في الصوفي إبراهيم بن أدهم البلخي وهو: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر. زاهد مشهور من كورة بلخ. تاريخ وفاته بين سنتي ٧٧٦-٧٨٣م.. ويرى جولد زيهر أن قصة تصوفه صيغت على نمط قصة بوذا"[١].

ويقول د. أوليرى: "علينا أن لا نتجاهل وجود تأثيرات بوذية -على التصوف الإسلامي- إذ أن الدعوة البوذية كانت نشطة في زمن ما قبل الإسلام في شرق البلاد الفارسية وفي خراسان، كما أن الأديرة البوذية كانت منتشرة في بلخ"[٢].

- ويقول الأستاذ حامد عبد القادر: "ليس ببعيد أن التصوف الإسلامي قد تأثر إلى حد ما بالبوذية، فقد ترعرع التصوف الإسلامي في شرق إيران حيث كانت البوذية قد فشت قبل الفتح الإسلامي بنحو ألف عام"[٣].

"ولا ريب أن سيرة بوذا وحياته الخاصة قد راقت في أعين كثير من الناس، وأن فريقاً من الملوك والأمراء قد سلكوا مسلكه.. ويروى التاريخ عن إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي، أنه كان من أبناء الملوك، يرفل في حلل النعيم، ويستمتع بقدر غير يسير من الجاه والسلطان.

روي أنه بينما كان جالساً على باب قصره يوماً ما، وقد اصطف خدمه وحشمه على مقربة منه، وإذا بدرويش يصل من عرض الطريق ويريد أن يدخل القصر، فقال له الحشم إلى أين تذهب أيها الشيخ؟ فقال الشيخ : أريد

أن أدخل هذه الاستراحة. فقالوا له: هذا قصر سلطان بلخ، وليس استراحة. فقال الشيخ: لا إنه لاستراحة. وسمع السلطان هذا فاستدعى الدرويش، ولما مثل بين يديه قال له: أيها الدرويش، هذه داري فكيف تقول إنها استراحة؟ فأجاب الدرويش: يا إبراهيم أتأذن لي أن أسألك بعض الأسئلة؟ ملك من كانت هذه الدار في أول الأمر؟ فقال السلطان: كانت ملك جدي. فقال الشيخ: وملك من صارت لما توفى جدك؟ فأجاب السلطان: ملك أبي، فقال الدرويش: وإلى من آلت بعد أن توفى والدك؟ فأجاب السلطان: آلت إليّ. فقال الدرويش: وإلى من تؤول بعد أن تتوفى؟ فقال السلطان: تؤول إلى ابني، وحينئذ قال الدرويش: يا إبراهيم، إن المكان الذي يدخله واحد ويخرج منه هو استراحة، لا دار إقامة، فتأثر إبراهيم بذلك.

وخرج ابن أدهم يوماً للصيد فأثار ثعلباً أو أرنباً، وبينما كان يجدّ في طلب فريسته إذا به يسمع هاتفاً يقول له: يا إبراهيم ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به أيضاً فسمعه كأنه يخاطبه من قربوس سرجه ويقول: يا إبراهيم والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت. فنزل إبراهيم عن فرسه، وصادف راعياً لأبيه يلبس جبة صوف فأخذها ولبسها، وأعطى الراعي فرسه وكل ما كان معه، ثم أنه دخل البادية ثم رحل إلى مكة فدخلها.. ثم انتقل إلى الشام ومات بها.. من هنا نرى أن جولد زيهر على حق حين يقول: "إن قصة إبراهيم بن أدهم تشبه قصة بوذا نفسه، فكلاهما كان أميراً تخلى عن إمارته، ثم سلك مسلك التبتل والتعبد". فهل كان إبراهيم على علم بقصة بوذا لأنه بلخي، وبلخ عاصمة بختر (باكترا القديمة) القريبة جداً من مسقط رأس بوذا" (٤)

"وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير في بلخ كان نائماً في غرفته ذات ليلة، وكان الحارس نائماً فوق سطح هذه الغرفة فسمع ضجيجاً ووقع أقدام

فوق السقف، فسأل عن مصدر هذه الجلبة، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة: إننا نبحث عن إبل. فسأل إبراهيم قائلاً: وهل يبحث عن إبل فوق السقف؟ فأجابته الأشباح قائلة: وأنت كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش. فأثرت هذه العبارات في نفس الأمير تأثراً دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته. ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل في مصنوعات الله حتى صار من أجلاء الصوفية.... هذه هي الصورة التي قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم.. تلك الأساطير التي تشبه أساطير بوذا، بل لعلها مأخوذة منها".(٥)

المراجع:

١ – دائرة المعارف الإسلامية مجلد١. طبعة دار الشعب. . ص١٥٣

٢ – الفكر العربي ومركزه في التاريخ. دي لاس أوليرى. طبعة دار الكتاب اللبناني. ص١٦٣.

٣ – بوذا الأكبر. حامد عبد القادر. مكتبة نهضة مصر. ص١٥٧-١٥٨. وانظر أيضاً:التصوف المقارن. مكتبة نهضة مصر. ص٥٤-٥٥.

٤ – بوذا الأكبر. ص١٥٦-١٥٧.

٥ – التصوف المقارن. ص٥٥.

وذكر د. محمد يحيى الهاشمي "إن قصة إبراهيم بن أدهم الذي عاش في القرن الثامن الميلادي، والذي قيل أنه ترك الإمارة والعرش، وصار صوفياً هي قصة بوذا نفسه منقولة".

مقالة تحت عنوان "بوذا وأبي العلاء". مجلة ثقافة الهند. أكتوبر ١٩٦٢م. مجلد ١٣عدد٤. دلهي. الهند. ص١٠١

ملحق ٣

مواقف معاصرة من قضية الصليب

لقد ذكرنا في كتاب سابق موقف بعض الأشخاص من قضية الصليب. وهنا سوف نذكر البعض الآخر، وهذه الآراء مواقف فردية وليست عقيدة الجماعة. وأني أنقلها كما ذكرها أصحابها بكل أمانة والهدف من ذلك هو التعرف على وجهات النظر المختلفة تجاه هذه القضية الهامة:

أولا: رأي د. عبد المجيد الشرفي*

" وكما نفي القرآن إلوهية عيسى وعقيدة الثالوث، فإنه نفى في الآية ١٥٧ من سورة النساء أن يكون اليهود قتلوا عيسى أو صلبوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. وما قتلوه يقيناً)، فهل تعني هذه الآية أنه قُتل وصُلب ، لكن على غير أيدي اليهود أم أنه لم يُقتل ولم يُصلب البتة؟ لا شئ مبدئياً يمكّننا من ترجيح أحد الاحتمالين إن اقتصرنا على النص القرآني وحده، ولم نعتمد السنة التفسيرية التي بتت في اتجاه نفي الصليب جملة في أغلب الأحيان. على أن هذه الآيات لا يجوز أن تفصل عن الآية ٣٣ من سورة مريم: (والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا)، وكذلك عن الآية ٥٥ من آل عمران: (يا عيسى إني متوفيك)، وعن الآية ١١٧ من المائدة: (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم)، وهي صريحة في أن عيسى يموت ويتوفى.

* د. عبد المجيد الشرفي: عميد كلية الآداب بتونس، وله كثير من المقالات التي تتعلق بالعلاقات المسيحية -الإسلامية.

فليس من المستبعد أن يكون إنكار قتل اليهود عيسى وصلبه من بـــاب المجادلة المقصود بها التنقيص من شأن المجادلين، لا سيما أن كل الأحداث المتعلقة بحياة المسيح لم تزل منذ القديم محل أخذ ورد واختلاف، ولا أحـد يستطيع ادعاء اليقين فيها. يضاف إلى هذا أن إقرار القرآن برفع عيســـى في الآية الموالية يتفق والعقيدة المسيحية في هذا الرفــع، بـل ويتماشـى والعقلية الشائعة في الحضارات القديمة والمؤمنة بهذه الظاهرة. والأمثلـــة على ذلك كثيرة. فهل نحن في حاجة إلى التنقيب عـــن مصـدر العقيـدة القرآنية المتعلقة بنهايـــة حيـاة المسـيح فـي آراء الفـرق الظاهرانيـة (Docetistes)؟*

---

* Docetistes تأتي من الكلمة اليونانية Dokea ويمكن ترجمتها إلى "التراثي"، فـالفعل اليوناني معناه "يبدو" أو "يظهر" وقد نادى أصحاب هذا المبدأ بأن جسـد يسـوع كـان "مظهراً" أو "شبحاً" غير مادي، وأن يسوع لم يأخذ جسداً حقيقياً، لكنه بدا فقط، وكأنـه أخذ جسداً، وقد أصر هؤلاء على أن يسوع لم يكن له على الإطلاق جسداً طبيعياً من لحم ودم، لكنه كان كائناً روحياً بحتاً، ولم يكن فيه من الجسد سوى المظهر فقـــط، وكتـاب "أعمال يوحنا" الذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٦٠م، وهو أحد الأســـفار غـير القانونيـة، ويتضمن تعاليم منحرفة، يتبنى كاتبه هذه العقيدة، فيجري على لسان "يوحنا" أقوالاً، يدّعـي أنه نطق بها، عندما لمس يسوع، الذي بدا له أنه قابله أحياناً بجسد مادي صلب، وفي أحيـان أخرى، كان جسده غير مادي كأنه لا وجود له البتة، كما يضع في فم يوحنا القول بأنـــه "عندما كان يسوع يمشي، لم تكن أقدامه تترك على الأرض أثراً ما".

وأبسط تصوير لهذه العقيدة، هو الإنكار التام لكون يسوع قد أخذ جسداً بشرياً مـن أي نوع". تفسير رسائل يوحنا. د. وليم باركلي. تعريب القـس جـاد المنفلوطـي. ط١ ١٩٨٣م. ص ١٦.

أما الأبونية، فترى أن المسيح "كلمة الله" حل على يسوع عند المعمودية، ثم فارقه قبـل القبض عليه، أي أن الذي صلب هو يسوع الجسد وليس المسيح كلمة الله.

أليس في منطق الدعوة ذاته ما يفسر هذا الموقف الواضح في الرفع من شأن المسيح وابعاد كل ما عساه أن ينال من المنزلة التي يشترك فيها مع سائر الأنبياء من جهة، والذي يترك الباب مفتوحاً للتأويل واعتماد المعطيات التاريخية في أمر موته من جهة أخرى".

ويقول المؤلف أيضاً تحت عنوان: الصلب

"من اليسير أولاً أن نسجل أن هذا الغرض لم يكن محل عناية كبيرة من قبل المفكرين المسلمين، رغم أنه غرض محوري في المنظومة اللاهوتية المسيحية ويحق لنا أن نتساءل عن علة هذا الإعراض النسبي، وهل ينم عن نوع من الحرج في مواجهة الرواية ذات الصبغة التاريخية المتعلقة بالصليب والسائدة في أوساط النصارى.. بمجرد آية قرآنية؟ أم هل اعتبر المسلمون أن نظرية الفداء تسقط بطبيعتها إن لم ترتكز على أساس متين بعد النقد الصارم الذي وجه إلى عقيدتي التثليث والتجسد؟[1]

ثانيا: عبد الرحمن سليم البغدادي*

"(وما قتلوه وما صلبوه) لا يفهم منها أن المسيح لم يمت قط، بل هو نص صريح في أن القتل والصلب لم يقعا على ذاته من اليهود فقط" [2].

وتاريخياً هذا القول صحيح، فعندما قُبض على المسيح وحُوكم، أدانه السنهدرين بالتجديف وعقوبة هذا الرجم، ولكن اليهود كانوا في ذلك الوقت تحت حكم الرومان ولم يكن من سلطتهم إصدار حكم الموت، ولذلك أخذوه

وسوف نناقش هذا الموضوع بالتفصيل إن شاء الله في كتاب "صلب المسيح وموقف البدع والهرطقات".

* عراقي ولد وعاش ومات في بغداد (١٨٣٢ - ١٩١١)، وكان رئيساً لمحكمتها التجارية وانتخب نائباً في المجلس العثماني.

إلى بيلاطس قائلين: لا يجوز لنا أن نقتل أحداً (يو١٨: ٣١)،، ولذلك تمت محاكمته أمام بيلاطس الوالي الروماني، وصدر الحكم بصلب المسيح، وتم تنفيذ ذلك بواسطة الجنود الرومان، أي أن صلب المسيح تم بواسطة الرومان لا اليهود، وبذلك فهم لم يقتلوه وإن كانوا السبب في ذلك.

ثالثا: نبيل الفضل

" إن عملية الصلب لا يهم أن تكون على عمود رأسي وآخر أفقي كما في الصليب، بل قد تكون على عمود رأسي فقط.. وصلب المسيح ربما كان على صليب ذي عمودين رأسي وأفقي، أو ربما على عمود رأسي فقط، فإن كان المسيح قد صُلب على عمود رأسي فقط، فإن تعبير (صلب المسيح) يكون تعبيراً غير كامل. فتعبير صلب يجوز في حالة وجود عمود رأسي وأفقي، فإن كان عمود واحد فالأدق أن يكون التعبير هو (تعليق المسيح) لا (صلب المسيح). ورغم أن الحالتين تؤديان إلى الوفاة بالاختناق، إلا أن هذا يذكرنا بقول القرآن (وما صلبوه)"[٣].

ثم يحاول المؤلف في الصفحات التالية من كتابه أن يثبت أن المسيح لم يمت على الصليب بل كان في حالة إغماء، ويقول "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" هنا كان خطأ مفسري القرآن في صلب وقتل المسيح. فكلمة شبه لهم، لم تكن تعني أنه كان هناك إنسان شبيه بعيسى عليه السلام وصلبه اليهود ظناً منهم بأنه المسيح. فكلمة شبه لهم تعني أنهم اشتبهوا في موته ولم يتيقنوا من موته، ولذلك تنتهي الآية بقوله سبحانه وتعالى (وما قتلوه يقيناً)" [٤]

أي أن المؤلف هنا يرى أن المسيح ربما قد عُلق على خشبة رأسية وأنه لم يمت على هذه الخشبة، بل كان في حالة إغماء.

رابعاً: علي الجوهري

لقد قام على الجوهري بترجمة بعض كتب الداعية أحمد ديدات وقد قام بالتعليق والتعقيب على إحدى مناظراته، وذكر رأيه في قضية موت المسيح.

*يقول علي الجوهري عن أهمية الإيمان بقضية الصليب:

"وعلى الرغم من أن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه لا تكاد تشكل أهمية فيما يتعلق بعقيدة الإنسان المسلم ، نجد أنها عصب عقيدة الإنسان المسيحي.. صلب المسيح وموته على الصليب هو محور وأساس وعصب الديانة المسيحية فيما يعتقد المسيحيون، وانتفاء الصلب وموت المسيح على الصليب وفداء البشرية من الخطيئة الأصلية، خطيئة سيدنا آدم عندما أكل من الشجرة المحرمة، وفداء البشرية من خطاياهم، وهو الفداء الذى لا يتم إلا من خلال الإيمان بالوهية المسيح، وبصلبه وبموته على الصليب، وبقيامته من بين الأموات، وانتفاء الصلب بمعنى الموت على الصليب يهدم أساس كل هذه المعتقدات، ولذلك يجمع المسيحيون على أن صلب المسيح وموته على الصليب، وقيامته من بين الأموات إنما هو أساس المسيحية وتنهدم وتنهار المسيحية لو انتفى موت المسيح على الصليب".[٥]

* ثم يوضح الأستاذ علي الجوهري مفهومه عن الصلب قائلا:

"أهم الأسئلة فيما يتعلق بمسألة صلب المسيح أو نهاية شأن المسيح مع قومه كما أفضل أن اسميها هي: ما هو معنى الصلب؟ هل الصلب هو مجرد وضع شخص على الصليب سواء مات من جراء الصلب أو لم يمت لأي سبب من الأسباب؟ أم أن الصلب لا يتم إلا إذا مات الشخص المحكوم عليه بالصلب على الصليب؟ إن تحديد معنى الصلب بالإجابة على هذه الأسئلة الهامة يجعلنا نعرف على وجه الدقة ما إذا كانوا قد قتلوه وصلبوه، أو أنهم (ما قتلوه وما صلبوه).

جدير بنا أن ندقق في معنى الفعل المبني للمجهول (صُلب). يقال عن شخص إنه صُلب إذا كان مات على الصليب ويقال عن شخص إنه (أُغرق) إذا كان قد مات إغراقاً تحت الماء، أما إذا كان حاول بعض الناس إغراق شخص تحت سطح الماء بهدف قتله ولم يمت هذا الشخص تحت الماء لأي سبب فإنهم لم يغرقوه. يجوز أن يكونوا قد شرعوا في قتله بإغراقه، ولكنهم في حقيقة الأمر (ما قتلوه وما أغرقوه)، حيث أنه لم يمت تحت سطح الماء من جراء إغراقهم له، في محاولتهم قتله تحت سطح الماء. وهكذا لو وُضع شخص على الصليب ولم يمت من جراء الصلب لا يجوز أن نقول عنه أنه صلب. ربما كان هذا شروعا في قتله صلبا، ولكنهم(ما صلبوه)"[٦]

- ويوضح علي الجوهري، رأيه في نظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر بقوله:

"أن إلقاء شبه المسيح على شخص غير المسيح إنما هو نظرية قال بها المفسرون، إنها رأي المفسرين، ومن المعروف أن المفسرين يلزم كل منهم أن ينظر في تفسير من سبقه من المفسرين. هذا بطبيعة الحال من ضرورات التصدي لمحاولة تفسير آيات القرآن الكريم.

ونظرية إلقاء الشبه غير مستساغة وغير معقولة لأسباب هامة كثيرة:

أولا: لا دليل عليها، ولتكون نظرية مستساغة ومقبولة ومعقولة يلزم أن تتوافر لها أدلة على صحتها. ونظرية إلقاء شبه المسيح على شخص غيره لا ينهض دليل على صحتها، وتنهض أدلة على عدم صحتها.. لقد اضطر المفسرون المسلمون إلى القول بنظرية إلقاء الشبه إجابة وحيدة لسؤال فرض نفسه هو: إذا كان المسيح ما قتلوه وما صلبوه، فماذا حدث له؟ وكيف نجا من القتل والصلب؟ في حين أنهم لو التفتوا إلى أن نفي الصلب لا يستوجب عدم الوضع على الصليب.ويجوز أن يوضع شخص على الصليب بقصد قتله صلبا، ولا يكون هذا الشخص قد قتل أو صلب إذا لم يمت على الصليب[٧]

ثانياً: لأن إنكار وضع المسيح على الصليب يتعارض مع شهادة شهود العيان.

وشهادة شهود العيان في هذه الجزئية بالذات لا تشوبها شائبة تناقض أو خلاف بين الشهود. كل شهودهم مجمعون عليها.. في مسألة القبض على المسيح ووضعه على الصليب يستحيل بحق إهدار شهادة شهود العيان، وكذلك وقائع محاكمة المسيح أمام السنهدرين وأمام الحاكم الروماني بيلاطس. قبضوا عليه وحاكموه، ووضعوه على الصليب. وشهد بذلك عشرات بل مئات من شهود العيان، ولا تناقض في شهادة شهود العيان بهذا الصدد يمكن التعويل عليه في رفض محتوى شهادتهم...

أليس المطلوب هو إثبات صدق القرآن الكريم فيما أخبر به من أن أعداء المسيح ما قتلوه وما صلبوه؟ يتحقق المطلوب دون حاجة إلى الاعتماد في ذلك على التسليم بنظرية إلقاء الشبه، ودون أن نصطدم بضرورة إهدار شهادة الشهود في مسألة يستحيل فيها إهدار شهادة الشهود. ومن المعلوم أنه في بعض الحالات يمكن التدليل على فساد شهادة الشهود، وفي حالات أخرى لا يكون هنالك سبيل إلى إهدار شهادة الشهود. والقبض على المسيح ووضعه على الصليب من المسائل التي لا يجوز إهدار شهادة الشهود بشأنها –والحق يقال– بأي حال من الأحوال. إنهم مجمعون عليها، ولا تناقض داخلي بشأنها، والحق يقال أيضاً ولا ينبغي كمسلمين أن نجادل بالباطل أبداً. إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك... لأن التمسك بالمعنى الأول من معاني انتفاء الصلب بإنكار وضع المسيح على الصليب يعرض مصداقية القرآن الكريم ذاتها للخطر... إن مَثَلَ مَن يعارضون أن يكون أعداء المسيح قد وضعوه فعلاً على الصليب كمثل شخص حضر حفل زفاف صديق، وأثناء الحفل وقعت حادثة قتل أُتهم فيها هذا الشخص وعندما يتم سؤال هذا الشخص: هل حضرت حفل زفاف صديقك أم لا؟ يقول لا، أنا لم أحضر حفل زفاف صديقي. وإذا شهد شاهدان على أنه كان

يجلس بينهما في ذلك الحفل نجد أن إنكار ذلك الشخص حضـــوره الحفــل يسئ إلى موقفه في التحقيق ولا يفيده[8]

ثالثاً: إن نظرية إلقاء الشبه وردت في إنجيل برنابا وهذا هــو الدليــل الثالث على فسادها وعدم صحتها، إن الاحتجاج بورود هذه النظرية فـــي إنجيل برنابا يكشف قبل أي شئ على أن هذه النظرية ليست من بنات أفكار أي مفسر مسلم، بل هي فكرة مسيحية.. ولا يصح لنا كمســـلمين أن نقيــم عقائدنا على أساس من نصوص إنجيل برنابا الذي لا يعــترف النصـــارى به[9] ولا يجوز أن نثق بنص من نصوص إنجيل برنابـــا لوجــود حديــث صحيح أورده الأمام البخاري في صحيحه في باب قول النبي "لا تســـألوا أهل الكتاب عن شئ كما يلي:

"حدثني محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا على بن المبـــارك عن يحيي ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قـــال: كـــان أهــل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقـــال رسول الله: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم)"[10]

رابعاً: عدم قدرة أي مفسر من القائلين بهذه النظريـــــة علـــى تحديــد الشخص الذي أُلقي عليه شبه المسيح. يقول بعضهم -وراجع ما شـــئت أي تفسير موجز أو مطول- إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على يهوذا. ويقــول بعضهم: إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على شخص يدعـــى طيطـــانوس. ويقول بعضهم: إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على واحد من أتباعه تطــوع لتحمل هذا المصير بدلاً من المسيح بعد أن وعده المسيح أن تكون له الجنة دون تحديد لهذا الشخص بشئ سوى أنه واحد من أتباعه. ويقول بعضـــهم: إنه واحد من حراس المسيح.

ويلزم تحديد شخص واحد بعينه ألقى الله عليه شبه سيدنا عيسى. وعدم تحديد شخص واحد بعينه يفسد هذا الادعاء تماما من الناحية الشكلية البحتة. ولو مات رجل قتيلا إثر طعنة سكين، ويريد أحد أن يدافع عن أحد المتهمين بأن شخصا آخر غير المتهم هو الذي طعنه بالسكين، لوجب عليه أن يحدد من هو هذا الشخص تحديدا قاطعا. ولو تعددت الاحتمالات لأفضى ذلك إلى عدم تحديد القاتل وكان ذلك من مصلحة المتهمين جميعا مهما كان عددهم كبيرا.

ولا ريب أن تضارب آراء المفسرين على هذا النحو بصدد رأيهم ونظريتهم القائلة بإلقاء شبهَ المسيح على شخص آخر غير المسيح يضعف من نظريتهم هذه إلى حد الانهيار[١١]

خامسا: إن أي مفسر لا يستطيع أن يقول أو يدعي أنه شاهد شبه المسيح يلقيه الله سبحانه وتعالى على شخص آخر. ولو زعم أحدهم هذا الزعم لكان زعمه باطلا بطبيعة الحال. ويزداد هذا الزعم ضعفا وانهيارا لو لم يملك من يزعمه أي دليل على صحته. [١٢]

سادسا: ضمائر الغائب الكثيرة الموجودة في الآية

ما شأن ضمائر الغائب الكثيرة الموجودة بالآية الكريمة؟ وكيف تدل على خطأ المفسرين في القول بنظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح؟

إن ضمائر الغائب المفرد لا بد من إرجاعها إلى شخص تعود عليه ضمائر الغائب. والمعقولية شرط لصحة إرجاع ضمير الغائب إلى من يُفترض رجوع ضمير الغائب إليه وقد اختلف المفسرون الإسلاميون بشأنه اختلافاً كبيراً ولم يصب أحدهم الرأي الصواب في إرجاع هذه الضمائر إلى من تعود عليه بشكل قاطع حتى الآن، أنهم جميعاً يرجحون إرجاع

ضمير الغائب إلى المسيح في قول الله سبحانه وتعالى: "وما قتلوه وما صلبوه" صحيح تماماً ولكن الاستمرار في إرجاع ضمير الغائب إلى المسيح في بقية الآية الكريمة خطأ وغير مقبول، ويربك المعنى الصحيح للآية الكريمة..

فإذا وصلنا إلى قول الله سبحانه وتعالى: "وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً". إن ضمائر الغائب المفرد كثيرة في هذا الموضع من الآية الكريمة، وقد أرجعها المفسرون المسلمون كلها إلى المسيح، ولكن الصواب إن ضمائر الغائب المفرد المتكررة في هذا الموضع تعود إلى اختلافهم، أي اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في مسألة أن المسيح قد مات على الصليب أم لم يمت على الصليب. هذه المسألة اختلفوا فيها، هذا الشأن "اختلفوا فيه" وبدءاً من ضمير الغائب المفرد الموجود بآخر حرف الجر هنا تعود الضمائر على الشأن الذي "اختلفوا فيه" ولا تعود إلى المسيح.

هل اختلفوا في أن الشخص الذي حاكموه وقبضوا عليه هو المسيح أو هو شخص آخر؟ هذا احتمال ضعيف جداً وبالغ الضعف وعديم المعقولية. ويلزم أن يكون الرأي السليم سليماً في نظر كل الناس وليس في نظر المسلمين وحدهم.. إن أعداء المسيح لو كانوا قد اختلفوا بشأن شخص المسيح وهل هو الشخص الذي حاكموه وقبضوا عليه ووضعوه على الصليب لكان الأقرب إلى المعقولية أن يتحروا ويدققوا ويحققوا هذه المسألة كل التحري والتدقيق والتحقيق. وليس من المعقول طبعاً أن يكون هدف أعداء المسيح هو قتل المسيح صلباً ثم يقبلون بسهولة وبساطة وسذاجة أن يقتلوا ويصلبوا شخصاً آخر غيره. لو اختلفوا في شخص المسيح لكان الأقرب إلى الصواب والمعقولية أن يوقفوا إجراءات تنفيذ الحكم ليتحققوا من شخص الإنسان الذي يقومون بتنفيذ الحكم عليه. وهذا التحقق سهل

ميسور لهم. وليس هناك أسهل من أن يحاوروا ويناقشوا الشخص الموجود بين أيديهم ليكتشفوا حقيقته، خصوصاً أن اليهود لم يعمدوا إلى قتل المسيح غيلة، بل أنهم استصدروا حكماً بقتله صلباً من الحاكم الروماني بيلاطس..

إن مصلحتهم تفرض عليهم ذلك، إنهم يريدون قتل وصلب شخص معين وليس قتل وصلب أي شخص آخر غيره.(١٣)

" يقول الله سبحانه وتعالى: (ما لهم به من علم) وضمير الغائب الملحق بحرف الجر (به) يجعل المعني هو" ما لهم بشأن موته أو عدم موته على الصليب من علم..

قال المفسرون: إن ضمير المفرد الغائب هنا يعود على المسيح، ما لهم به من علم. هل هذا معقول؟ كيف يكون شهود العيان الموجودين حول الصليب الذي صُلب عليه المسيح ما لهم بالمسيح من علم؟ هل يكون المفسرون المسلمون الذين لم تطأ قدم أحدهم في الغالب الأعم مكان الصليب، أعلم بالمسيح، وبما لو كان هو الشخص الموجود على الصليب من كانوا شهود عيان لهذا الحدث التاريخي العظيم؟ لقد مضت قرون وقرون بين الزمان الذي ولد فيه أولئك المفسرون وبين وقت هذا الحدث العظيم. أما عندما يعود ضمير المفرد الغائب في هذا الموضع على شأن من الشئون هو عدم معرفة أعداء المسيح ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أم أنه لم يمت على الصليب، نجد أن المعنى يتضح ويستقيم ويصبح معنى معقولاً مقبولاً والله أعلم بمراده".(١٤)

ثم يقتبس الأستاذ علي الجوهري سطوراً مما كتبه الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة "اعلم أنه تعالى لما حكي عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى كذّبهم الله في هذه الدعوى وقال سبحانه: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم).

وفي الآية سؤالان: السؤال الأول: قوله تعالى: (شبه) مُسند إلى مـاذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح، فهو مشبّه به وليس بمشبّه، وإن نسـبته إلـى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر" (١٥)

إن الإمام الرازي قد استهل تفسيره للآية الكريمة ببحث الإسـناد فـي قوله تعالى: (شبه) وتساءل: مُسند إلى ماذا؟

ولتكون فكرة الإسناد واضحة يا صاحبي دعني أنشط ذاكرتـك لتفـهم بوضوح المقصود بالإسناد الذي يشير إليه الإمام الرازي. لو قلت: (ضرب عمرو زيداً) فالضرب مسند وعمرو مسند إليه، ولما كان فعل (شبه) فـي الآية في صيغة المبني للمجهول، وحسب نظرية إلقاء الشبه التي سـبق أن أشرنا إليها وإلى فسادها لا بد من وجود الحيرة وعدم القدرة على الفـهم.. والسؤال بصيغة أخرى يمكن أن يُصاغ هكذا: (إذا كان أعداء المسيح حول الصليب، قد شبه لهم، فماذا شبه لهم بالضبط؟ هل شبه لهم أنهم قتلوا شـبيه المسيح على الصليب، وبذلك يكون الأمر قد اختلط عليهم مرتين لا مـرة واحدة، اختلط عليهم الأمر في المرة الأولى إذ خُيِّل إليهم وظنوا أن الله قد ألقى شبه المسيح على غيره، وخيل إليهم في المرة الثانية وظنوا واحتـاروا ولم يستطيعوا أن يقطعوا برأي فيما كانوا قد قتلوا شبيه المسـيح أم قتلـوا المسيح. والقول بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره لا يثبت لتمحيص بيننا كمسلمين، ولا يثبت لجدل بيننا وبين خصوم الإسلام. (١٦)

وبعد أن يفند على الجوهري نظرية إلقاء شبه المسيح علـى شـخص آخر يذكر ما يؤمن به هو: (إذا لم يكن معنى قوله سبحانه وتعالى: "ولكـن شبه لهم" هو إلقاء شبه المسيح على شخص آخر غيره، فما هو معناها؟ هل لها معنى آخر، وما هو هذا المعنى الأخير؟ نعم معناها هو: ولكن اختلـط الأمر عليه، اختلط عليهم ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب فينزلونه ويدفنونه أم أنه لم يمت على الصليب. لقد اختلفوا بهذا الشان فعلاً). (١٧)

ويذكر علي الجوهري أحد عشر دليلا من الكتاب المقدس على صحة نظرية الإغماء وهي الأدلة التي سبق وذكرها أحمد ديدات والتي سبق لنا الرد عليها في كتب أخرى." (١٨)

خامسا: د. محمد أحمد خلف الله* :

يرى د. خلف الله أن القصة القرآنية لم يقصد بها التاريخ، ولكن العظة والاعتبار ولذلك يهمل الزمان والمكان، وهي تمثل الصور الذهنية للعقلية العربية في ذلك الوقت ولا يلزم أن يكون هذا هو الحق والواقع ومن حقنا أن نبحث وندقق. وهذا هو ما كتبه بالنص:

*"يدلنا الاستقراء على أن ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرية الفنية توجد في القرآن الكريم، ونستطيع أن نعرض عليك منها في هذا الموقف ما يلي:

---

* د. محمد أحمد خلف الله، كاتب سياسي راحل له كثير من المؤلفات منها:

أ – القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧م.

ب – دراسات في النظم والتشريعات الإسلامية. مكتبة الأنجلوالمصرية ١٩٧٧م.

جـ – عل مبارك وآثاره.

د – الكواكبي. حياته وأثاره.

هـ – صاحب الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني في الرواية.

و – السيد عبد الله نديم ومذكراته السياسية وغيرها من الكتب والمقالات.

وهو من مؤسسي حزب التجمع، وكان نائبا لرئيس الحزب، ورئيس تحرير مجلة اليقظة .

وهذه الاقتباسات من كتاب "الفن القصصي في القرآن الكريم" مكتبة الأنجلو المصرية. ط٤. سنة ١٩٧٢م.

١ – إهمال القرآن حين يقص لمقومات التاريخ من زمان ومكان..*
٢ – اختياره لبعض الأحداث دون البعض، فلم يعن القرآن بتصوير الأحداث الدائرة حول شخص أو الحاصلة في أمة تصويراً تاماً كاملاً، وإنما كان يكتفي باختيار ما يساعده على الوصول إلى أغراضه.
٣ – كما لا يهتم بالترتيب الزمني أو الطبيعي في إيراد الأحداث وتصويرها وإنما كان يخالف هذا الترتيب ويتجاوزه.
٤ – إسناده بعض الأحداث لأناس بأعينهم في موطن ثم إسناده نفس الأحداث لغير الأشخاص في موطن آخر.

---

* "إن القرآن لم يقصد إلى التاريخ من حيث هو تاريخ إلا في النادر الذي لا حكم له، وأنه على العكس من ذلك عمد إلى إبهام مقومات التاريخ من زمان ومكان". نفس المرجع. ص ٧.

"إن هذه المحاورة التي يصورها القرآن الكريم قائمة بين المولى سبحانه وتعالى وبين عيسى في آخر سورة المائدة لا تُفهم على ظاهرها، ولا تُفسر على أنها وقعت حقاً، وأنها لا يمكن أن تكون إلا التصوير الأدبي الذي يقصد منه إلى توبيخ النصارى المعاصرين لمحمد" نفس المرجع. ص٣٦.

"إن وصف عيسى بأنه رسول الله في قول اليهود الذي حكاه عنهم القرآن في قوله تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)، لا يمكن أن يفهم على أنه قد صدر حقاً من اليهود فهم لم ينطقوا بهذا الوصف وإنما القرآن هو الذى انطقهم به، ذلك لأن وصفه بالرسالة ليس إلا التسليم بأنه رسول الله وهم لم يسلموا بهذا، ولو سلموا بهذا لأصبحوا مسيحيين، ولما كان بينهم وبينه أي لون من ألوان العداء، ولما كان قتل وصلب. إن اليهود إنما يتهمون عيسى بالكذب، وينكرون عليه أنه رسول الله، ويذكرونه بالشر، ويقولون إنه ابن زنا وأن أمه زانية. يقول اليهود كل هذا وأكثر منه، ومن هنا لم يستطع العقل الإسلامي أن يسلم بأن وصف عيسى بأنه رسول الله قد صدر حقاً من اليهود" المرجع نفسه. ص٣٧.

٥ – إنطاقه الشخص الواحد في الموقف الواحد عبارات مختلفة حين يكرر القصة.

٦ – وجود مواقف جديدة لم تحدث في سياق القصة التي تصور أحداثاً وقعت انتهت[١٩]

* "القرآن يجري في فنه البياني على أساس ما كانت تعتقد العرب وتتخيل، لا على ما هو الحقيقة العقلية ولا على ما هو الواقع العملي"[٢٠]

* " إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث.. إن قصد القرآن من هذه المعاني إنما هو العظة والعبرة أي في الخروج بها من الدائرة التاريخية إلى الدائرة الدينية. ومعنى ذلك أن المعاني التاريخية من حيث هي معان تاريخية لا تعتبر جزء من الدين أو عنصراً من عناصره المكونة له.

ومعنى هذا أيضاً أن قيمتها التاريخية ليست مما حماه القرآن الكريم ما دام لم يقصده.[٢١]

* "إن ما بالقصص القرآني من مسائل تاريخية ليست إلا الصور الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي من التاريخ، وما يعرفه هؤلاء لا يلزم أن يكون الحق والواقع، كما لا يلزم القرآن أن يصحح هذه المسائل أو يردها إلى الحق والواقع، لأن القرآن الكريم، كان يجئ في بيانه المعجز على ما يعتقد العرب، وتعتقد البيئة ويعتقد المخاطبون.

المرجع السابق. ص٦١، ويضيف الكاتب أيضاً "لأن القرآن يصور في بعض قصصه اعتقاد المعاصرين أو المخاطبين" نفس المرجع ص١٤٣

" مصادر القصص القرآني في الغالب هي العقلية العربية، فالقرآن لم يبعد عنها إلا القليل النادر، ومن هنا جاءت فكرة الأقدمين القائلة: إن القرآن ليس إلا أساطير الأولين، وذلك لأنهم نظروا فوجدوا الشخصيات القصصية والأحداث القصصية مما يعرفون". نفس المرجع ص٢٣٥.

* "إن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية. ومن هنا يصبح من حقنا أو من حق القرآن علينا أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض"(٢٢)

نوجز ما سبق فيما يلي:

١ – القصة القرآنية، قصة لا تتوافر فيها مقومات التاريخ، ولم يكن هدفها التاريخ بل العظة والاعتبار.

٢ – هناك أقوال جاءت على لسان بعض الأشخاص، لم ينطقوا بها بل القرآن أنطقها على لسانهم.

٣ – القصة القرآنية، هي ما يعرفه المعاصرون للنبي من تاريخ، ولا يلزم أن يكون هذا هو الحق والواقع.

٤ – القرآن لا يطلب منا الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية ومن حقنا أو من حق القرآن علينا أن نبحث ونفتش لمعرفة الحدث التاريخي كما وقع ومخالفتنا للقصة القرآنية لا يمس القرآن.

إذا طبقنا هذه المبادئ على حادثة صلب المسيح نرى:

– إن اليهود لم يقولوا أن المسيح هو رسول الله.

– إن القول: "ما قتلوه وما صلبوه" هو ما يعرفه المعاصرون.

– إن القرآن لا يطلب منا الإيمان بعدم قتل وصلب المسيح.

- إذا رأينا من الكتب المقدسة أو من التاريخ ما يؤكد حقيقة صلب وموت المسيح، فالواجب علينا أو من حق القرآن علينا أن نؤمن بذلك، ولهذا فالمسيح قد صلب ومات على الصليب.

سادسا: موفق سعيد

كتب الأستاذ موفق سعيد محاولاً التوفيق بين الآراء المختلفة في هذه القصة. وهذا ما كتبه:

"هل حقاً مات المسيح؟

أ - **كلا لم يمت كسائر المخلوقات**: ولم تتم عليه أحكام الموت وفقاً لقانون الموت وأحكامه الثابتة التي لا بد من توافرها لكي يتم الموت بمعناه الصحيح. وهذه الأحكام هي:

١ - تخلص الروح من الجسد -أو بمعنى أصح- انفصال النفس عن الجسد.

٢ - سكون الحركة.

٣ - انحلال الجسم وفنائه.

٤ - حشر الروح نهائياً مع بقية الأرواح المتجانسة - الشريرة أو الصالحة- بانتظار يوم البعث الأكبر أي يوم القيامة.

فإذا توافرت هذه الشروط، نستطيع أن نقول بأن الموت قد تم فعلاً. أما إذا أنقصت أحكامه شرطاً واحداً فقد فسد ولا نستطيع أن نسميه موتاً صحيحاً.

وفي مدلول الآية الكريمة التالية تفسيراً لما أعنيه تماماً "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون" آل عمران ١٦٩.

"ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء ولكن لا تشعرون" البقرة ١٥٤. فهؤلاء الشهداء قد جرت عليهم أحكام الموت

الثلاثة الأول، غير أن الشرط الأخير وهو عدم حشر أرواحهم مع بقية الأرواح* هو التفسير الوحيد لاستمرار حياتهم "ولكن لا تشعرون" وبذلك لا ينطبق عليهم الموت تماما. حسبما ذكرت الآية، لأن أرواحهم لو حشرت مع من سبقهم، لكان موتهم كاملا. وفي هذا ما يناقض مدلول الآية الكريمة.

ولكننا بحسب واقع الحياة، وعدم لمسنا ماديا للشرط الأخير من أحكام الموت "ولكن لا تشعرون" لا نستطيع إلا أن نقول عنهم، بأنهم أمواتا، صعدت أرواحهم وسكنت حركتهم، وانحلت أجسادهم.

فالقرآن دل بصورة غير مباشرة على انطباق مدلول الآية الكريمة على السيد المسيح، ولكن لانفراده بميزات خاصة عن البشر،

---

* جاء في أسباب النزول " وقوله تعالى(لا تحسبن) عن ابن عباس قال: قال رسول الله: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت إخوتنا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا) وما بعدها. أسباب النزول. جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي. تحقيق وتعليق الأستاذ أبوعميرة. مكتبة نصير. ص٦٥.

وأنظر أيضا:

أ – أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحد النيسباوري. مؤسسة الحلبي. ص٨٥-٨٨.

ب – تفسير الجلالين. طبعة دار التراث. ص٢٢،٦٤.

لمح تلميحا على هذا الاستشهاد. فالمسيح مات شهيدا ولكنه لم يمت في عرف القرآن.*

ب - نفي موت المسيح معنويا:

وذلك بعدم التسليم للقائلين بتغلب قوى الشر على قوى الخير، فهو يسفه اليهود على تبجحهم الفارغ، لا على حقيقة الصلب والقتل والموت. فقتلهم للمسيح ليس بالقتل الذي يتوهمون، وصلبهم له ليس بالصلب الذي يظنون، إذا ما لبث أن انبعث حيا وصعد إلى السماء حيث رفعه الله إليه.

---

* جاء في المجلس العشرين بعد المائة من المجالس المؤيدية "للمؤيد في دين الله هبة الله بن أبي عمران الشيرازي الإسماعيلي، داعي الدعاة في عصر الخليفة المستنصر بالله":

" موضوع كلام المتكلم في كون المسيح بشرا يأكل الطعام، في مضماره وجوب الموت والقتل عليه، وجميع ما يعرض للصور البشرية، قال القائل أو لم يقل. وفي مضمار قول القائل إنه كان إلها نفي الموت عنه والقتل عنه، قال القائل أو لم يقل. وقوله سبحانه "وما قتلوه وما صلبوه" أخبار عن حقيقة حاله أنه عند الله سبحانه حي مرزوق يوافق ذلك قوله في موضع "لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ٣ :١٦٩. المجالس المؤيدية ص ٧٩. من تاريخ الإلحاد في الإسلام. د. عبد الرحمن بدوي. ط٢. ١٩٩٣م. ص١٠٧-١٠٨.

إن ما يريد الكاتب قوله هنا هو:

١ - إن المسيح بشر فلذلك هو يأكل الطعام، ويوجب عليه القتل وجميع ما يعرض للصور البشرية.

٢ - "ما قتلوه وما صلبوه" لا تنفي موته، فهو مات ولكنه في نظر الله حي يرزق مثل الذين قتلوا في سبيل الله.

وإذا اعترض أحدهم بالقول بأن جميع الأموات هم أحياء بأرواحهم عند الله، إذا لماذا اختص الله الشهداء بهذا الامتياز؟ ويكون التخصيص هنا بلا جدوى.

لقد ظن اليهود أنهم قضوا على المسيح قضاء مبرما ولاشوا ذكراه إلى الأبد فلا حاجة لأحد أن يذكره لهم. ولكن خاب فألهم، فهم لم يقتلوه نـــهائيا ولم يقضوا عليه قضاء مبرما أي "وما قتلوه (يقينا)" إذا أحياه الله في الحـال ورفعه إليه، وكان الله عزيزا حكيما..

أجل أن القرآن يكذب اليهود على تبجحهم الفارغ* لا على حقيقة القتـل والصلب والموت"[٢٣].

• ونضيف هنا ما كتبه د.الدر

"إن هذه الآية لا تقول أن المسيح لم يمت على الصليب، ولكنـــها تقرر أن اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه، وهذا تاريخيا صحيح، فرغـــم أنهم كانوا مسئولين عن ذلك إلا أن الجنود الرومان هم الذين قـــاموا بهذا العمل حقا..

ولكن هناك معنى آخر، وهو أنه ليس اليهود ولا الرومان هـــم الذيـــن صلبوا المسيح، ففي أثناء محاكمة المسيح أمام بيلاطس، "أجاب يسوع لـــم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق" يو١٩: ١١

إن اليهود اعتقدوا أنهم قتلوا المسيح، على الرغم من أنهم لم يقتلوه بالتأكيد، ففي الحقيقة أنهم لا يستطيعوا أن يقتلوا المسيح، ولكن الله فقط يســـتطيع ذلـــك. وهذا نجد ما يشبهه في سورة ٨: ١٧ عندما فرح المسلمون بانتصـــارهم فـــي موقعة بدر، فذكرهم بأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شئ بنفسه "فلـــم تقتلوهـــم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" الأنفال ١٧.[٢٤]

---

* أو كما قال الأستاذ عبد المجيد الشرقي: فليس من المستبعد أن يكون إنكار قتل اليهود عيسى وصلبه من باب المجادلة المقصود بها التنقيص من شأن المجادلين". الفكر الإســـلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر. ص١١٩

سابعا: موقف أحمد ديدات من قضية الصليب

إن موقف أحمد ديدات من قضية صلب المسيح يشوبه كثير من عـــدم الوضوح أو ربما التناقض، فهو يقول: "لا أتوقع أن يسألني أي شخص عن عقيدتي كمسلم فيما يتعلق بموضوع الصلب، عقيدتي هي عقيدة القرآن كما وردت بدقة في الآية ١٥٧ من سورة النساء". (٢٥).

ويعلق علي الجوهري -مترجم كتب ديدات- على هـذا بقولـه: "وهكـذا ببراعة منقطعة النظير هرب الشيخ أحمد ديدات من الخوض في كيفية نهايـــة شأن المسيح مع قومه، أو بالأصح هرب من الخـــوض فيمـا يختلـف فيـه المسلمون في هذا الصدد، واكتفى بإعلان أن عقيدته في هذه المسألة تعبر عنها الآية ١٥٧ من سورة النساء دون أي تفاصيل. وخيرا فعل. لقد كان يكافح ويفند عقائد المسيحيين ودعواهم في هذا الشأن، ولم يكن من الحكمة إطلاقا أن يفتـح جبهة ثانية بين المسلمين، وهي جبهة أشد وطيسا". (٢٦)

وعندما نرجع إلى كتاباته ومناظراته نرى العجب، فهو يقول:

١ - إن المسيح صلب وأغمي عليه، ولكنه لم يمت على الصليب، وأن الشبهة هنا هي الاشتباه في موته. ويورد ما يدعى أنه ثلاثين دليـــلا علـى عدم موت المسيح على الصليب.(٢٧)

٢ - وفي موضع آخر يقول إن الذي صلب هو شخص آخر يشـــبهه. "أما إنجيل برنابا فيؤيد النظرية التي تقول إن شخصا آخر قتل محله علـــى الصليب، وهذا يتفق مع وجه نظرنا نحن المسلمين. فـــهنا الشـبهة التـي حصلت بقتلهم شخصا آخر يشبهه". (٢٨)

٣ - ومرة ثالثة يقول: فهم لم يقتلوه ولم يصلبوه. ولكن بدا لهم كأنـــهم فعلوا ذلك، فقد ظنوا أنهم فعلوا but it was made to appear to them so

ولكنهم لم يصلبوا ولم يقتلوا المسيح.. لأنه من المؤكد أنهم لم يقتلوه، هـذا هو مفهوم المسلمين لشبهة صلب المسيح وقتله، هي أنهم لم يقتلوه، ولكـن هذا ما ظنوه في عقولهم أنه فعلوه. (٢٩)

but it was something they thought in their minds they had done.

وهنا نرى أن أحمد ديدات يحاول الهروب من الجهر بعقيدته تجاه هذه القضية، بذكر آراء متناقضة.

وإني أرى أن أحمد ديدات ينادي بتعاليم القاديانية. وفي حوار معـه، نشرته جريدة الشرق الأوسط السعودية جاء ما يلي(٣٠):

س: لماذا غادرت جنوب أفريقيا إلى باكستان في نهاية الأربعينات. وهل كان هذا مخططا له من أجل الدعوة؟

ج: نعم لقد سافرت إلى باكستان عام ١٩٤٩م من أجل المال، فقد وجدت أنه لكي أجمع مبلغا من المال يفيض عن حاجتي لأنفقه من أجل الدعوة كان علي أن اسافر وفعلا مكثت في باكستان لمدة ٣ سنوات.

تعليق:

هل سافر أحمد ديدات إلى باكستان لتوفير المال؟ أم إلى مركز القاديانية هناك؟ وهل الأموال تتوافر في باكستان؟ ألم يهاجر أبواه من الهند إلى جنوب أفريقيا من أجل المال؟ وإذا كان قد سافر إلى باكستان من أجل المال فكان بالأولى به أن يذهب إلى دول الخليج العربي، حيث الأموال الطائلة التي تنفق على نشر الإسلام في كل العالم.

س: لقد انتشرت في بعض المناطق من العالم شائعة تتهم ديدات بأنه قادياني ومن أصل يهودي. فما هو ردك عليهم؟

ج: أني مسلم وأبواى مسلمين، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــدا عبده ورسوله.

تعليق:

لماذا انتشرت شائعة أن ديدات قاديـــاني؟ ومـــن هـــو مصـــدر هـــذه الشائعات؟ ولماذا هذا الإتهام بالذات؟

إن أحمد ديدات في رده على هذا الإتهام، بأنه قادياني، لـــم ينكـــر ذلك، بل قال: إنه مسلم وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســـول الله. والقاديانية لا تنكر نبوة محمد ولكنها تأتي بالغلام أحمد نبيا بعده وهـــذا ما لا يقره الإسلام، ولماذا لا يكون رده هذا (تقيه)؟ (القـــول الظـــاهر يخالف الإيمان الباطن تحت ضغط الظروف). وسواء أكان أحمد ديدات قادياني أو لم يكن فهو ناشر لفكر القاديانية فيما يتعلـــق بعـــدم مـــوت المسيح على الصليب.

ثامنا: و. مونتجمري وات W. Montgamery Watt*

"إن الآيات الواردة عن الصلب يمكن أن نفهم منها باختصار أن مسألة الصلب وردت في سياق تعداد آثام اليهود، وكان هذا على النحو التالي:

"وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه. مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكيما. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا" النساء ١٥٧-١٥٨.

وأول ما يلاحظه القارئ أن هذه الآيات ليست هجوما على المسيحية، وإنما هي دفاع عن المسيحية ضد اليهود، فزعم أنهم قد قتلوا المسيح، إنما هو زعم عار من الحقيقة، لأنه زعم ينطوي على نحو ما على معنى أن المسيحية دين زائف وهو ما رفضه الإسلام، فالقرآن عندما يرفض زعم اليهود بأنهم قتلوا المسيح هو في الحقيقة يؤكد أن المسيحية دين حقيقي

---

* أحد كبار المستشرقين والمتخصصين في الدراسات الإسلامية في الغرب، ظل يدرس الإسلام لأكثر من ثلاثين سنة. له كثير من المؤلفات منها:

١ - محمد في مكة. تعريب شعبان بركات. منشورات المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

٢ - محمد في المدينة. ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله (تحت الطبع).

٣ - الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر. ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٨م.

٤ - تأثير الإسلام في أوربا في العصر الوسيط. ترجمة د. حسين أحمد أمين، بعنوان "فضل الإسلام على الحضارة الغربية" دار الشروق. بيروت. ١٩٨٣.

وهذا الكتاب له ترجمة أخرى "أثر الحضارة الإسلامية على أوربا" ترجمة جابر أبي جابر. منشورات وزارة الثقافة السورية. دمشق. سنة ١٩٨١م.

وبعيد عن الزيف، وما دام الإسلام ينظر للمسيح كنبي ورسول من الله، فمن المحال أن يحبط عمله، وهو بالضبط ما كان يريد اليهود قوله بزعمهم أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، ولا بد أن هذه الفكرة التي قدمها القرآن عن المسيح كان لها جذور عميقة في العقلية العربية في هذه الأيام.

والفكرة التي مفادها أن الإنسان المستقيم لا بد أن يحقق نجاحا في هذه الحياة تعد من الأفكار المتداولة في العهد القديم، فنحن نقرأ في سفر المزامير "أيضا كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقا تخلى عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزا، اليوم كله يترأف ويقرض نسله للبركة" مز٣٧: ٢٥.

وحتى عندما يثار سؤال كما في سفر أيوب مؤداه ما إذا كانت المعاناة تعد -دائما- نتيجة ارتكاب الإثم، فإن الرجل المستقيم أيوب لا بد أن يحقق الخير في النهاية. والمسيحي -بطبيعة الحال- يعتقد أن صلب المسيح يعد انتصارا ولا يعد هزيمة، لأنه قد أعقب هذا الصلب قيام المسيح أو بعثه كما أعقبه ميلاد الكنيسة. لقد كان القرآن يخاطب أناسا لديهم اقتناع عميق أنه لا يمكن أن تخيب رسالة حملها رسول من رسل الله، ومن ثم كان انكار القرآن لزعم اليهود بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم (بمعنى أنهم احبطوا رسالته)، لقد أعقبه عبارة غامضة وهي (ولكن شبه لهم) ومثل هذه العبارة من المفترض أنها السبيل الوحيد لإنكار إدعاء اليهود بهزيمة رسول الله (المسيح)، ومن المفترض أن هذه الطريقة في الإنكار متفقة مع البيئة العربية في ذلك الوقت، لكن ما حدث بعد ذلك أن العلماء المسلمين فسروا هذه العبارة (ولكن شبه لهم) بما يفيد أن عملية الصلب لم تتم، وربما كانت هناك بعض المعلومات غير الصحيحة شائعة عن عملية الصلب هذه بين معاصري محمد. إنه لأمر أساسي أن القرآن يؤكد في هذه الآيات من خلال صيغ تفكيرية شائعة في البيئة العربية الصدق الروحي أو الحقائق الروحية المقبولة لدى المسيحيين تماما، والتي مفادها أن منتهى ما وصل

إليه المسيح هو في الحقيقة انتصار للمسيح وليس لليهودية. ويمكن أن يستمر -حتى أيامنا هذه- ما في هذا (الدرس القرآني أو العبرة القرآنية) من صحة وإصالة دون أن ندعي أننا بذلك نجعل القرآن مصدرا تاريخيا لأحداث القرن الأول للميلاد، بل أنني لأجد أنه من الأفضل فعلا أن تستمر هذه (العبرة القرآنية) حتى أيامنا هذه.

وقبل أن أنهي هذا الفصل يستحسن أن نشير إلى أن هذه الآيات المتعلقة (بصلب المسيح) لا تمثل عائقا لا يمكن اجتيازه أو حاجزا لا يمكن تخطيه، أو خلافا عقائديا حادا بين المسلمين والمسيحيين، ولنذكر القارئ المسيحي بالآيات الواردة في سفر صموئيل الثاني ١٢: ٩ حيث ثمة تقرير أن داود قتل أوريا الحثي بسيف بني عامون. إن من حق المسيحي أن يتساءل حتى الآن من قتل المسيح؟ ومن الممكن أن تكون الإجابة هي: إن اليهود لم يقتلوا المسيح، ولا الرومان قتلوه وإنما هو نفسه قاتل نفسه بمعنى أنه أي المسيح- قبل أن يموت (قبل موته) أو (وافق على موته)، ومن هنا فهو الفاعل الحقيقي، وليس اليهود وفي ضوء هذا التحليل يمكن أن نفهم النص القرآني (لكن شبه لهم)". [٣١]

والدليل الكتابي على أن المسيح كان له سلطان أن يسلم نفسه للموت قوله: "لهذا يحبني الآب، لأني أضع نفسي لآخذها أيضا، ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا" يو ١٠: ١٧-١٨.

وقد أكد أثناء المحاكمة أمام بيلاطس، أنه ليس له عليه سلطان البتة، ولكن هذه هي إرادة الآب فعندما قال له بيلاطس "ألست تعلم أن لي سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك. أجاب يسوع: لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق" يو١٩: ١٠-١١.

تاسعا: درمنجم Dermenghem. E.*

"ومن عقائد الإسلام أن اليهود لم يصلبوا المسيح لما في الصلب من معنى الخزي والإهانة، ولكن شبه لهم، وأن شبحا أو رجلا آخر صلب خطأ بدلا من المسيح الذي رفعه الله إليه، فبهذا الاعتقاد (الذي يستغربه العقل والتاريخ والذي ينقض به أجمل قصة في العالم) تكون النصرانية قد قامت على أساس خاطئ، ويكون الله قد سمح بقيام دين على خطأ أراده. والمسلمون في هذا الاعتقاد استندوا إلى أي القرآن الغامضة: (وقولهم - اليهود- إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) والمعنى الذي فهم من هذا النص (الذي يؤكد أمر البعث أكثر مما يدل على الموت لإكثار القرآن من استعمال الرفع بمعنى الموت) هو ما جاء في سورة آل عمران٥٤ وما يليها من أن الله أبطل مكايد اليهود ومكرهم وأن المسيح خرج ظافرا من أيديهم غير هالك (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا)، ومثل هذا ما قالته النصرانية التي ذهبت إلى أن اليهود أعتقدوا أنهم أهلكوا المسيح وأن المسيح لم يلبث أن بعث بعد موته، وأن أعداءه أتموا، عن غير قصد، ما أراد الله تعالى تمامه

---

* مستشرق فرنسي عاش فترة في بلاد المغرب العربي، عين لفترة مدير مكتبة الجزائر وله كثير من المؤلفات من أشهرها "حياة محمد".

ارجع إلى:

١ – المستشرقون. نجيب العقيقي. جـ١. ط٤. دار المعارف. القاهرة. ص٣٤٨.

٢ – أضواء على الاستشراق. د.محمد عبد الفتاح عليان. دار البحوث العلمية. الكويت. سنة ١٩٨٠. ص١٠٢-١١٢.

من المقاصد الرفيعة مع ظنهم أنهم قضوا على عمله، وأنهم حققوا ما فيه خلاص العالم من حيث أرادوا السوء. إن قول القرآن: (ولكن شبه لهم) قد فسر بصلب رجل مشابه للمسيح بدلا من المسيح، وهذا يجعلنا نفكر في نصوص العهد الجديد والقديس بولس في حمل الله (المسيح) الذي كفر عن خطايا العالم، في آدم الجديد الذي حل محل آدم القديم فأنقذ البشر بأن ضحي به، وفي أن نصوص القرآن الحالية هي ما جاء في مصاحف عثمان والحجاج اللذين أتلفا غيرها من المصاحف، وفي خلو المصاحف القديمة من الشكل والحركات وإمكان تلاوتها على أوجه مختلفة* ، فنسأل أفتكفي تلك الآية المستغربة التي يعارضها ما جاء في سورة آل عمران٥٥، وسورة المائدة١١٧، وسورة مريم٣٣. من أن المسيح مات وبعث ورفع (من غير أن تقول هذه الآيات أن ذلك الموت والرفع لما يقعا بعد وأن ذلك يكون في آخر الزمان)، لتقيم بين الإسلام والنصرانية حاجزا يتعذر اقتحامه مع اتفاقهم فيما عدا ذلك اتفاقا وثيقا. ويمكننا عند قبول تلك الآية كما هي، أن نجدها ملائمة لتعاليم النصرانية مع ذلك، فقد قال آباء الكنيسة أن اليهود قتلوا طبيعة المسيح البشرية، لا المسيح ابن الله، فيكون اليهود بذلك قد قتلوا الرجل الذي شابهها وربي في حجر مريم، لا كلمة الله القديمة التي عجزوا عن قتلها. القرآن يكون بذلك قد عارض فرق النصرانية الضالة، لا النصرانية الصحيحة التي ترى طبيعتين في شخص يسوع".[٣٢]

وفي ترجمة أخرى جاء النص كما يلي:

"إن الإسلام ينفي موت المسيح مهانا، بل يقول إن الله قد رفعه ولم يبق في أيدي اليهود إلا شبحا أو شخصا آخر شبه المسيح.. فهذه

---

* هذا رأي المستشرق وليس بالضرورة رأى المؤلف.

العقيدة التي هي مستغربة عقلا وتاريخا، وهادمة لأجمل قصة معروفة في العالم مستفادة من آية قرآنية (متشابهه) هي (......النساء ١٥٧)، فإذا فكرنا في أن المصحف الحالي تاريخه زمن عثمان وحجاج، وأن سائر المصاحف قد أبطلت، وأن المصحف نفسه لم يكن فيه شكل ولا نقط، فيقرأ منه كثير على وجهين، أمكننا أن نتساءل، هل هذه الآية القرآنية المنقوضة بآيات أخرى كافية لحفر هذه الهوة العميقة بين ملتين كل شئ ما عدا هذه العقيدة جامع موحد بينهم... لو فرضنا وجوب أخذ هذه الأية (ولكن شبه لهم) على ظاهرها، فلا مانع من ذلك بحسب عقيدة الكنيسة نفسها، لأن آباء الكنيسة، ما زالوا يقولون إنه ليس ابن الله هو الذي صلبه اليهود وأماتوه على الصليب، وإنما الطبيعة البشرية التي في المسيح. وهكذا لا يكون القرآن فيما قاله بشأن الصلب إلا مؤيدا عقيدة الكنيسة الكبرى، وهي أن في المسيح طبيعتين إلهية وبشرية، وأن القتل وقع على الطبيعة البشرية فقط". (٣٣)

المراجع

١ - الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع العاشر. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. تونس. السلسلة السادسة. المجلد ٢٩. الدار التونسية للنشر. ص ١١٨-١١٩،٣٧٨.

٢ - الفارق بين المخلوق والخالق. عبد الرحمن سليم البغدادي. تحقيق د. أحمد حجازي السقا. مكتبة الثقافة الدينية، ط.٢ ١٩٨٧م.

٣ - هل بشر المسيح بمحمد. نبيل الفضل. رياض الريس للكتب والنشر. لندن. ص ٧٢-٧٣.

٤ - المرجع السابق. ص٧٦-٧٧.

والأدلة التي أوردها المؤلف على صحة نظرية الإغماء ص ٧٠-١٠٤ هي نفس أدلة أحمد ديدات والتي سبق لنا الرد عليها في كتابين سابقين: موت المسيح حقيقة أم افتراء، وموت أم إغماء.

٥ - أخطر مناظرات العصر: هل مات المسيح على الصليب؟ مناظرة بين أحمد ديدات وفلويد كلارك. ترجمة علي الجوهري. البشير للنشر والتوزيع. ١٩٩٧م. ص١١-١٢.

٦ - المرجع السابق هامش ص١٨،١٦. ويكرر الكاتب هذا القول في الصفحات ٨١، ٨٢، ٨٤، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١٦٤.

٧ - المرجع السابق. ص٨٢-٨٤.

٨ - المرجع السابق. ص٨٥-٨٧.

٩ – لقد سبق الرد على إنجيل برنابا في كتابنا: "إنجيل برنابا بين المؤيدين والرافضين" ويمكنك عزيزي القارئ الرجوع إليه.

١٠ – المرجع السابق. ص٨٨-٨٩.

١١ – المرجع السابق. ص٩٢-٩٣.

١٢ – المرجع السابق. ص٩٩.

١٣ – المرجع السابق. ص٩٤-٩٦.

١٤ – المرجع السابق. ص٩٩-١٠١.

١٥ – مفاتيح الغيب. مجلد ٥ بدءا من صفحة ٥١٥. طبعة دار الغد العربي بالقاهرة.

١٦ – أخطر مناظرات العصر. ص١٠٦، ١٠٧، ١٠٩.

١٧ – المرجع السابق. ص٩٠.

١٨– موت المسيح حقيقة أم افتراء، وموت أم إغماء. للمؤلف.

١٩ الفن القصصي في القرآن الكريم. ط٤. ص٥١-٥٢.

٢٠ – المرجع السابق. ص٥٧.

٢١– المرجع السابق. ص٤٤.

ويضيف الكاتب: "إن القرآن قد قص القصص التي كانت موطن الاختبار لمعرفة نبوة النبي وصدق رسالته ما يعرفه أهل الكتاب عن التاريخ –لا ما هو الحق والواقع من التاريخ" ص٦١.

٢٢ – المرجع السابق. ص٢٥٤.

٢٣ – خطوات نحو إنهاء الصراع بين المسيحية والإسلام. موفق سعيد. بيروت. ١٩٦١م . ص ٩٤-٩٧، ١١٢.

٢٤ – انظر المراجع التالية:

1 - Jesus in the Quran. Geoffrey parrinder.

London. 1979. p.p 108-120.

2 - Muslim world . 13.p 242.

3 - Muslim world . 14.p 23.

4 - Call of Minarat. Keneth Karag. 2nd edition. p. 266.

٢٥ – مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء. ترجمة علي الجوهري. دار الفضيلة. ص٨٨.

٢٦ – أخطر المناظرات. هل مات المسيح على الصليب. مناظرة بين أحمد ديدات، وفلويد كلارك. ترجمة علي الجوهري. البشير للتوزيع والنشر. ص١٧٥.

٢٧ – مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، من دحرج الحجر، آية يونان.

٢٨ –عيسى إله أم بشر أم أسطورة؟ ترجمة محمد مختار. ص١٣٨–١٣٩.

٢٩ – المرجع السابق. ص١١٢.

٣٠ – هل المسيح هو الله. أحمد ديدات. ترجمة محمد مختار. ص١٠٠،١٠٨، ١٠٩.

٣١– الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر. د. مونتجمري وات. ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الألف كتاب الثاني ٢٩٨ سنة ١٩٩٨. ص١١٤–١١٧.

٣٢ – حياة محمد. إميل درمنجم. ترجمة عادل زعيتر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط٢. سنة ١٩٨٨. ص١٣٥،١٣٦.

٣٣ – أضواء على الاستشراق. د. محمد عبد الفتاح عليان. ص١٠٥–١٠٦.

ملحق ٤

وهو الرد على كتاب:

المسيح الناصري عليه السلام في الهند

خاتم الخلفاء والاولياء جري الله فی حلل الانبياء

ميرزا غلام احمد القادياني

المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه الصلوة والسلام

احد مطبوعات التبشير الاحمدية

ربوة باكستان

لقد كتب مؤسس الحركة الأحمدية هذا الكتاب باللغة الأردية وتُرجم إلى اللغة العربية. ويحدد في صفحة ١٤ هدفه قائلاً: "فإنني سأدلل بهذا الكتاب على أن المسيح الناصري لم يُصلب ولم يصعد إلى السماء فلا يرجى نزوله من السماء إلى الأرض، بل أنه توفى بسري نغر (كشمير) بعد أن عمر مائة وعشرين سنة، ودُفن بها في حارة خان يار وأن قبره لموجود هناك.* ويذكر أدلته على هذا الادّعاء كما يلي:

في الباب الأول:

ذكر المؤلف الأدلة التي في الإنجيل – كما يعتقد– على أن المسيح لم يمت على الصليب، ثم بعد الإفاقة من الإغماء هرب إلى كشمير.

---

* ها هو الكاتب لم يستطع أن يخفي هدفه بل يعلن أنه سيبرهن على أن المسيح لا يرجى نزوله من السماء إلى الأرض وأن المسيح مات ودفن وقبره معروف حتى يستطيع أن يعلن أنه هو المسيح الموعود. وفي ص ٤٢ يوضح ذلك بقوله: " إن في الأناجيل نوعين من الأنباء المتصلة بظهور المسيح، نوع يتضمن الوعد بظهوره في الزمن الأخير وهذا الوعد يتعلق بظهور المسيح الروحاني، وهذا الظهور يشبه تماماً ظهور إيليا الثاني في زمن المسيح، فالمسيح ظهر في العصر الحاضر ظهور إيليا في وقت المسيح، وذلك المسيح الموعود ظهوره في هذا العصر هو أنا العبد المتواضع الذي هو خادم الإنسان، ولقد أخبر بظهوري في الإنجيل، فالمبارك هو الذي يتمسك في قضيتي بالعدل والأمانة احتراماً للمسيح ولا يتعثر. والنوع الثاني من الأنباء المتصلة بظهور المسيح، إنما هو يحتوي على أدلة على حياة المسيح المستمرة بفضل الله ورحمته بعد حادث الصليب الذي أنقذه الله منه".

وفي الباب الثاني:

أوضح الشهادات التي وجدها في القرآن والأحاديث الصحيحة حـول نجاة المسيح من الموت.

وفي الباب الثالث :

ذكر الشهادات المستمدة من التاريخ وذلك في فصول ثلاثة:

الفصل الأول: الأدلة من خلال الكتب التاريخية الإسلامية.

الفصل الثاني: الأدلة من خلال الكتب التاريخية البوذية.

الفصل الثالث: شهادة الكتب التاريخية على ضرورة مجيء المسيح إلى فنجاب.

وفيما يلي سوف نناقش هذه الأدلة لنعرف مدى صحة دعواه:

الباب الأول:

ويتضمن أقوالاً اقتبسها من الإنجيل، وزعم أنها أدلة على أن المسيح لم يمت بل هرب إلى كشمير

(١) الرد على أدلته على نجاة المسيح من موت الصليب

فيما يلي سوف نورد أدلته على عدم موت المسيح على الصليب، وهي الأدلة التي تعتمد على النصوص التي جاءت في الكتاب المقدس، وحيث أنه قد سبق لنا الرد على معظم هذه الأدلة في كتب سابقة لذلك سوف نورد هذه الأدلة مرتبة حسب التسلسل الطبيعي للأحداث ثم نرد عليها، أو نشير إلى موضع الرد عليها في الكتب السابقة:

أولاً: أحداث ما قبل الصليب

١ - أقوال المسيح

لقد ذكر الكاتب بعض أقوال المسيح وأوّلها بما يخدم أغراضه مثل:

أ - قول المسيح في الإنجيل: "إنني بعد استردادي الحياة سأسبقكم إلى جليل" مت ٢٦: ٣٢. وفي تأويل المؤلف لهذه الكلمات يقول:

"وهذه الآية تبين جلياً أن المسيح رحل إلى جليل بعد خروجه من القبر، ولم يصعد إلى السماء والمراد بـ استرداد الحياة في كلام المسيح، ليس أنه بُعث بعد موته، بل بما أنه كان قد قُتل على الصليب عند اليهود وسائر الناس، فلذلك استعمل المسيح مثل هذه الكلمات باعتبار ما يكون من مزاعمهم، والحق أن الرجل الذي صُلب، ودقت الأوتاد في يديه ورجليه، حتى أنه أغمي عليه من شدة الألم وصار كالأموات، إذا صحا من مثل هذه الآلام، فليس قوله "إنه عاد إلى الحياة بمبالغة"، إن نجاته من هذه الكارثة معجزة بلا مراء، ولم يكن بأمر عادي، لكن ليس من الصحة في شيء أن

نزعم بأنه كان قد قُتل في الواقع، وإن كانت الأناجيل تتضمن مثل هذه الكلمات، وليس ذلك إلا خطأ لمؤلفي الأناجيل كأخطائهم الكثيرة في تسجيل الحوادث الأخرى"[1].

التعليق:

مت٢٦: ٣٢ قول المسيح: "ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل".

لقد أجمع المفسرون [2] على أن هذا القول هو نبوة قالها المسيح مخبراً تلاميذه عن قيامته من الموت، وقد كانت هذه المرة الثالثة التي يخبر فيها المسيح تلاميذه بذلك، وقد اختار المسيح الجليل، لأنه المنطقة التي منها معظم التلاميذ، وهناك قد بدأ كرازته وقد ظهر المسيح بعد قيامته لتلاميذه أولاً في أورشليم ثم بعد ذلك في الجليل.

– والكلمة كما جاءت في الأصل اليوناني تعني قيامة من الموت. وإذا كان المؤلف قد ترجمها "استرداد" فاعتقد أن هذه الكلمة تعني استرد شيئ بعد أن فقده، أي أن المسيح مات ثم استرد الحياة مرة أخرى وقام من الموت.

– إن المسيح قال هذا القول قبل حدوث الصلب، وهذا يؤكد أنه ليس كما يزعم أو يظن اليهود أو سائر الناس، لأن الحدث لم يكن قد تم بعد وقوله هذا نبوة سابقة عليه.

– أن هناك كثير من الأدلة والبراهين الكتابية التاريخية والمنطقية التي تؤكد حقيقة موت المسيح [3].

– إن اتهام المؤلف بأن هذا خطأ من كتبة الأناجيل، وهو اتهام غير صحيح ليس هذا موضع الرد عليه.

ب ــ يقتبس الكاتب قول المسيح في:

مت ١٦: ٢٧-٢٨: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته".

يو ٢١:٢٢. فقال له(لبطرس) يسوع إن كنت أشاء أنه (يوحنا) يبقى حتى أجئ فماذا لك؟".

ويعقب على هذه الآيات بقوله: ويتضح من هذه الآيات بكل وضوح أن المسيح كان وعد بأنه سيعود قبل أن يموت بعض الحاضرين في وقت الوعد، ومنهم يوحنا، فكان لا بد أن يتحقق ذلك الوعد.. وهذا الأنباء بظهور المسيح يحتوي على أدلة على حياة المسيح المستمرة بفضل الله ورحمته بعد حادث الصلب الذي أنقذه الله منه" (٤).

التعليق:

عندما نقرأ الآيات التي تتحدث عن مجيء المسيح يجب أن ندرك أن بعض هذه الآيات يتحدث عن المجيء الثاني للمسيح حرفياً، والبعض الآخر يعني مجيء ملكوته.

والقرينة هي التي توضح لنا المجيء المقصود، وفي مت١٦: ٢٧-٢٨.

نرى أن قوماً من الذين سمعوا قول المسيح "لا يذوقون الموت" أي لا يموتون وإذا كان البعض لن يموتوا "حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته" فالمعنى المتضمن أنهم سيموتون بعده، وهذا لا يمكن أن يكون بعد المجيء الثاني للمسيح (٥)، وبالتالي فهذا النص يعني مجيء ملكوته.

"إن أتيان الملكوت يتم بصورة تدريجية مستمرة بدءاً من قيامة المسيح حتى اكتماله بمجيء المسيح الثاني لأن ملكوت الله لا يحده يوم واحد بالذات، لكنه يأتي على أدوار، وفي أيام متتابعة أشبه شئ بالحقب التاريخية"(٦)

"وعندما يقول متى (آتياً في ملكوته): أي في عظمته وبهائه الملكي كقوله في بشارة مرقس (أتى بقوة) مر٩: ١، وفي لوقا (يروا ملكوت الله)

لو٩: ٧. فالمراد أنه يظهر في أثناء حياة بعض الحاضرين أدلـــة قاطعـة على أنه تأسس على الأرض الملكوت الذي أنبأ به الأنبياء والمسيح نفسه.

وفي أمر الأتيان ثلاثة آراء:

١ - إنه تجلى المسيح الذي حدث بعد ذلك بستة أيام، وكـان هـذا التجلـي عربون مجيئه الثاني ويوافق هذا الرأي قول بطرس وهو يشير إلى حادثة التجلـي "وعرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه.. معاينين عظمته" ٢بط١: ١٦.

٢ - حلول الروح القدس يوم الخمسين وتنصير ثلاثة آلاف من اليهود وتأسيس الكنيسة المسيحية وقتئذ ونجاح الإنجيل على أثر ذلك. وهذا كلـه دلالة واضحة على أنه قد أتى الملكوت الجديد وأن المسيح مارس وظيفتـه باعتبار كونه ملكاً روحياً.

٣ - خراب أورشليم الذي حدث بعد هذا بنحو أربعيـن سـنة، فـإن الخراب كان نهاية كل ما يتعلق بالنظام الموسوي ورمزاً إلى مجيئـه فـي اليوم الأخير" (٧)

ومن الواضح أن المقصود هنا هو "دينونة الأمة اليهوديـة بـالخراب الذي حلّ بأورشليم والهيكل بيد تيطس القائد الروماني في سنة ٧٠م، إتماماً لقول المسيح لليهود "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" مت ٢٣: ٣٨.

ولا شك في أن معاقبة أورشليم بالخراب كان دينونـة إلهيـة وبـهذا المعنى فإنه كان مجيئاً لابن الإنسان إلى المدينة التي رفضتـه لمعاقبتـها بالهلاك.

وربما يتساءل شخص قائلاً:

إذا كان الجزء المكمل من النص يتحدث عن مجيء ابـن الإنسـان مـع ملائكته للمجازة فهذا يعني أنه سوف يحدث في يوم الدينونة.

علينا أن نلاحظ أن الكلام عن مجيء ملكوت المسيح بالقوة -كما في خراب أورشليم- يأتي مرتبطاً بالحديث عن مجيء المسيح الثاني في انقضاء العالم، لأن المسيح جعل من كلامه عن خراب أورشليم رمزاً لمجيئه الثاني في نهاية العالم. فيكون قضاء الله الذي حل على أورشليم عند خرابها سنة ٧٠م مثالاً وصورة مصغرة لما سوف يحدث عند مجيئه الثاني، وبالتالي فإن علامات يوم الرب التي تتم في خراب أورشليم سوف تتكرر بصورة أكثر وضوحاً وشمولاً واكتمالاً عند مجيئه الثاني للدينونة العامة (٨).

إذن فالمقصود من النص ليس عودة المسيح شخصياً قبل أن يموت بعض الحاضرين كما يرى ميرزا غلام أحمد بل آتيان ملكوت المسيح وهذا تم هنا بخراب أورشليم بعد حوالي ثلاثين عاماً من حادثة صلب المسيح، والذي قد عاصره بعض الأشخاص الذين سمعوا المسيح عندما قال "إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته" وبالتالي فهذا النص لا يعني إنقاذ المسيح من موت الصليب واستمرارية حياته على الأرض كما يرى مؤلف كتاب المسيح الناصري في الهند.

أما النص الثاني والذي استند إليه المؤلف فهو قول المسيح لبطرس:

"إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجئ فماذا لك" يو ٢١: ٢٢

لا يعني بالمرة ما قصده المؤلف، وإذ نقرأ النص بأكمله نجد أنه ينفي بقاء يوحنا حتى مجيء المسيح بأي صورة من الصور التي ذكرناها.

"فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه وهو أيضاً الذي اتكأ على صدره وقت العشاء. وقال يا سيد من هو الذي يسلمك. فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع: يارب وهذا ما له وقال له يسوع: إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجئ فماذا لك؟ اتبعني أنت. فذاع هذا القول بين الإخوة إن ذلك التلميذ لا يموت. ولكن لم يقل يسوع أنه لا يموت. بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجئ فماذا لك؟" يو ٢١: ٢٠-٢٣.

فالمسيح يقول إن كنت أشاء، ففي سلطانه بقاء يوحنا حتى مجيئه ولكنه لم يفعل ذلك. ومما لا شك أن يوحنا كان معاصراً لأحداث تتعلق بمجيء ملكوت المسيح مثل قيامته وصعوده للسماء، وحلول الروح القدس يوم الخمسين وخراب أورشليم. وليس في النص دليل على عدم موت المسيح على الصليب.

*وهناك أيضاً قول آخر يرتبط بهذا الموضوع، سوف نوضح المقصود منه، فقد جاء في مت ١٠: ٢٣ "الحق أقول لكم لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان".

هل نستخلص من هذه الآية أن المجيء الثاني ليسوع المسيح سيتحقق إبان فترة حياة سامعيه؟

إن المقصود بالمجيء هنا، ليس مجيء ابن الإنسان إلى الأرض، بل إلى الله ليتسلم سلطاناً [٩]، ويكتب الرسول مرقس هنا أنه بين الأشخاص الذين يسمعون كلام المسيح "قوم لن يموتوا حتى يروا ملكوت الله آتياً بقوة" مر ٩: ١ وقد تم هذا بصورة مجيدة إذ أنه بعد ثلاثين عاماً من حادثة الصلب، انتشرت رسالة الإنجيل ووصلت إلى روما التي كانت قلب العالم في ذلك الزمن، لقد آتي ملكوت الله بقوة واكتسح البلدان وعمّر قلوب البشر وشهد بذلك قوم ممن عاشوا مع يسوع [١٠].

ويرى البعض أن المقصود هنا هو خراب أورشليم الذي تم في سنة ٧٠ م [١١]

ولكن ماذا يعني: "تكمّلون مدن إسرائيل"؟

إن عبارة مدن إسرائيل تعبير جغرافي، ولا تعني كل المجتمعات اليهودية (بما في ذلك يهود الشتات)، وفي هذا النص يتحدث عن إرسالية الجليل يبدو أن المقصود به هو فلسطين، بيد أن ليس من الواضح ما هو معنى تكمّلون هذه المدن، والاقتراحات في هذا الصدد تتضمن:

١ – الكرازة بالإنجيل في كل مدينة.

٢ – قبول كل إسرائيل بشارة الإنجيل (رو ١١: ٢٦).

٣ – استنزاف كل الأماكن الممكن اتخاذها ملاذاً من الاضطهاد[١٢].

٤ – أراد بذلك أن تلك المدن كانت كثيرة وكافية لأن يبشروا أهلها بالتتابع وهم يعتزلون ما فيها من الاضطهاد، وأنهم لا يفرغون من تعليمهم فيها حتى يرفع الخطر ويؤسس ملكوته[١٣].

ج – آية يونان:

ويقتبس المؤلف نصاً من الإنجيل جاء في مت ١٢: ٣٨-٤١ يقول: "حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم من يونان ههنا". ويعقب عليه قائلاً:

"وكما أن يونس بقي حياً في بطن الحوت، فهذا دليل على أن المسيح لم يمت على الصليب، لقد أشار المسيح بهذا المثل إلى أنه سيخرج من بطن الأرض إلى قومه فيجتمع بهم، ويُكرم فيهم كما تكرّم يونس في قومه، فإن ذلك النبأ قد تحقق، لأن المسيح بعد أن خرج من بطن الأرض رحل إلى شعوبه الضالة الحالة بأودية كشمير" [١٤].

التعليق:

إن تشبيه المسيح نفسه بيونان ليس فيه أي دليل على أنه كما كان يونان حياً في بطن الحوت أن المسيح لم يمت على الصليب، لأن (القاعدة البيانية في التشبيه أن المشبه لا يكون مثل المشبه به في كل دقيقة، ولكن

يكفي وجه شبه واحد بينهما)، فإذا قلت أنه كالأسد فليس معنى ذلــك انــه يعيش في غابة أو ذو لبد، وإنما يكفي أن يكون وجه الشبه الشجاعة[١٥].

فلا يجوز المقارنة بين المشبه والمشبه به من كل النواحي، بل يكفــي شبه واحد بينهما ووجه الشبه المعلن هنا هو: كما كان يونان آيــة لأهــل نينوى فإن المسيح آية لهذا الجيل، وكما حمل يونان رسالة الله لأهل نينوى هكذا حمل المسيح رسالة الله لذلك الجيل[١٦].

أما القول بأن المسيح بعد أن خرج من بطن الأرض رحل إلى شـعوبه الضالة الحالة بأودية كشمير فسوف يأتي الرد عليه فيما بعد.

(٢) صلاة المسيح لنجاته من الموت

يشير المؤلف إلى صلاة المسيح قبل الصليب، ويعقب عليها قائلاً:

"جاء في مت ٢٦: ٣٦-٤٦ إن المسيح الناصري عندما تلقى الخبر بإلقـاء القبض عليه ظل يتضرع في حضرة الله ساجداً باكياً ومبتهلاً طـــوال الليــل، وكان من اللازم أن يُستجاب ذلك التضرع والابتهال الذي أُتيح له وقت طويـل، لأن سؤال المقربين.. لا يرد أبداً.. ويتبين من الإنجيل أن المسيح كان واثقاً من استجابة دعائه، وكان يعوّل على ذلك تمام التعويل، ولذلك حينما قُبض عليــه وعُلق على الصليب، ولمَ يجد الآثار البادية محققة لرجائه، عندئذ لم يملك نفســه من الصياح فجأة: اللهم إلهي وربي لمَ خذلتني، أي لم أتوقع أن يكون مصــيري الموت على الصليب، وكنت متيقناً بأنك ستسمع دعائي، فالآن يتبين مـن كـلا الموضعين في الإنجيل أن المسيح كان متأكداً من صميم فؤاده أن دعــاءه لــن يضيع أبداً. لقد علم المسيح حواريه قائلاً: ادعوا الله يستجيب لكم.. لذلك فــإن رفض دعاء المسيح نفسه أمر كان له تأثير قبيح في نفوس الحواريين.. لأنــهم رأوا بأعينهم أن دعاء نبي مقدس مثل المسيح الذي ظل يدعو به طوال الليــل ذهب أدراج الرياح، الأمر الذي كان يدفعهم نحو ابتلاء عظيم، ولذلك كان مــن

مقتضى رحمة الله أن يُستجاب دعاؤه بالتأكيد. وإذا كان الله قد كتب على نفسه أن يستجيب لأحبائه، ويرد كيد أعدائهم في نحورهم، فما الذي دعاه إذن إلى رفض دعاء المسيح" (١٧).

التعليق:

١ – إن القول بأن المسيح ظل يتضرع طوال الليل باكياً بعيد كل البعد عن الحقيقة، حيث أن هذا الوقت أقل من ساعتين، حيث أنه قد تم القبض على المسيح في حوالي منتصف الليل (١٨)، ولم يكن المسيح في صلاته باكياً وإن كانت نفسه حزينة جداً (مت ٢٦: ٣٨)، وكان يصلي في جهاد ولجاجة وصار عرقه كقطرات دم (لو٢٢: ٤٤).

٢ – إن صلب المسيح، لا يعني عدم استجابة صلاته، لأن المسيح كان عارفاً كل الأمور التي تتعلق بموته على الصليب، فلم يكن هذا حادثاً غير منتظراً ولا مخيباً لآماله وتوقعاته، بل لقد أعلن المسيح عن:

أ – موته الفدائي: (مت ٢٠ : ٢٨، يو٣ :١٤-١٧، يو٦: ٥١، يو١٠: ١٠).

ب – كيفية موته: (يو١٢: ٣٢-٣٣، يو٣: ١٤).

ج – ساعة موته: (يو٧: ٦-٩، يو١٣: ١، مت٢٦: ٢١-٢٢، ٤٧-٥٠)(١٩)

والسؤال إذا كان المسيح عارفاً بكل هذا، فلماذا صلى؟ وما هو مضمون هذه الصلاة؟

وهل طلب في صلاته إنقاذه من الموت؟ وهل استُجيبت هذه الصلاة؟

***لماذا صلى المسيح؟**

إن المسيح "كلمة الله" المتجسد كان مشاركاً لنا في اختباراتنا البشرية – ما عدا الخطية– لذلك نراه يحزن ويصلي، ففي مواجهة شبح الصليب

الرهيب، والالتقاء مع الموت وجهاً لوجه في ميتة قاسية صلى المسيح، لأن الشجاعة الحقيقية لا تستلزم عدم الخوف بل تقتضي أن نسير في طريق التضحية والموت حتى النهاية ولو ساورنا الألم والخوف، وهنا تكمن الشجاعة، أي نعمل عمل الله رغم وجود مشاعر الخوف والألم والحزن.

*** هل طلب المسيح إنقاذ نفسه من الموت؟**

نعم، المسيح كإنسان صلى: "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" لو٢٢: ٤٢. "أيها الأب نجني من هذه الساعة، ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة" يو١٢:٢٧.

فالمسيح صلى وطلب من الآب إن أمكن لا تأتي عليه هذه الآلام، ولا لوم عليه في ذلك لأنه لا يليق به أن يرغبها في ذاتها، فمن كماله طلب عبورها عنه، ولكن من كماله أيضاً قبلها بحسب مشيئة الآب[٢٠].

فالمسيح صلى ولكنه أخضع إرادته لله عالماً أنه لهذا قد جاء، ولست أدري إذا كنت أجانب الصواب فأقول إن صلاة المسيح كانت تعني: "اللهم لا أسألك رد القضاء بل اللطف فيه"، فالمسيح لم يسأل رد قضاء الله بموته على الصليب، بل ربما سأل مقدرة على المواجهة والاحتمال.

إذن فصلب المسيح لا يعني عدم استجابة دعاءه، وليس له تأثير قبيح على تلاميذه، ولم يكن في ذلك أي خيبة لآمال المسيح وتوقعاته وأحياناً يكون من مقتضى رحمة الله الاستجابة للصلاة ولكن ليس بالطريقة التي نطلبها أو النتيجة التي ننتظرها، بل وأحياناً يكون من مقتضى رحمة الله عدم الاستجابة للصلاة بالمرة وليس في ذلك رفض أو عدم قبول من الله لنا، ولكن لأنه يعلم ما هو الأفضل بالنسبة لنا، لأن كل شئ مكشوف وعريان أمامه ولأن كل الأمور تعمل للخير للذين يحبون الله (رو٨: ٢٨).

إن استجابة صلاة المسيح، كانت بإتمام قصد الله الأزلي وهو موته على الصليب فداء للبشرية (يو٣:١٦).

* **أقوال المسيح على الصليب**

إن قول المسيح على الصليب لم يكن "اللهم إلهي وربي لِمَ خذلتني"، لأن صلبه قد تم، بل قال: "إلهي إلهي لماذا تركتني" مت٢٧:٤٦.

إن يسوع كان يردد كلمات العدد الأول من مز ٢٢، لأن هذا المزمور وإن كان يبدأ بوصف الآلام المروعة، ولكنه ينتهي بثقة عظيمة وانتصار (مز٢٢: ٢٢-٢٤). وقد قيل أن يسوع كان يردد كلمات هذا المزمور تصويراً لحالته واعلاناً لثقته الكاملة بالله، لأنه يعلم أن الآلام التي يجتازها ستنتهي بالنصر، فهي صرخة الانتصار وليس فيها أي دليل على خيبة الأمل والصلب دون توقع [٢١].

ولكن الكاتب قال مثل هذه الأقوال حتى يصل إلى النتيجة التالية: إن الله يستجيب إلى صلاة محبيه، والمسيح يصلي لينقذه الله من الصليب وحيث أن المسيح قد صُلب فعلاً، إذن إنقاذه كان بعدم موته على الصليب، وهذا ما سوف نرد عليه بوضوح خلال هذا الكتاب.

(٣) الاستعارات المجازية في الإنجيل:

يحاول المؤلف أن يثبت نظريته عن الإغماء فيقول: "إن الأناجيل نفسها تتضمن مثل هذه الاستعارات، كما قيل لميت أنه نائم، فهل من المستبعد إذن أن يُسمى الإغماء بالموت.. ولأن كلام النبي لا يمكن أن يشوبه الكذب" [٢٢]

التعليق:

إن ما أشار إليه المؤلف ولم يذكره جاء في الكتاب المقدس مرتين، ولأننا لا نخشى من البحث والتنقيب وهدفنا الوصول إلى الحقيقة، فسوف نلقي بعض الضوء على كلا الحدثين:

١ - "وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً: إن ابنتي الآن ماتت. لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه.. ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون. قال لهم: تنحوا، فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة، فضحكوا عليه. فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها. فقامت الصبية، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها" مت ٩: ١٨، ١٩، ٢٣-٢٦، انظر أيضاً مر ٥: ٢١-٤٣، لو ٨: ٤٠-٥٦.

*لم تمت ولكنها نائمة" ما هو المقصود بهذا القول؟

- إن كلمة "Katheudo" ومعناها نائمة تستعمل عادة في العهد الجديد بمعناها الحرفي وهو الموت، أو المعنى المجازي ويقصد بها الكسل الروحي (وليس الإغماء). أما الكلمة التي تترجم حرفياً بالنوم فهي " Koimaomai "[٢٣]

- إن استعارة النوم للموت مجاز شائع في أكثر لغات الأرض، ولكن هذا ليس إنكاراً لحقيقة الموت، أو إفراغاً لهذه الكلمة من مضمونها، فقد ذكر في العهد القديم "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي" دا١٢: ٢.

وتكرر هذا في العهد الجديد: "إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين.. والأموات في المسيح سيقومون أولاً" ١تس٤: ١٥، ١٦. وقيل عن استفانوس أنه رقد (أع٧: ٦٠). فالموت في الفكر المسيحي هو نوم أو هو انتقال من حياة إلى حياة أخرى.

- لماذا قال المسيح إنها نائمة؟

- لقد قال يسوع هذا ليهدئ من روعهم، وليؤكد لهم أن الموت أمامه ليس إلا نوماً يسهل إيقاظ الإنسان منه [٢٤]. إن ما يعتبره الناس

موتاً هو في نظر يسوع مجرد نوم، وذلك لقوله "لعازر حبيبنا قد نـــام" يو١١: ١١-١٤، رغم أنه قد مات منذ أربعة أيام ولا يمكن أن يكـــون نائماً أو مُغمى عليه.

و ربما يكون قصد المسيح في كلا الحدثين أن موتـــهما وقتـــي ولـــن يستمر طويلاً لأنه سوف يقيمهما من الموت.

والدليل على أن الصبية قد ماتت:

١ - قول والدها: إنها ماتت.

٢ - عندما قال يسوع للجميع إنها نائمة ضحكوا عليه لأنـــهم أخـــذوا أقواله بالمعنى الحرفي، وهم كانوا عارفين أنها ماتت (لو٨: ٥٣)[٢٥] قبـــل مجئ المسيح للبيت.

٣ - قال البشير لوقا بعد أن أقامها المسيح "رجعت روحها" وهذا يؤكد موتها.

ملحوظة:

هناك فرق بين النوم والإغماء، ولم يقل أحد أن المســـيح نـــام علـــى الصليب، حتى يقال أنه مات وعُبر عن الموت بالنوم، ولكن قيل أنه مـــات، والموت لا يمكن أن يكون مجازاً عن الإغماء، لذلك فهذا النـــص الكتـــابي ليس سنداً للمدعي في ادعائه.

(٢) قضية إقامة لعازر من الموت (يو١١: ١-٤٦)

جاء في هذه القصة تعبيران يمكن إساءة فهمهما:

ع ٤ "هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله".

ع ١١ "لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه".

عند مرض لعازر أرسلت أختاه تخبران المسيح بمرضه: فقال يســـوع "هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله" يو١١:٤.

"لقد قال المسيح هذا بناء على معرفته وعلى قصده أن يقيمه، فلم يقل إن لعازر لا يموت أو سوف يُغمى عليه ثم يقوم، بل ما قصده أن نتيجة هذا المرض ليس الموت المستمر بل هو موت وقتـــي ولـــهدف أسمى وهو إعلان مجد المسيح عندما أُقيم لعازر من المـــوت، وبعـد يومين قال المسيح لنذهب إلى اليهودية لأن "لعازر حبيبنا قد نام. لكنـي أذهب لأوقظه. فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفى" لقد فـهم التلاميذ هنا أن النوم يعني المرض. ولكن يسوع كان يقول عن موتــه. وقال لهم بكل وضوح "لعازر مات "أي أن المسيح كان متأكداً من موت لعازر ولكنه أشار إلى هذا بأسلوب لطيف، وعندما ذهب يســوع إلــى بيت عنيا كان له أربعة أيام في القبر (يو١١: ١٧). وقد أكـــد موتــه أختاه مريم ومرثا (يو١١: ٢١، ٣٢)، وشهد بذلك اليهود الذيـــن أتــوا للعزاء (يو١١: ٣١، ٣٧).

ثم ذهب يسوع إلى القبر وأقام لعازر من موته (يو١١: ٤٣-٤٤).

إن المسيح عبر عن موت لعازر بالنوم "وكثيراً ما عُبر فـــي الكتـاب المقدس عن الموت بالرقاد ومن ذلك ما جاء في (تـــث ٣١: ١٦، دا١٢: ٢، مت ٩: ٢٤، ٢٧: ٥٢، أع٧: ٦٠، ١٣: ٣٦، اكـو٧: ٣٩، ١١: ٣٠، ١٥: ٦-١٨، ٥١، اتس ٤: ١٣-١٤، ٥: ٢١).

ومرور أربعة أيام على لعازر في القبر يدفع توهّم أنه قد أغمي عليــه ولم يمت حقيقة.

وكما أوضحت فيما سبق أنه عُبر عن الموت بالنوم وليس بالإغمــــاء، ولم يقل أحد أن المسيح نام على الصليب، بل قيل صراحة أنه مـــات، ولا يمكن أن يكون هنا استعمال مجازي لكلمة النوم للتعبير عن عدم المـــوت ولهذا فالدعوى لا تقوم على أي دليل.

(٤) لعنة الصليب

يشير المؤلف إلى ما جاء في التوراة عن لعنة الصليب فيقول: "إن النجاة من الموت الصليبي كانت لا بد منها، إذ ورد في الكتاب المقدس، ملعون كل من عُلق على خشبة الصليب، واللعنة كلمة تتضمن معنى من الظلم الشديد والتعسف البواح أن نصف به أصفياء الله من أمثال المسيح عيسى بن مريم" (٢٦).

التعليق:

مما لا شك فيه أن المؤلف يشير هنا إلى ما جاء في تث٢١: ٢٢-٢٣ "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقُتل وعلقته على خشبة. فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً". ولو رجعنا إلى الشريعة اليهودية نعرف أن من يُعلق على الصليب، كان يُقتل أولاً رجماً بالحجارة، أو بأي طريقة أخرى حسب نصوص الشريعة أو حكم القضاة، ثم تُعلق جثته على عمود من الخشب أو على شجرة، أو على صليب تشهيراً بذنبه، ولكي يراه الكثيرون فيعتبرون. وقد قضت الشريعة أن الذي يُقتل وتُعلق جثته تنزل من على الخشبة في نفس اليوم الذي عُلق فيه وتُدفن وذلك: "لأن المعلق ملعون من الله" أي واقع تحت غضبه، ومحروم من بركته لأنه كسر ناموسه وتعدى عليه بعمله الفظيع الذي استحق عليه لا الموت فقط، بل التشهير أيضاً (٢٧). أي أن:

١ - اللعنة ليست لأن الشخص معلق على الخشبة، لكن لأنه كسر الوصية، فتم فيه حكم الموت حسب التشريع ثم عُلق على الخشبة.

٢ - كون المسيح قد علق على خشبة الصليب، فهذا لا يعني أنه ملعون، لأنه هو قدوس لو١:٣٥ "لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر"

١بط٢:٢٢. ولكنه تمم حكم الناموس بأن "افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة، لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع" غل٣: ١٣-١٤.

فالمسيح قد افتدانا، بدفعه فدية ليستردنا من اللعنة الناتجة عن فشلنا في تتميم وصايا الناموس فإننا: "كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" إش٥٣:٦، وهذا هو مبدأ النيابة العام الذي يعامل به الخالق القدوس جميع أبناء الجنس البشري [٢٨].

فالمسيح قد حمل خطايانا ومات فداء عنا، تحمل اللعنة، لكي تتحقق البركة، وقد فعل ذلك حباً وطواعية باختياره.[٢٩].

ويرى جون ستوت: "إن ما بدأ لناقدي المسيح أمراً مخزياً، بل بغيضاً، رآه أتباعه أمراً مجيداً للغاية.. إلا أن أعداء الإنجيل لم يشاركوا هذه النظرة،.. وليس ثمة شرخ بين الإيمان وعدم الإيمان أعظم من الشرخ القائم بينهما من حيث موقف كل منهما تجاه الصليب، فحيث يرى الإيمان مجداً، لا يرى عدم الإيمان سوى الخزى، إن ما بدا لليونانيين جهالة، ويظل كذلك في نظر المفكرين العصريين الواثقين بحكمتهم، إنما هو حكمة في نظر الله، وما يظل عثرة في نظر الواثقين ببرهم الذاتي كيهود القرن الأول قد ثبت أنه قوة الله المخلصة (١كو١٨:١-٢٥) [٣٠]، إن عثرة الصليب كانت وما زالت قائمة، لكن ما يحسبه الآخرون جهالة، هو في نظر الله قوة وخلاص.

(٥) عدم رغبة بيلاطس الوالي الروماني في موته:

وفي محاولات المؤلف المستميتة لاثبات أن المسيح لم يمت نراه يقول: "إن بيلاطس.. لم يرد قط أن يصلب المسيح، كما يتبين من الأناجيل جلياً أن بيلاطس أراد مراراً أن يطلق سراح المسيح... لذلك احتال لإنقاذ المسيح بحزم وحكمة، فأولاً: أنه أجل صلب المسيح إلى يوم الجمعة، ثم

أخره إلى أواخر ساعاته، حتى لم يبق من النهار إلا بضع ساعات، وكانت ليلة السبت الكبير تهدد بالظهور، وإن بيلاطس كان على علم واثق بأن اليهود نظراً لأحكام شريعتهم لا يمكنهم إبقاء المسيح على الصليب إلا إلى غروب الشمس وأن سبتهم يبدأ بعد المغرب.. إن هذه الخطة كانت حيلة لإنقاذ المسيح من تحطم العظام"(٣١).

التعليق:

إن قول المؤلف أن بيلاطس أراد مراراً أن يطلق سراح المسيح هو قول صحيح، ولكن المؤلف لم يوضح لنا السبب في ذلك، وإذ نرجع إلى إنجيل يوحنا نجد:

١ - عندما جاء اليهود بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، سألهم بيلاطس عن شكواهم، وكان يظن أن هذا يتعلق بأمورهم الدينية، ولذلك قال لهم: "خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم" يو ١٨: ٣١ وجوابهم أظهر نواياهم، فقالوا له: "لا يجوز لنا أن نقتل أحد" يو١٨:٣١، ثم دعا يسوع وسأله ولما تأكد من براءته، قال لهم: "أنا لست أجد فيه علة واحدة" (يو١٨: ٣٨)، وحاول أن يطلق سراح المسيح كعادته بإطلاق أسير في الفصح، لكنهم رفضوا وطلبوا إطلاق سراح باراباس.

٢ - ثم جلد المسيح وأخرجه مؤكداً لهم مرة ثانية: "إني لست أجد فيه علة واحدة" يو ١٩:٤. وعند ذلك طلب اليهود صلب المسيح، فقال لهم بيلاطس: "خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة" وطلبوا بقتله حسب ناموسهم لأنه جعل نفسه ابن الله" لو١٩:٧. أي أنهم وجهوا إلى المسيح اتهاماً دينياً، وبسؤال المسيح مرة أخرى تأكد من براءته، وكان بيلاطس يطلب أن يطلقه، "ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: "إن أطلقت هذا، فلست محباً لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر" يو١٩:١٢. أي

أن اليهود عندما رأوا أن التهم الدينية لا تهم بيلاطس، غيرّوا الاتهام إلـــى اتهام سياسي، وعند ذلك دب الخوف في بيلاطس، فأسلم المسيح ليصلـــب في حوالي الساعة الثانية عشر ظهراً. فبيلاطس حاول أن يطلـــق ســراح المسيح ولكنه لم يحتال لإنقاذ المسيح.

٣ - إن بيلاطس لم يؤجل صلب المسيح إلى يوم الجمعة، وذلـــك لأن اليهود قبضوا على المسيح ليلة الخميس قرب منتصف الليـــل[٣٢] "وكـــان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس فـــي العيد لئلا يكون شغب في الشعب" مر١٤: ١-٢. لقد كان لـــدى رؤســاء الكهنة أسباب قوية تمنعهم من القبض على يسوع في العيد منها:

أ- الخوف من حدوث شغب في العيد.

ب- الخوف من قوة المسيح المعجزية.

ج- الإجراءات القانونية والعيد.

وعندما ذهب إليهم يهوذا وأخبرهم عن ذهاب المســيح إلـــى بســتان جثسيماني بعيداً عن زحمة الجماهير، وأن يسوع المسيح أعلن عن قـــرب نهاية حياته، تغاضوا عن المعوق الثالث وقبضوا علـــى المســيح، وتمـــت محاكمته في نفس الليلة. ولم يكن لبيلاطس دوراً في تحديد ساعة القبـــض على المسيح، ولم يُقدم إليه إلا في الصباح.

٤ - إن تأجيل صلب المسيح إلى وقت متأخر لم يكن هو الوسيلة المناسـبة لعدم تحطيم العظام (كسر ساقي المصلوب)، لأن التأخير يعني عـــدم المـــوت وعدم الموت يعني كسر الساقين، وليس العكس كما يعتقد المؤلف.

إذن الادعاء بأن بيلاطس دبر واحتال لعدم موت المســيح هــو فـــي الحقيقة محض خيال. وليس له أي سند من الحقيقة.

(٦) إجراءات الصلب تؤكد عدم موت المسيح

يفحص المؤلف أحداث يوم الصلب ويحاول أن يجد فيها تدليلاً على عدم موت المسيح فيقول: "إن صلب اليهود في ذلك العصر، لم يكن كمثل مشنقة اليوم، التي يستحيل منها النجاة غالباً، لأن صليب اليهود لم يكن يحتوي على حبل للشنق ولم يكن المجرم يعلق به في الهواء بإزالة قاعدة خشبية، بل كان يُمد على الصليب ويُدق في يديه ورجليه المسامير، وكان من الممكن عندئذ أن ينزل المجرم من الصليب قبل أن تحطم العظام إذا أريد العفو عنه بعد تسميره بيوم أو يومين، اكتفاء بما ذاق من العذاب، وإذا أرادوا قتله أبقوه على الصليب ثلاثة أيام على الأقل، ولا يدعون الطعام والشراب يصل إلى فمه، وكانوا يتركونه في الشمس ثلاثة أيام أو أكثر، وبعد ذلك كانوا يحطمون عظامه، وبعد هذا التعذيب الطويل كان المجرم يلقى حتفه، لكن الله عز وجل أنقذ المسيح بفضله ورحمته من جميع ألوان التعذيب التي تقضى على الحياة قضاءً نهائياً. وإذا تدبرنا في الأناجيل بعض التدبير تبينا أن المسيح لم يبق على الصليب ثلاثة أيام ولم يذق العطش والجوع ولم تحطم عظامه، بل أنه بقي على الصليب مجرد ساعتين، وكانت رحمة الله قدرت له أن يتم صلبه في أواخر ساعات النهار، وكان ذلك في يوم الجمعة وكان النهار لم يبق منه إلا قليل، وكان اليوم التالي يوم السبت وعيد الفصح لليهود وكان من المجرم المستلزم للعقاب على اليهود أن يدعوا أحدا على الصليب يوم السبت أو ليلته، وكان اليهود كالمسلمين يراعون التوقيت القمري، وكانوا يقدمون الليل على النهار، فمن ناحية كانت هذه المقدرات الناتجة عن الوسائل الأرضية، ومن ناحية أخرى ظهرت الوسائل السماوية من الله عز وعلا، ولما كانت الساعة السادسة هبت عاصفة حالكة، غطى الأرض سوادها، وظلت الأرض مظلمة لثلاث ساعات متواليات (مر١٥:٣٣)، وكانت تلك الساعة

بعد نصف النهار وقبيل المغرب، فعند هذا الظلام الدامس، خاف اليهود أن تحين ليلة السبت، فيستحقوا الغرامة لنقض حرمة السبت، فلذلك أنهم سرعان ما أنزلوا المسيح واللص من على الصليب. على أن ظاهرة سماوية أخرى ظهرت أيضاً وهي أن بيلاطس لما كان متمكناً من كرسي المحكمة، أرسلت إليه زوجته قائلة: لا تتصد لهذا الرجل البريء الصادق(أي تجنب قتله) لأنني تأذيت من أجله في المنام (مت٢٧:١٩)، فالملك الذي رأته زوجة بيلاطس في المنام، نتبن منه نحن وكل منصف أن الله عز وجل لم يرد أن يقتل المسيح على الصليب، ولم يحدث منذ بدء الخليقة أن تخطئ بشارة تبشر بنجاة أحد... كانت رؤيا زوج بيلاطس مكيدة سماوية لنجاة المسيح، وكان من المستحيل أن تخطئ هذه المكيدة.. لأن كل رجل صحيح الفطرة إذا أطلع على رؤيا زوج بيلاطس، يتيقن بقلبه الصافي المطهر، بأن تلك الرؤيا لم تكن تهدف في الواقع إلا إلى وضع خطة لتخليص المسيح".(٣٣)

التعليق:

من خلال أحداث الصلب يحاول المؤلف أن يجد أدلة على إن المسيح، وأن كان قد صلب، لكنه لم يمت على الصليب، وفيما يلي ما ذكره:

١ - إن الصلب لا يؤدي إلى الموت السريع، وأن المصلوب يمكن أن يظل حيا على الصليب ولا يموت قبل ثلاثة أيام وحيث أن المسيح لم يبق على الصليب إلا ساعتين، فهذا دليل على عدم موته.

إن المسيح فعلا لم يبق على الصليب إلا حوالي ستة ساعات، ولكنه في خلال هذا الوقت أسلم نفسه للموت، وقد أكد ذلك الجنود الرومان المكلفين بإتمام عملية الصلب (يو١٩: ٣٣-٣٤)، وقائد المئة (مر١٥: ٤٣-٤٥)(٣٤)

فالمسيح لهذه الساعة قد جاء، وعلى الصليب بموته أتم الفداء، وأوضح موت المسيح بمثال، قد يسقط شخص من الدور الثالث أو الرابع ولا يموت، ثم يسقط نفس الشخص أثناء سيره في الطريق ويموت، فليس سبب الموت هو المقياس، بل عندما تأتي الساعة والوقت المحدد يحدث الموت، وقد أتت الساعة كما أعلن المسيح نفسه مرات عديدة (يو ٧ :٦-٩،١٣: ١،٢١)[٣٥].

٢ - لم تحطم عظامه:

لاقتراب الفصح وتنفيذاً للشريعة بعدم بقاء جثة المصلوب على الصليب لليوم التالي استصدر رؤساء الكهنة أمراً من الوالي الروماني بكسر سيقان المصلوبين وعندما جاءوا ليكسروا ساقي يسوع تأكدوا أنه مات فعلاً فلم يفعلوا (يو ١٩: ٣١-٣٧)، فعدم كسر ساقيه دليل واضح على موته.

٣ - الظلمة على الأرض:

لقد ساد الظلام من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، ولم يتم عمل أي شئ خلال هذا الظلام "ونحو الساعة التاسعة... أسلم الروح" (مت٢٧: ٤٥-٤٩) أي أن المسيح لم ينزله اليهود من على الصليب أثناء الظلمة، بل استمر على الصليب، وأسلم الروح بعد زوال الظلام، ولا يستطيع المؤلف أن يقدم أي دليل على صحة دعواه.

٤ - رؤيا زوجة بيلاطس:

كما هو واضح من الكتاب المقدس أنه حلم، وليس رؤيا (مت ٢٧: ١٩، فهو حلم لامرأة رومانية وثنية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون إعلان سماوي أو مكيدة سماوية لإنقاذ المسيح.

أرسلت زوجة بيلاطس لزوجها قائلة: "إياك وذلك البار، لأني تألمت كثيراً في حلم من أجله" (مت٢٧:١٩). ولكن رغم رسالة التحذير، وتحت الضغوط اليهودية والتهديد بإبلاغ الأمر لقيصر حكم بيلاطس على المسيح

بالموت صلباً وأسلمه ليصلب (مت ٢٧: ٢٦، يو١٩:١٢)، وبالتالي فليس في هذا الحلم أي دليل على عدم موت المسيح على الصليب [٣٦].

إذن من خلال أحداث الصلب لا يوجد أي دليل على عدم موت المسيح.

(٧) الاشتباه في عدم موته:

يقتبس المؤلف ما جاء في مر١٥: ٤٢-٤٥ "ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أي ما قبل السبت. جاء يوسف الذي من الرامة مشير شريف، وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً، فدعا قائد المئة وسأله: هل له زمان قد مات، ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف" ثم يقول:

"فتبين من هذه الشهادة أن الاشتباه في موت المسيح كان قد وقع ساعة الصلب ذاتها، وذلك الاشتباه كان من قبل رجل ذي خبرة بتقدير موت المسيح على الصليب" [٣٧].

التعليق:

عندما تأكد يوسف الرامي من موت المسيح وربما لإحساسه بالذنب، لأنه لم يأخذ موقفاً إيجابياً تجاه محاكمة المسيح أسرع ليكرم جسد المسيح بدفنه في قبره الخاص، وعندما طلب جسد المسيح من بيلاطس أرسل بيلاطس ودعا قائد المئة المسئول عن تنفيذ هذا الحكم -لأنه الشخص المختص والذي لديه الخبرة الكافية لتأكيد حقيقة موت المسيح- ولما تأكد بيلاطس أن المسيح قد مات فتعجب؟!

فما هو السبب الذي دفع بيلاطس أن يتعجب!

يقول الكتاب: "تعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً" أي أنه لما عـرف أن المسيح مات قبل أن تكسر ساقيه، أي مات سريعاً بالنسبة لأي شـخص آخر يصلب، لأنه كان من الممكن أن يستمر المصلوب حياً لمدة ثلاثة أيـام فتعجب، ولا يمكن أن تكون ساقي المسيح قد كسرتا لأنه لو تم ذلك لما كان هناك أي مجال للتعجب، وليس في هذا القول شهادة على الاشتباه في موت المسيح، بل أن أقوال قائد المئة دليل واضح على موت المسيح، وعندمـا تأكد بيلاطس من موت المسيح أسلم الجسد ليوسف الرامي ليقوم بدفنه.

(٨) إجراءات الدفن:

ويحاول المؤلف أن يجد أدلته من خلال لجراءات الدفـن، فيعقـب علـى أمرين:

١ - تسليم الجسد إلى يوسف الرامي:

ويقول المؤلف في ذلك: "كان رجـل اسـمه يوسـف مـن أصدقـاء بيلاطس.. وكان من تلاميذ المسيح المختفين.. وصـل هنـاك فـي ذات الساعة، ويبدو لنا أنه جاء بإيماء بيلاطس نفسه، فسلم إليه المسيح بصفتـه "جثة هامدة" .. تسلم المسيح المغمى عليه باعتبار جثة ميته"[٣٨]

٢ - القبر الذي دفن فيه المسيح:

ويقول عنه المؤلف: "وكان من المصادفات الحسنة التي أتاحها فضـل الله ورحمته، أن القبر الذي وضع فيه المسيح لم يكن مثل قبور بلادنا، بـل كان بصورة حجرة مهوّاة ذات نافذة، وكان من عادة اليهود في تلك الأيـام أنهم كانوا يتخذون القبور كغرفة واسعة وذات نافذة، وكانوا يعـدون مثـل هذه القبور قبل أن يموتوا، وكان الميت يوضع فيه عند انقضاء أجله، كمـا تشهد على ذلك الأناجيل شهادة صريحة" (لو٢٤: ٢-٣) [٣٩].

التعليق:

إن يوسف الرامي أتي إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ولفه بكتان نقي مع أطياب وحنوط، ووضعه في قبره الجديد، ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى (مت٢٧: ٥٧-٦٠)، ولا يعقل أن يأخذ يوسف الرامي المسيح المغمى عليه ويضعه في القبر ويغلق عليه بحجر يصل وزنه إلى حوالي ٢ طن، ومهما كان شكل القبر الذي دفن فيه المسيح فمن المؤكد أنه مات وهذا واضح من:

١ - نبوات العهد القديم.

٢ - إعلان المسيح عن موته.

٣ - شهادة الوحي في الأناجيل.

٤ - شهادة الرسل والتلاميذ، وهم شهود عيان.

٥ - شهادة الجنود الرومان.

ومما لا شك فيه أن الأطياب مع الكفن تكون تابوتاً يحيط بجسم مثخن بالجراح في قبر، سوف يؤدي إلى وفاة أي شخص لو لم يكن قد مات.

مما سبق نستطيع أن نؤكد أن المسيح قد مات(٤٠)

(٩) أحداث بعد القيامة

وبحثاً عن الأدلة على عدم موت المسيح، يعلق المؤلف على ثلاث نقاط في أحداث القيامة هي "طبيعة جسد المسيح" ثم "عدم كفاية خلو القبر لاثبات القيامة" ثم "عدم ظهور المسيح لبيلاطس". وحول النقطة الأولى يقول:

أ - الروح ليس لها عظام والجسد النوراني لا يحتاج إلى طعام

"قد ورد في إنجيل مرقس أن المسيح رآه الناس متجهاً نحو جليل حتى لقي حوارييه الأحد عشر وهم يأكلون، وأراهم يديه وقدميه الجريحتين،

وظنوا أنه ليس المسيح، فقال لهم المسوا جسدي، وجسوني واعرفوني، لأن الروح ليست ذات جسم وعظام كما ترون، وتناول منهم قطعة من السمك المشوي والعسل وأكل أمامهم (مر١٦:١٤، لو ٢٤: ٣٩-٤٢). ويتبين من هذه العبارات أن المسيح لم يصعد قط إلى السماء، بل أنه ذهب إلى جليل بعد أن خرج من القبر وكان كسائر بني الإنسان بجسم ولباس عاديين، ولو كان استرد الحياة بعد موته، لما كان من الممكن أن تبقى آثار الصلب بجسمه السماوي الجلالي، وما كان بحاجة إلى طعام" (٤١)

التعليق:

١ – لم يرد في إنجيل مرقس أو أي إنجيل آخر أن المسيح رآه الناس متجهاً نحو الجليل، فالمسيح ظهر للأشخاص الذين أراد أن يظهر لهم.

٢ – إن المسيح بعد قيامته من الموت ظهر لتلاميذه بجسد يحمل آثار الصليب، وليس في هذا دليل على أنه لم يمت أو لم يقم. فجسد المسيح وإن كان مماثلاً للجسد الذي وضع في القبر بدليل:

أ- تعرف التلاميذ عليه.

ب- طبيعته المادية التي أمكن لمسها (مت٢٨: ٩، لو٢٤: ٣٩، يو٢٠:٢٢).

ج- أكله وشربه مع التلاميذ (لو٢٤: ٤١-٤٣).

د- حمله لآثار الصليب مثل آثار المسامير وطعنه بالحربة (يو٢٠: ٢٤-٣٩).

ولكن هذا الجسد كان قد تغير وأخذ طبيعة جديدة، نستطيع أن نطلق عليه جسد القيامة أو الجسد الروحاني والدليل على ذلك:

أ- أن هذا الجسد تخلص من قيود الزمان والمكان، فكان يظهر لتلاميذه في أماكن متباعدة، وفي أوقات متقاربة دون حاجة إلى وسيلة اتصال، ودون أن يراه أحد من الناس.

ب- هذا الجسد لا تحده أو تقيده الحواجز الطبيعية، فقد كان يستطيع الدخول والخروج والأبواب مغلقة (يو ٢٠:١٩)، ثم صعد إلى السماء.

فجسد المسيح بعد القيامة، كان جسداً روحانياً والروحانية ليست عكس المادية. والجسد الروحاني لا يعني بالمرة أنه أصبح روحاً مجرداً من الجسد، بل جسداً خاضعاً خضوعاً مطلقاً للروح وحراً من القيود التي تقيد الجسد المادي.

٣ - إن تناول المسيح الطعام مع تلاميذه، ليس لأنه بذات الجسد المادي الذي يحتاج إلى الطعام والشراب -مما يؤكد إنه لم يمت- ولكن المسيح فعل ذلك حتى يؤكد لتلاميذه أنه ليس روحاً فقط، فعندما ظهر لهم خافوا وظنوا أنهم نظروا شبحاً، فأراد المسيح أن يهدئ من روعهم ويؤكد لهم حقيقة شخصيته وموته وقيامته فتناول معهم الطعام [٤٢].

وليس في هذا أي دليل على عدم موت المسيح.

ب - خلو القبر لا يعني صعود المسيح إلى السماء

يقول المؤلف: "هل مجرد خلو قبر المسيح يقنع أحد من العقلاء بأن المسيح صعد إلى السماء؟ أليس هناك عوامل أخرى تؤدي إلى خلو القبور؟" [٤٣]

التعليق:

مما لا شك فيه أن القبر الفارغ لا يكفي وحده كبرهان لحقيقة قيامة المسيح من الموت وصعوده إلى السماء، ولكن ظهور المسيح للمؤمنين به بعد قيامتة أعطى التفسير الصحيح لحقيقة القبر الفارغ، ودفع التلاميذ للمناداة بقيامته من الموت في أورشليم، نفس المدينة التي صُلب فيها المسيح، وبالقرب من القبر الذي دُفن فيه، واعتقد ما كان يمكن لهذه الرسالة أن تجد من يصدقها، لو لم يكن القبر فارغاً.

وهناك أدلة أخرى كثيرة بجانب القبر الفارغ تؤكد حقيقة قيامة المسيح:

١ – وجود الأكفان –التي كفن بها المسيح– مرتبة بطريقة تؤكد أن الجسد خرج منها بطريقة معجزية (يو ٢٠: ٥–٨).

٢ – التغيير الذي حدث في حياة التلاميذ وتغيرهم من حالة الخوف إلى الشجاعة، والمناداة بقيامة المسيح أمام رؤساء الكهنة واليهود يؤكد حقيقة إيمانهم بها.

٣ – انتشار ونمو المسيحية، بدء من أورشليم إلى كل العالم المعروف في ذلك الوقت، فلو لم يكن المسيح قد قام ما انتشرت ونمت المسيحية، لأن الأدلة على قيامة المسيح كانت قوية بحيث لم يقدر الأعداء على مناهضتها، بل كانت قوية لدرجة أنها اجتذبت كثيرين من الشك للإيمان بها. وهذا ثبت أقدام الكنيسة، وصار لها أتباع في كل مكان.

فخلو القبر مؤيدا بالأدلة الأخرى اقنع الجماهير ودفعها لقبول الإيمان بحقيقة قيامة المسيح من الموت وصعوده إلى السماء(٤٤).

ج – عدم ظهور المسيح لليهود وبيلاطس:

يستنكر المؤلف عدم ظهور المسيح لليهود وبيلاطس ويقول: "أو لم يكن من واجب المسيح قبل صعوده إلى السماء أن يلقى مائتين أو ثلاثا من اليهود. وبيلاطس أيضا؟"(٤٥)

التعليق:

إن ظهورات المسيح بعد قيامته، هي أقوى برهان على موته وقيامته، فلو لم يقم المسيح من الموت، فكيف كان يظهر ويراه الآخرون، ولو لم يظهر المسيح مؤكدا حقيقة قيامته من الموت، ربما كان للشك موضع، وبالرجوع إلى الكتاب المقدس نجد أن المسيح ظهر لتلاميذه مدة أربعين يوما، وهي بالطبع فترة كافية للتأكد من صحة هذا الأمر، ومن خلال أحاديثه مع تلاميذه تأكدوا أنه هو المسيح المقام، ويجب أن يكون واضحا أمامنا:

١ – إن التلاميذ كيهود كان لهم مفهومهم الخاص عن القيامة، فعندما أخبرهم المسيح عن قيامته من الموت كانوا "يتساءلون ما هو القيام من الأموات؟" مر٩: ٩-١٠، بل "لم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه" مر٩: ٣١-٣٢. وعندما مات المسيح وقام كان أيضاً موقف التلاميذ هو الشك وعدم التصديق (مر١٦: ١١-١٣، مت٢٨:١٧) وذلك:

أ – لأن فكرة القيامة كانت صعبة على أفهامهم، ومعجزة تفوق خيالهم، ولم يصدقوها إلا بعد أن حدثت.

ب – لأنهم لم يتوقعوا أن يقوم المسيح من الموت إلا يوم القيامة العامة.

جـ لأنهم كانوا يؤمنون أن المسيا سوف يأتي ليملك إلى الأبد ولن يموت (يو١٢ :٣٤).

فظهور المسيح لتلاميذه يؤكد حقيقة قيامته مثل ظهوره لأي شخص يهودي أو بيلاطس أو غيره فالجميع غير مؤمنين بالقيامة وغير متوقعين لها.

ولكن المسيح ظهر لتلاميذه لأنه كان من البديهي أن يظهر لهم، فهم أعرف الناس بشخصيته وأقدرهم على التحقق منها.

وقد ظهر لهم ليزيل الخوف منهم، ويلاشي حزنهم ويعيد الثقة والرجاء إليهم، وأيضاً ليزيل كل شك لديهم بخصوص قيامته.

٢ – إن المسيح لم يظهر لأي يهودي ولا حتى بيلاطس، لأنهم قد رفضوه، وحكموا عليه بالموت، ولم يصدقوه، فظهوره لهم لن يغير ما بداخلهم، فيكون بلا جدوى، والمسيح لم يرد أن يفرض ذاته عليهم، حتى يؤمنوا به. وعدم ظهوره لهم ليس دليلاً على عدم قيامته من الموت، فالأدلة على قيامته من الموت واضحة كافية لإثبات ذلك.[٤٢]

(١٠) إنجيل برنابا وموقفه من قضية الصليب

أما الدليل العاشر الذي يحاول المؤلف أن يثبت به عدم موت المسيح على الصليب، فيستند فيه إلى إنجيل برنابا، وفي ذلك يقول: "إن إنجيل برنابا الذي يوجد في مكتبة لندن الشهيرة، يذكر أن المسيح لم يمت مصلوباً، والآن يجوز لنا أن نتبين من ذلك أن هذا الإنجيل لم يعد من الأناجيل تعمداً، وألغي وجوده بغير تفكير أو دليل، ولكن مما لا شك فيه أن هذا الكتاب من أقدم الكتب وهو معاصر لسائر الأناجيل" (٤٧)

التعليق:

إن المؤلف في كتابه هذا يحاول أن يثبت أن المسيح قد صلب، ولكنه لم يمت على الصليب، واستناده على إنجيل برنابا، ليس في صالحه بالمرة، فإنجيل برنابا يقول: إن المسيح لم يصلب بل أن الله قد ألقى شبهه على يهوذا، وأنه رفع إلى السماء حياً، وبالتالي فعودته مرة ثانية سوف تكون بالجسد، وهذا ضد ادعاء ميرزا غلام أحمد بأنه هو المسيح الموعود التي آتى بروح وتعاليم المسيح.

وهذا إن دل على شئ، فإنه يدل على أن المؤلف لم يقرأ إنجيل برنابا، ولم يعرف محتواه، وهذا هو شأن كثير من الذين يكتبون عن إنجيل برنابا.

ولقد ذكر أحد مؤيدي نظريته في عدم موت المسيح "لا يصح لنا كمسلمين أن نقيم عقائدنا على أساس من نصوص إنجيل برنابا الذي لا يعترف النصارى به.. ولا يجوز أن نثق بنص من نصوص إنجيل برنابا"(٤٨)

* أما قوله بأن هذا الإنجيل من أقدم الكتب وهو معاصر لسائر الأناجيل فهو ادعاء من غير دليل، لأن هذا الكتاب كتاب مزور، وقد كتب في القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أثبتنا ذلك في موضع آخر.(٤٩)

المراجع

١ – المسيح الناصري. ص٢١-٢٣.

٢ – انظر الكنز الجليل. جـ١ ص٤١٧، التفسير الحديث: متى. ص ٤١٣

٣ – موت أم إغماء. للمؤلف.

٤ – المسيح الناصري. ص٣٩،٤٢.

٥ – التفسير الحديث: لوقا. القس ليون موريس. ص١٧٨.

٦ – شرح بشارة لوقا. د. إبراهيم سعيد. ص٢٣٣.

٧ – الكنز الجليل. د. وليم إدي. جـ١. ص٢٨٢.

٨ موعد المجئ الثاني. د.أميل ماهر. طـ٢ سنة ١٩٩٦م. القاهرة ص١٢-١٤.

٩ – التفسير الحديث: متى، ر. ت. فرانس. تعريب أديبة شكري.ص٢٠٠.

١٠ – تفسير إنجيل متى، د. وليم باركلي. تعريب القس فايز فارس. جـ ١ ص٢٧٦.

١١ الكنز الجليل. د. وليم إدي. جـ ١. ص١٥٨.

١٢ التفسير الحديث: متى. ص٢٠١.

١٣ – الكنز الجليل. جـ١. ص١٥٨.

١٤ – المسيح الناصري في الهند. ص ١٧-١٨.

١٥ – الإسلام والحق. د. أحمد ماهر البقري. ص ٢٧.

١٦ – موت المسيح حقيقة أم افتراء. للمؤلف. ص ١٧٧-١٨٦.

١٧ – المسيح الناصري في الهند. ص٣٤-٣٥.

١٨ – من دحرج الحجر. فرانك موريسون. ص٢٩.

١٩ – موت أم إغماء. للمؤلف. ص ٣٨-٤٢.

٢٠ - شرح إنجيل يوحنا. د. وليم باركلي. تعريب د. عزت زكـــــي. جـــ٢. ص٢٥٥.

ولدراسة هذا الموضوع ارجع إلى: موت المسيح حقيقـــة أم افـــتراء. للمؤلف. ص ٤٩-٦٠

٢١ - لدراسة هذا الموضوع بالتفصيل ارجع إلى: من هو المصلوب؟ للمؤلف. ص ١٩٢-١٩٥.

٢٢ - يسوع الناصري في الهند. ص ٢٣.

٢٣ - التفسير الحديث: متى. ص ١٨٣.

٢٤ - تفسير العهد الجديد. وليم باركلي. مجلد ١ص ٢٠١.

٢٥ - التفسير الحديث: لوقا. القس ليون موريس. ترجمة نيكلس نسيم. ص ١٦٧.

٢٦ - المسيح الناصرى في الهند. ص١٩-٢١.

٢٧ - تفسير سفر التثنية. نجيب جرجس. ص٢٦٤.

٢٨ -شرح رسالة غلاطية. القس غبريال رزق الله. ص٢٥٦-٢٦١.

٢٩ - سوف يناقش المؤلف هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "لمـــاذا الصليب" إن شاء الله.

٣٠ - صلب المسيح، جون ستوت. تعريب نجيب جرجور. ص٤٤.

٣١ - المسيح الناصري في الهند. ص٣٢.

٣٢ - من هو المصلوب. للمؤلف. ص١٤١-١٥٤.

٣٣ - المسيح الناصري في الهند. ص٢٥-٢٦.

٣٤ - لمزيد من التفاصيل. موت أم إغماء. ص٥٦-٥٨.

٣٥ - المرجع السابق. ص ٣٨-٤٣.

٣٦ - موت المسيح حقيقة أم افتراء. للمؤلف. ص٨٥-٨٨.

٣٧ - المسيح الناصري في الهند. ص ٣٠.

٣٨ – المسيح الناصري. ص ٣٢.

٣٩ – المسيح الناصري. ص٢٩.

٤٠ – لدراسة تفصيلية حول الموضوع ارجع إلى:

موت المسيح حقيقة أم افتراء – موت أم إغماء – قيامة المسيح حقيقة أم خدعة – من هو المصلوب

٤١ –المسيح الناصري. ص٢٤ وانظر أيضاً ص٢٧-٢٩. وهذا الفكر هو ما ينادي به أحمد ديدات. انظر أيضاً قيامة أم انتعاش.

٤٢ – لمزيد من الدراسة حول هذا الموضوع أرجع إلى: قيامة المسيح حقيقة أم خدعة. للمؤلف ص ١٣٠-١٤١.

٤٣ – المسيح الناصري في الهند. ص٥٥.

٤٤ – قيامة المسيح حقيقة أم خدعة. ص٧٦-٩٣.

٤٥ – المسيح الناصري. ص٥٥.

٤٦ – قيامة المسيح حقيقة أم خدعة. د.فريز صموئيل. ص ٣٨-٤٥، ٧٢-٧٥.

٤٧ – المسيح الناصري في الهند. ص٢٣.

٤٨ – أخطر مناظرات في العصر. تعليق على الجوهرى. ص٨٨-٨٩.

٤٩ – إنجيل برنابا بين المؤيدين والرافضين. د. فريز صموئيل.

الباب الثاني

ويتضمن أقوالا من القرآن والأحاديث

يزعم المؤلف أنها دليل على عدم موت المسيح

"يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. وما قتلوه يقيناً" أي أن اليهود لم يتمكنوا من قتل المسيح، ولم يهلكوه بالصليب، بل اشتبه عليهم الأمر، بأن حضرة المسيح كأنه مات على الصليب، ولا يملكون من الأدلة ما تطمئن به قلوبهم إلى أن المسيح زهقت نفسه على الصليب حتماً، ولقد صرح الله في هذه الآيات، أن المسيح وإن عُلق على الصليب، وأُريد قتله بلا مراء، لكن ظن اليهود والنصارى بأنه في الواقع هلك بالصليب ليس إلا خدعة، بل نرى أن الله عز وجل أتاح له وسائل أدت إلى نجاته من الموت الصليبي..

وأيضاً ورد في القرآن عن المسيح "وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين" أي أن المسيح سينال الشرف والوجاهة في هذه الدنيا وسيكون في الآخرة من أصحاب الحظوة لدى الله عز وعلا.

ومن الواضح أن المسيح لم ينل في ملك هيرودس وبيلاطس آية كرامة أو شرف، بل أنه كان عرضة لأشد التحقير.. إن الله عز وجل وهب المسيح الناصري الشرف والعز وأتاح له لقاء الخراف الضالة من عشر قبائل إسرائيلية حينما شرف المسيح أرض فنجاب بمجيئه بعد أن نجاه الله من أشقياء بني إسرائيل، ومما يبدوا لنا أن معظم بني إسرائيل هنا دخلوا البوذية، وبعضهم وقعوا في أحط أنواع الوثنية، غير أن أكثرهم رجعوا إلى الصراط المستقيم بعد مجئ المسيح إلى هذه البلاد... إن المسيح الناصري

نال في هذه البلاد شرفاً ووجاهة عظيمة، وقد اُكتشف أخيراً قطعة نقدية من بين الآثار نُحت عليها اسم المسيح بلغة "بالي"* وهذه القطعة ترجع إلى عصر المسيح نفسه، ويتبين من ذلك بالتأكيد أن المسيح كان يتمتع في هذه البلاد بعز ملكي، وهذه القطعة صدرت على الأغلب من قِبل ملك آمن بالمسيح...وكذلك من آيات القرآن "ومطهرك من الذين كفروا" أي أنني لأبرئنك من تهم الأعداء وأطهرك وأكشف عنك التهم التي رماك اليهود والنصارى بها... ونبأ مطهرك يشير إلى أنه سيأتي زمان يطهر الله فيه المسيح من هذه التهم، وذلك الزمان هو عصرنا هذا.. لذلك اقتضى عدل الله عز وجل أن يكون التطهير والبراءة من الأمور المشهورة المحسوسة، كما كان صلب المسيح أمراً بديهياً محسوساً، وقد شهد ملايين الناس بعيون جسمانية أن قبر المسيح موجود في سري نغر بكشمير.

---

* اللغة البالية: "ولد بوذا في ولاية بيهار بالقرب من الهمالايا عام ٥٦٠ق.م. وكان بوذا مضطراً لاستخدام إحدى اللهجات العامية التي كان يتكلم بها سكان بلده وهي اللغة البالية (pali) لأداء مهمة التبشير... وبانتشار الديانة الهندوكية وانتشار تلاميذ بوذا وحواريه انتشرت هذه اللهجة أيضاً في أنحاء وربوع شمال الهند... وأصبحت في عصر أشوكاً (٢٧٣-١٣٢ق.م) لغة الدولة ولغة التبشير للديانة البوذية.. وهناك إشارات تدل على استخدام أشوكا الحروف الفينيقية لكتابة هذه اللغة... وقد سميت هذه اللغة الجديدة بعد عصر أشوكا (بالي براكرت) وهي صورة متطورة ومكبرة للغة بالي الشعبية العامية.. لقد تطورت هذه اللغة تطوراً مذهلاً فيما بعد.. وجرت فيها تعديلات عديدة على مر القرون، وإحدى لهجات هذه اللغة التي تُسمى الآن بالأردية. (الهند القديمة. حضارتها وديانتها. د.محمد إسماعيل الندوي. دار الشعب سنة ١٩٧٠م. ص١٤٥، ١٨٨، ١٨٩.

ولمزيد من الدراسة حول لغات الهند ارجع إلى: الأدب الهندي المعاصر. د. محيي الدين الألوائي. كتابات معاصرة. سنة ١٩٧٢. القاهرة.

أما عن الأحاديث النبوية فيقول المؤلف:

وقد تحقق بالأحاديث الصحيحة الروايات، أن النبي قال: "إن المسيح عاش مائة وخمسة وعشرين عاماً" (١)

التعليق:

يحاول المؤلف في هذا الفصل أن يثبت من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية صحة دعواه، بعدم موت المسيح على الصليب، وطبعاً هناك من هم أقدر في الرد على هذا، ولكن حتى يكون الرد على كتابه كاملاً أورد هنا بعض الردود من خلال التفاسير والأحاديث:

يستند المؤلف في دعواه على ثلاث آيات قرآنية وحديث واحد:

١ - "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم.. وما قتلوه يقيناً" النساء١٥٦-١٥٧، أي أن اليهود اشتبه عليهم موت المسيح، ولقد سبق وناقشنا هذا الإدعاء.

٢ - "اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة" آل عمران ٤٥. وفسر الوجاهة* بأنه نال شرف ووجاهة عظيمة وعز ملكي في فنجاب، وهذا ليس هو التفسير المجمع عليه من المفسرين، فقد جاء في تفسير الرازي: إن المسيح وجيه في الدنيا بسبب :

---

* ويمكن تفسير وجيه بمعنى "صاحب السلطان" كما في قولهم "الوجيه فلان" و"الوجهاء". والكلمةدخلت العربية بهذا المعنى حيث يقال: "وجوه القوم" بمعنى عليتهم وذي السلطان منهم.. وحين يصف القرآن المسيح بقوله "وجيهاً في الدنيا والآخرة" آل عمران٤٥، فالأرجح أن المقصود أنه كان "صاحب سلطان أو قوة".. قارن "فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً" الأحزاب ٦٩.

مقدمة في فقه اللغة العربية. د. لويس عوض. ص٢٧٢

أ – النبوة.

ب – أنه يستجاب دعاؤه ويحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص.

جـ – أنه كان مبرأ من العيوب التي وصفه بها اليهود.

ووجيه في الآخرة بسبب:

أ – علو المنزلة عند الله تعالى.

ب – شفيع أمته وتقبل شفاعته فيهم.

جـ – كثرة صوابه وعلو درجته عند الله تعالى.

وهو وجيه في الدنيا رغم ما عمله معه اليهود، لأن هذا لا يقدح في وجاهته[٢]

*وجاء في تفسير الجلالين:

وجيه في الدنيا: بالنبوة.

ووجيه في الآخرة: بالشفاعة والدرجات العلا[٣]

فالوجاهة المقصودة هنا لا تعني ذهاب إلى فنجاب ونقش صورته على عملة نقدية.

٣ – "إني متوفيك ورافعك ومطهرك من الذين كفروا" آل عمران٥٥

والتطهير هنا لا يعني تطهير من الآثام والأوزار، لأنه هو المسيح وكلمة المسيح تعني:

١ – أنه مسح من الأوزار والآثام.

٢ – أنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يُمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيرهم.

٣ - لأنه مسحه جبرائيل بجناحيه وقت ولادته، ليكون ذلك صوناً من مس الشيطان.

٤ - أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن(٤).

والمعنى المقصود "بمطهرك" هنا هو مبعدك، والإبعاد هنا تم بالرفع إلى السماء، وليس الذهاب إلى كشمير.

(٤) ذكر المؤلف أنه هناك حديث بأن المسيح عاش مائة وخمسة وعشرين عاماً. وإليك ما جاء في الأحاديث:

أ - قال الحسن البصري: "كان عمر عيسى يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة".

ب - قال حمادة بن سلمة، عن علي بن يزيد، عن سعيد بن المسيب، أنه قال: "رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة"

جـ - قال جرير والثوري عن الأعمش، عن إبراهيم: "مكث عيسى في قومه أربعين عاماً".

د - روى سفيان بن عينيه، عن عمرو بن دينار، عن يحيي بن جعدة، قال: قالت فاطمة: "قال لي رسول الله: إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة".

أما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه، ويعقوب بن سفيان الفصوي في تاريخه، عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن عمارة عن عُزيه، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن فاطمة بنت الحسين، حدثته أن عائشة كانت تقول: أخبرتني فاطمة أن رسول الله أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله، وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش

عشرين ومائة سنة، فلا أراني إلا ذاهب على رأس الستين" هذا لفظ الفصوى، وهو حديث غريب.[٥]

إذن الأحاديث تؤكد على رفع المسيح في الرابعة والثلاثين إلى الأربعين من عمره والحديث الذي يقول أن المسيح عاش مائة وعشرين سنة، حديث غريب، وقد نقده المحدثين، ولذلك فلا يصح أن تبنى عقيدة على حديث كاذب.

وقد جاء في تفسير الجلالين:

"روى أن الله أرسل إليه سحابة فرفعته، فتعلقت به أمه وبكت. فقال لها: إن القيامة تجمعنا وكان ذلك في ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ستة سنين"[٦]

المراجع

١ - المسيح الناصري في الهند. ص٥٧-٦٢.

٢ - تفسير الرازي. مجلد٤. ص٥٦.

٣ - تفسير الجلالين. ط دار التراث. ص ٥١.

٤ - تفسير الرازي. مجلد٤. ص٥٤.

٥ - المسيح عيسى بن مريم. للأمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير. تحقيق وتعليق عبد الرحمن حسن محمود. مكتبة الآداب. ص١٣٢-١٣٣.

٦ - تفسير الجلالين. طبعة دار التراث. ص٥٢.

الباب الثالث

ويتضمن أقوالاً اقتبسها المؤلف من كتابات تاريخية قديمة، ويزعم أنها دليل على عدم موت المسيح على الصليب

الفصل الأول:

في الشهادات المأخوذة
من الكتب الإسلامية التاريخية التي تثبت سياحة المسيح

"قد ورد في أحد الكتب التاريخية الشهيرة المسمى (روضة الصفا) ص١٣٠-١٣٥ عبارة فارسية نسجل ترجمتها الملخصة فيما يلي:

إنما سُمى عيسى بالمسيح، لأنه كان يكثر السياحة، وكان يغطى رأسه بطاقية صوفية، كما كان يلبس قميصاً صوفياً أيضاً، وكانت العصا بيده، وكان يسيح ببلد فبلد، ومدينة فمدينة، وكان يبيت حيثما حل به الليل، كان يأكل خضر الغابات، ويشرب مياهها، وكان يمشي مشياً، وحدث مرة أن أشترى له أصحابه فرساً، فركبه يوماً كاملاً، لكن بما أنه لم يستطع أن يهيئ للفرس ما يلزمه من العلف، لذلك رده إلى صاحبه، فوصل بعد أن هاجر من وطنه إلى "تصيبين" التي كانت على مئات الأميال من وطنه، وكان يصحبه بعض الحواريين أيضاً، فأرسلهم إلى بعض المدن للتبشير، لكن كانت الشائعات الكاذبة عن عيسى ووالدته قد بلغت هذه المدينة، فلذلك أن

ملك تلك المدينة ألقى القبض على هؤلاء الحواريين، وأرسلهم إلى المسيح الناصري، فجاء وشفى بعض المرضى بقوة الإعجاز، وأتى بمعجزات أخرى، فلذلك أن ملك نصيبين وما حولها من عساكره وجميع رعيته آمن بالمسيح، وأن قصة نزول المائدة الواردة في القرآن أيضاً حدثت في أيام سياحته.

إن المسيح كان قد وصل نصيبين وهي مدينة بين الموصل والشام، وهي على مسافة ٤٥٠ ميلاً من بيت المقدس، وعلى بعد ١٥٠ ميلاً من حدود فارس.

فإذا وثقنا برواية "روضة الصفا"، تبين أن المسيح الناصري كان يريد بسفره إلى نصيبين الوصول إلى أفغانستان عن طريق فارس، ودعوة أولئك الخراف الضالة من بني إسرائيل المعروفين بأفغان إلى الحق..

فقصارى القول أن حضرة المسيح الناصري جاء إلى فنجاب ماراً بأفغانستان، فقاصداً زيارة فنجاب والهند، فمتجهاً إلى كشمير..

وبعد دخوله في فنجاب لم يكن من الصعوبة في شئ أن يزور بلدان الهند المختلفة قبل أن يتجه نحو كشمير فالتبت.. وليس من المستبعد أنه تزوج هناك أيضاً، ومن الأفغان قبيلة تعرف باسم (عيسى خيل) أي بني عيسى، وليس من المستغرب أن يكون هؤلاء من ولد عيسى.. مما لا شك فيه أن الأفغان من بني إسرائيل، كما أن أهل كشمير أيضا من بني إسرائيل.. إن الأفغان يعترفون بأنهم من أولاد قيس، وقيس هذا من بني إسرائيل.. ولأجل هذا السفر الطويل سمي المسيح بالنبي السائح، بل لقب بسيد السائحين.

وجاء في لسان العرب: قيل سمي عيسى بمسيح لأنه كان سائحا في الأرض لا يستقر"[1]

التعليق:

لنا على هذا القول بعض الملاحظات:

١ – إن هذا القول قد قام الغلام بترجمته وتلخيصه من كتاب "روضة الصفا" وهو مكتوب باللغة الفارسية، ولذلك لم نتمكن من الإطلاع عليه، ولسنا ندري مدى الأمانة في الترجمة والتلخيص.

٢ – إن الغلام أحمد، يشكك في النص بقوله: "إن وثقنا" فيا ترى ما هو المانع من عدم الثقة.

٣– لقد أثبتنا –فيما سبق– أن المسيح لم يذهب خارج حدود فلسطين، إلا مرة واحدة، إلى نواحي صور وصيداء (مت١٥: ٢١)، في لبنان الآن.

٤ – إذا كان عيسى، سُمي بالمسيح، لأنه كان يكثر من السياحة، والانتقال من بلد إلى آخر، فهذا لا يعني ذهابه إلى الهند، والأوصاف التي ذكرها عن المسيح، من لبس قميص من الصوف، والعصا بيده، والمشي وغيرها هي صفات المتصوفين.

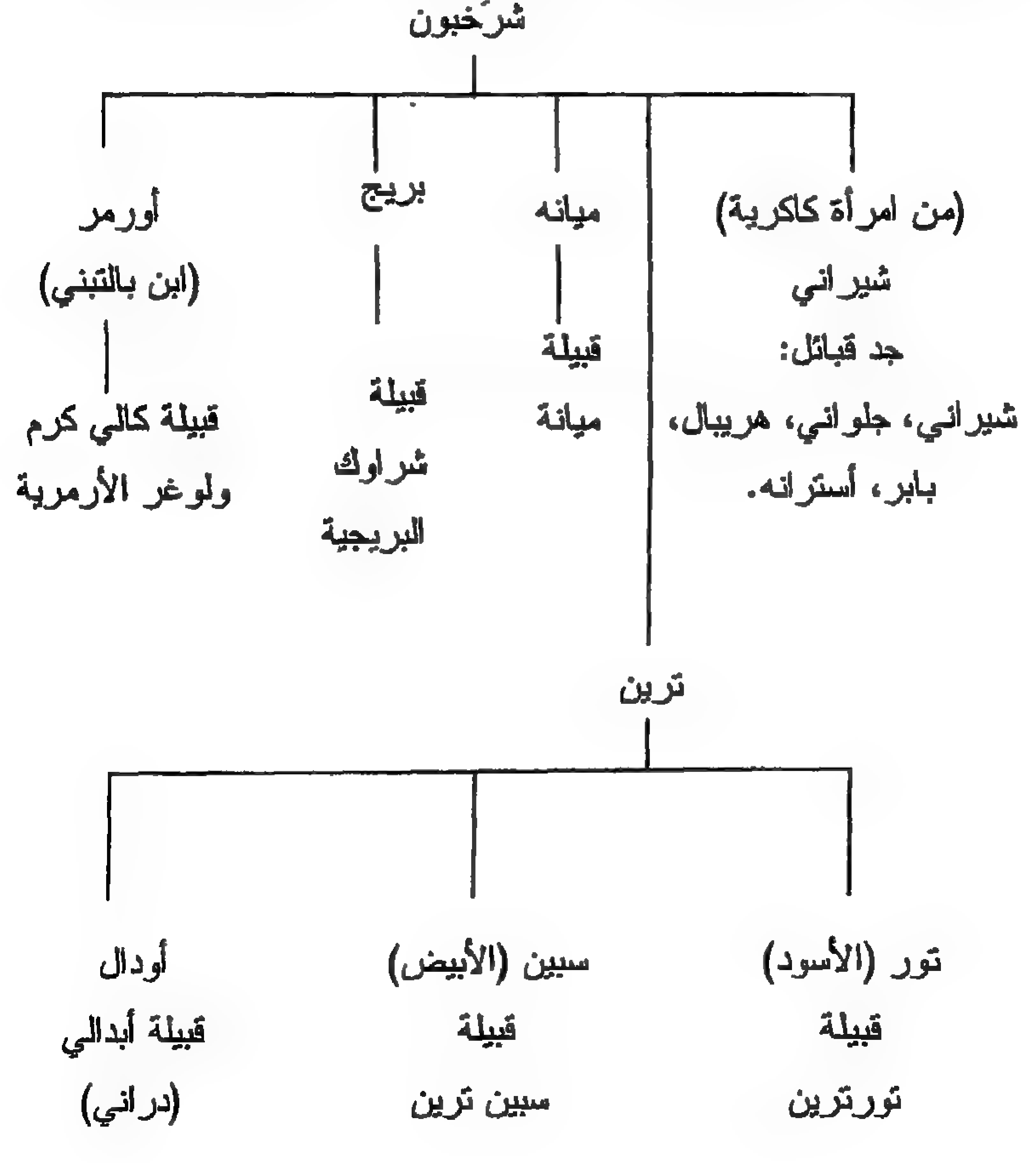
٥ – أما دعواه ذهاب المسيح إلى نصيبين، ومنها إلى أفغان، ثم فنجاب، فكشمير، فسوف نناقشها بالتفصيل فيما بعد.

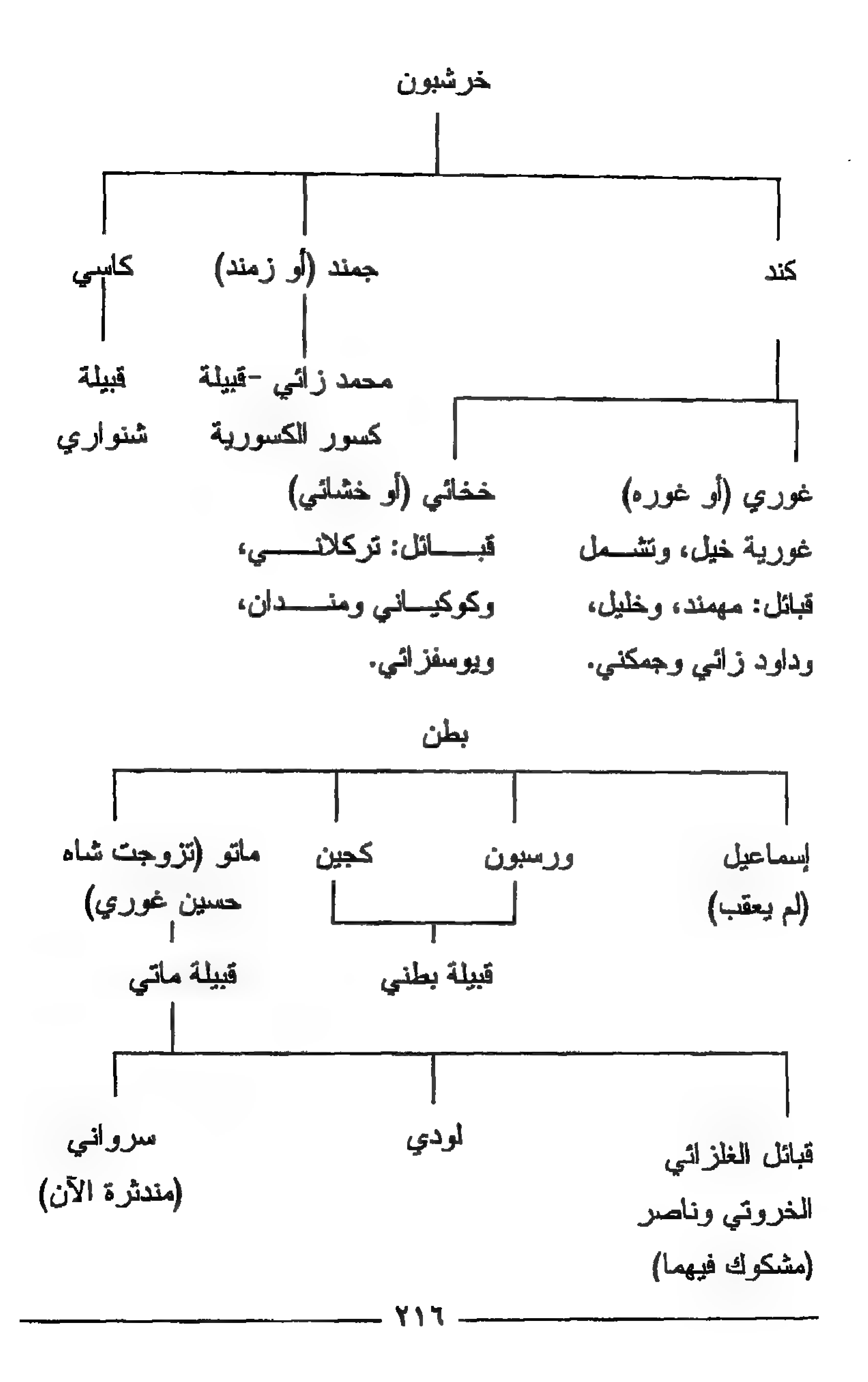
٦– أما قوله بأن أهل فنجاب وكشمير من نسل بني إسرائيل، فهذه رواية مشكوك فيها، وهي من الروايات التي انتشرت في أفغانستان في القرن السابع عشر.

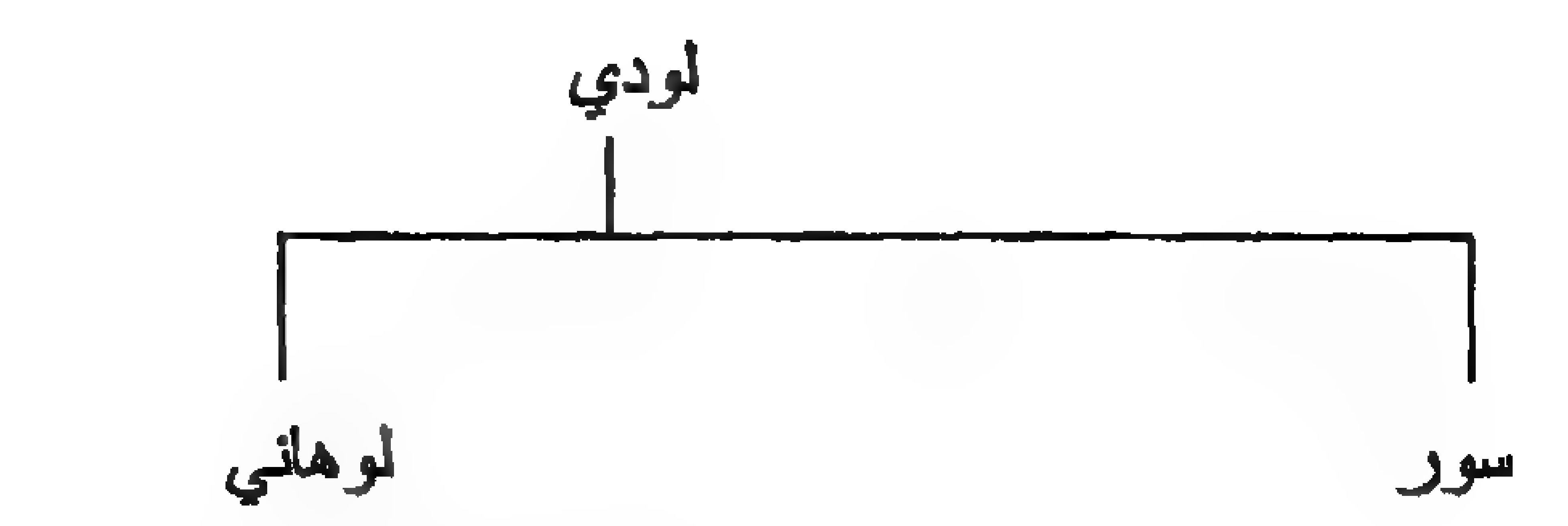
٧ – أما قوله بأنه ليس من المستبعد أن المسيح تزوج هناك، وأن من الأفغان قبيلة تعرف باسم "عيسى خيل" فهو ادعاء كاذب، وفيما يلي نثبت ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية[٢]، ومنه نرى أنه لا توجد قبيلة باسم عيسى خيل".

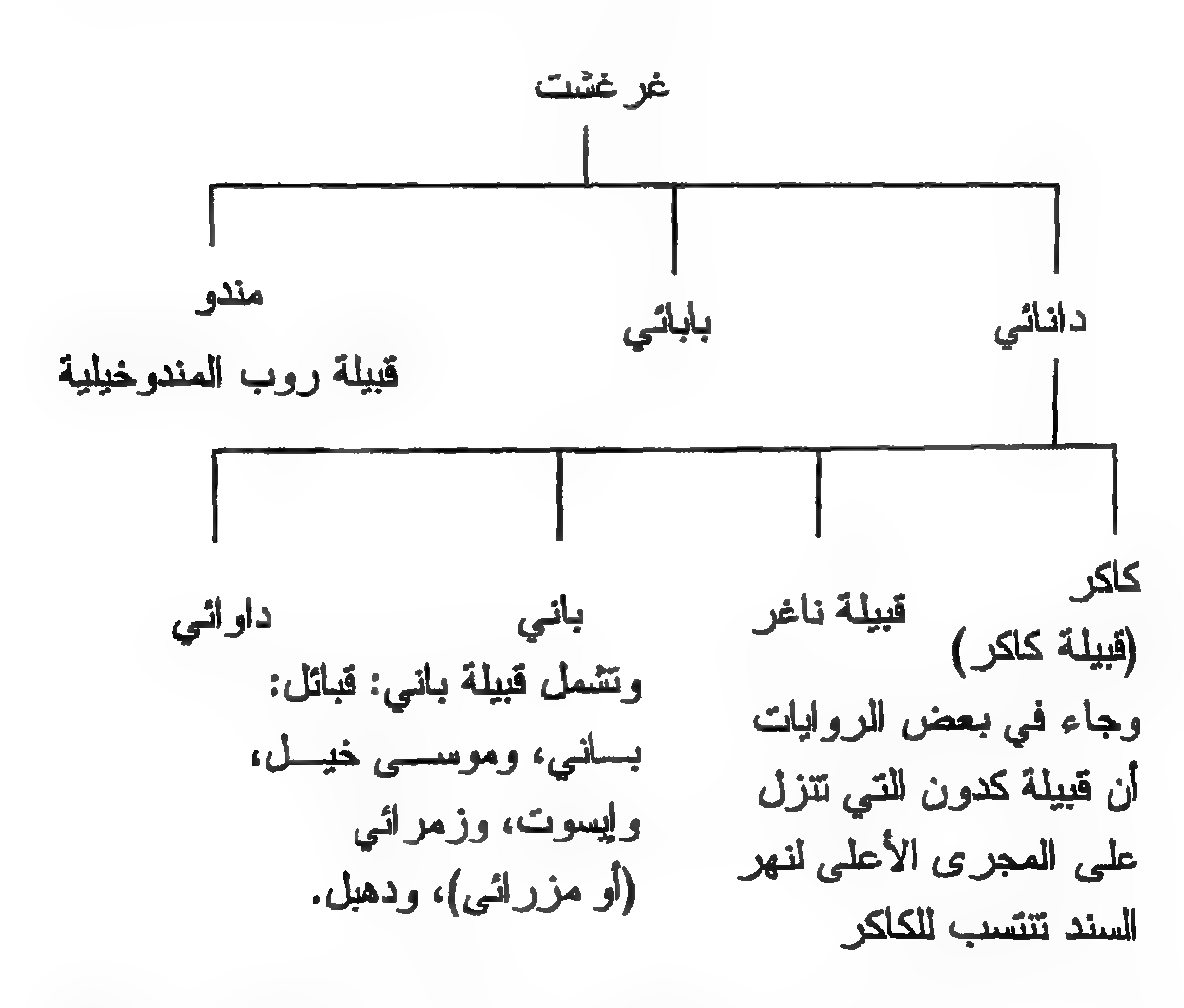
"أورد أبو الفضل في كتابه أكبر نامه، المعالم الرئيسية للروايات القبلية عن الأفغان، وثمة روايات تختلف اختلافاً طفيفاً وردت في كتاب تذكرة الأولياء لسليمان ماكو.. ويُعد كتاب مخزن أفغاني لنعمت الله المصدر الرئيسي الذي استقينا منه الروايات القبلية (وقد تم عام ١٦١٣م). ولا يمكن الاعتماد على الأنساب التي وردت في هذا الكتاب، ونقلت بعد ذلك في مصنفات أخرى مثل كتاب حيات أفغاني، باعتبارها مصادر تاريخية، ولكنها دليل قيم على الروايات التي كانت

حية بين الأفغان في القرن السابع عشر، وإذا أخذنا بهذه الروايات، فإن الجد المشترك لمعظم القبائل الأفغانية هو قيس عبد الرشيد، الذي دخل في الإسلام على يد خالد وهو من نسل أفغان، حفيد شاول، وأنجب قيس ثلاثة سَرْبن وبَطنَ وغُرغُشت. وأنجب سربن هو الآخر ابنين، شرَخبون، وخرشبون. ويمكن إيضاح فروغ النسب الأخرى في الجداول الآتية:

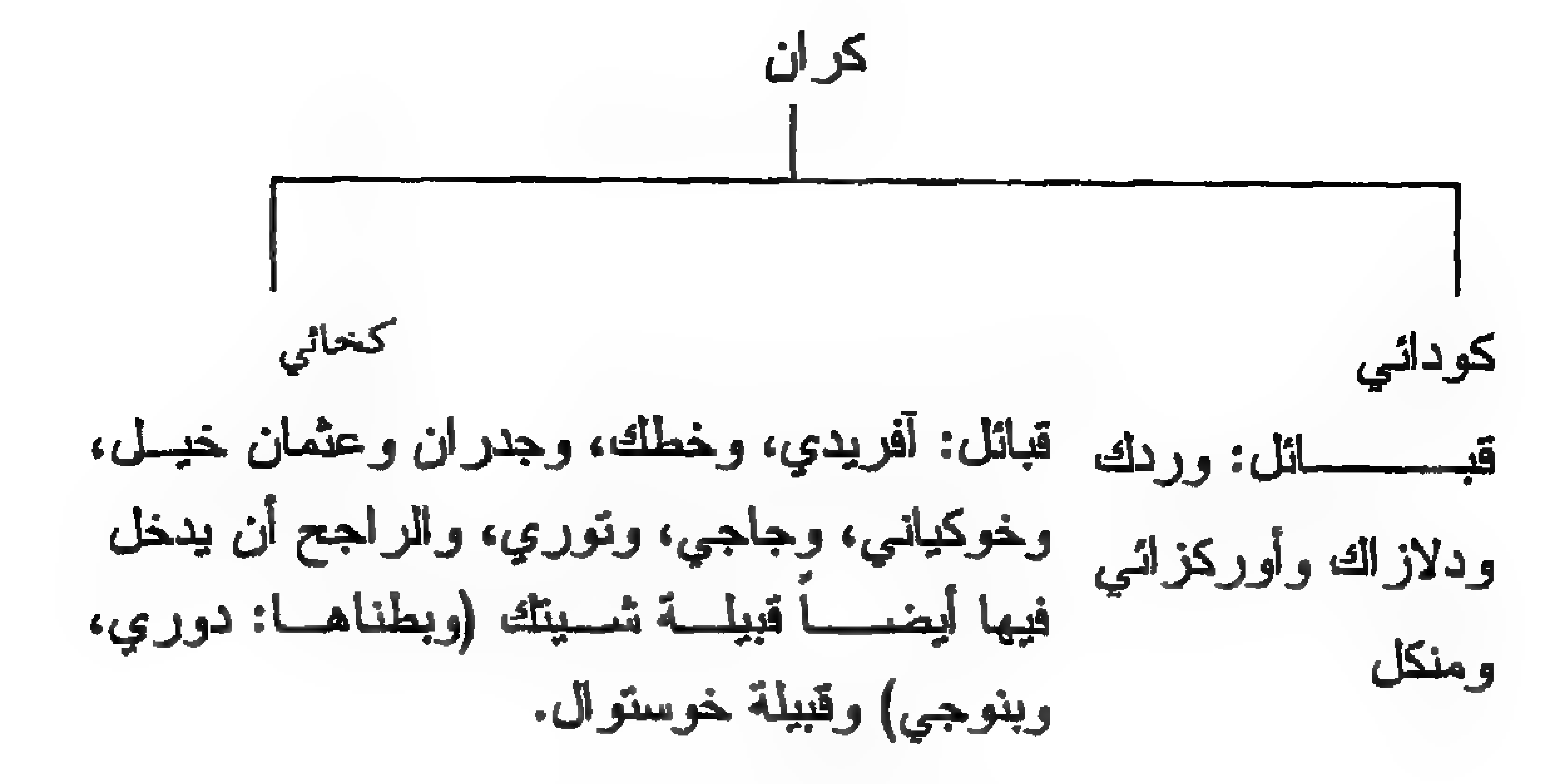



خرشبون
كاسي
جمند (أو زمند)
كند
قبيلة
شنواري
محمد زائي -قبيلة
كسور الكسورية
خخائي (أو خشائي)
قبـــائل: تركلانـــــي،
وكوكيـــاني ومنـــــدان،
ويوسفزائي.
غوري (أو غوره)
غورية خيل، وتشـــمل
قبائل: مهمند، وخليل،
وداود زائي وجمكني.
بطن
ماتو (تزوجت شاه
حسين غوري)
كجين
ورسبون
إسماعيل
(لم يعقب)
قبيلة ماتي
قبيلة بطني
سرواني
(مندثرة الآن)
لودي
قبائل الغلزائي
الخروتي وناصر
(مشكوك فيهما)





ويقال إن معظم ما تبقى من القبائل ينحدر من كرات (أوكــرلان) وأصلــه مشكوك فيه.



هذا ما جاء عن القبائل، ورغم أن هذه روايات لا يمكن أن نثق فيها، إلا أنه لم يأت فيها أي ذكر لـ "عيسى خيل" أو قبيلة عيسى.

والصحيح كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية:[٣]

"إن البقاع التي تعرف الآن بأفغانستان، كانت تسكنها قبائل إيرانية، أثناء الهجرات الآرية في الألف الأول، والألف الثاني قبل الميلاد، وقد أدخلها كورش في الإمبراطورية الأخمينية، وتنازعها بعد غزوات الإسكندر أهل بلخ والفرثيون.

وفي القرن الأول قبل الميلاد حدث تدفق جديد للقبائل الإيرانية تحت زعامة قبيلة يوه تشي الكوشية، وقد بلغت الإمبراطورية الكوشية أوج عزها في القرن الأول الميلادي.

وينقسم سكان أفغانستان إلى المجموعات الرئيسية التالية:

١ – الأفغان.

٢ – التاجيك والإيرانيين.

٣ – المغول الترك.

٤ – سكان هندوكش الهنديين والآريين.

وهناك فارق كبير من ناحية السلالة بين القبائل الأفغانية.. بيد أنه يمكن أن يقال -بصفة عامة- أن الأفغان ينتمون إلى الفرع الإيراني الأفغاني من جنس البحر المتوسط ذي الرأس المستطيل[٣]

المراجع:

١ – المسيح الناصري في الهند. ص٧٥-٧٩.

٢ – دائرة المعارف الإسلامية. مجلد٤. طبعة دار الشعب. ص٧-١٠.

٣ – المرجع السابق. ص٣، ٢١، ٢٦.

الفصل الثاني

في شهادة الكتب البوذية والتاريخية

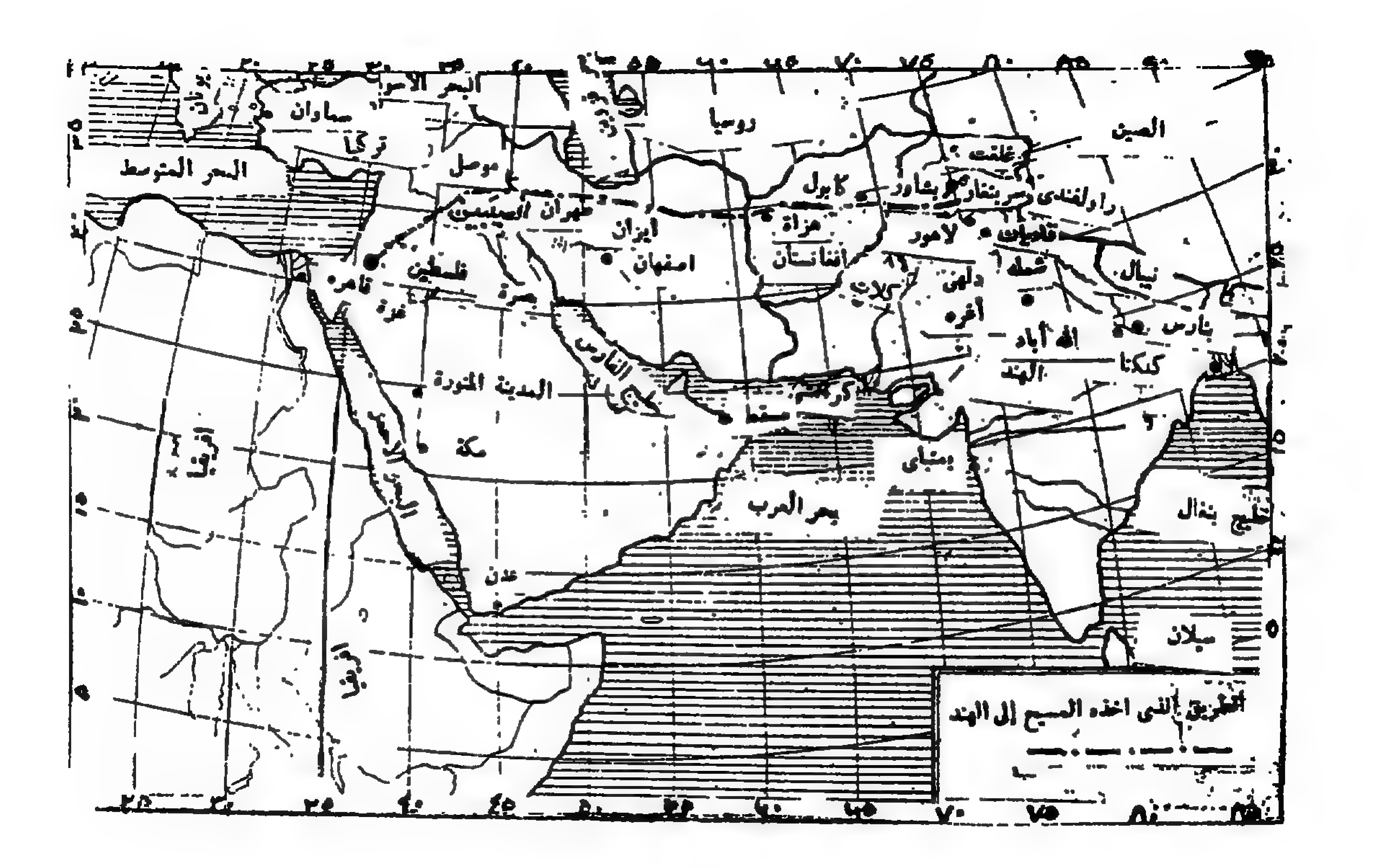
يقول المؤلف "إننا وجدنا في الكتب البوذية شهادات متنوعة يتوضح من النظر المجمل فيها بصورة قاطعة، أن حضرة عيسى كان قد جاء إلى بلاد فنجاب وكشمير وغيرها.

أولاً: إن الألقاب التي لُقب بها بوذا تشبه تماماً الألقاب التي لُقب بها المسيح الناصري. وكذلك الأحوال التي تعرض لها بوذا تماثل أحوال حياة المسيح، والمراد بالبوذية هنا الدين الذي يوجد في المدن الواقعة على تخوم التبت"(1)

التعليق:

نحن هنا أمام احتمالين لهذا التشابه:

١ - الاحتمال الأول: إن المسيح ذهب إلى الهند في الفترة من١٢-٣٠ من عمره، وأن التشابه نُقل من البوذية إلى المسيحية، وهذا ما ينفيه المؤلف نفياً تاماً قائلاً: "أما الأريون فهم يزعمون أن المسيح اختلق من عنده إنجيلاً بعد أن سافر إلى الهند، ووقف على مبادئ البوذية وقصصها ورجع إلى وطنه مزوداً بهذه المعلومات، وأنه استرق من تعاليم البوذية الأخلاقية، وبعد ذلك سجلها في إنجيله، وأن المسيح انتحل بعض الألقاب التي عزاها بوذا لنفسه، وكما أن بوذا وصف نفسه بالنور والعلم وتلقب بألقاب أخرى، كذلك المسيح وصف نفسه بها فيما بعد، حتى أنه جعل قصة ابتلاء بوذا بالشيطان، قصته هو وأن القول بأن المسيح سافر إلى الهند قبل حادث الصلب لزعم باطل ليس إلا ولم يكن ثمة حاجة إلى ذلك السفر"(2).


الطريق الذي اخذه المسيح إلى الهند
الصين
روسيا
تركيا
ساوان
البحر الأسود
البحر المتوسط
موصل
طهران
ايران
اصفهان
كابول
هراة
افغانستان
بشاور
لاهور
فلسطين
قاهرة
غزة
بصرة
دلهي
اغره
نيبال
بتارس
اله آباد
كلكتا
الهند
المدينة المنورة
مكة
عدن
بحر العرب
بمباي
خليج بنغال
سيلان

٢ – الاحتمال الثاني: أن المسيح ذهب إلى الهند بعد الصليب، وهذا ما يراه المؤلف: "إن الحاجة الملحة على السفر بدت لما كفر يهود بلاد الشام بالمسيح، وأنهم صلبوه وقتلوه حسب ظنهم، ولكن حكمة الله عز وجل اقتضت أن تنقذه من الموت الصليبي... فعندئذ قصد المسيح هذه البلاد بعد أن تبين أن الطوائف الضالة من بني إسرائيل كانوا قد هاجروا إليها، وبما أن طائفة كبيرة من هؤلاء اليهود تدينوا بالبوذية فلذا كان لا بد أن يهتم ذلك النبي الصادق بأتباع بوذا" (٣).

ويذكر المؤلف سبب المماثلة بين المسيح وبوذا قائلاً: "هذه الألقاب من النور وغيرها التي تحققت نسبتها إلى المسيح، وكذلك قصة ابتلاء بوذا بالشيطان، كل هذه الأمور إنما دونت في الكتب البوذية، بعد أن جاء المسيح إلى هذه البلاد.. وأن السبب الوحيد لهذه المماثلة المدهشة أن المسيح جاء إلى الهند وأقام بين ظهراني البوذيين زمناً طويلاً، فوقفوا على تاريخ حياته وتعليمه وقوفاً شاملاً، فكان لا بد أن ينتحلوا قسماً كبيراً من هذه التعاليم والعادات، لأن المسيح كان عندهم موضع احترام حتى جعلوه مثيل بوذاء، ولذلك فأنهم سجلوا أوضاعه وحياته في كتبهم، وعزوها إلى بوذا.. وقصارى القول: إن الكتب البوذية التي أُلفت في عهد المسيح تتضمن التعاليم والأمثال الإنجيلية الأخلاقية، فإذا قارنا كلا الأمرين عرفنا بلا شك أن المسيح الناصري قد جاء إلى هذه البلاد"(٤).

التعليق :-

١ – إن كرازة المسيح على الأرض لم تتجاوز ثلاث سنوات ونصف، وإن هذه المدة لم تكن كافية للتبشير وإيصال الرسالة إلى كل العالم، وأي داعية أو مصلح غير ممكن أن يصل بنفسه برسالته إلى جميع الناس، وفي جميع البلاد، ولذلك قد اختار المسيح تلاميذه الاثني عشر ورسله السبعين لينشروا

رسالته في كل العالم، ويروي سقراط في كتابه (تـــاريخ الكنيســـة ١٩/١) إن القديس برثلماوس (أحد تلاميذ المسيح) قد ذهب إلى الهند وترك عندهم إنجيـــل متى، وقد أحضر هذا الإنجيل القديس بنتينوس* رئيس المدرسة اللاهوتية فـــي إسكندرية بعد أن قام برحلته الموفقة إلى بلاد الهند في القرن الثاني، على مـــا يقول المؤرخ يوسابيوس في كتابه "تاريخ الكنيسة ١٠/٥"[٥].

وهناك بعض الكتابات التي تتحدث عن الرســـول تومـــا وذهابـــه للتبشير في الهند [٦].

٢ – إن المسيحية شقت طريقها إلى جنوب الهند، منذ عصور ســحيقة في القدم، وأنه من المؤكد أن ذلك تم قبل القرن الثاني للميلاد. ففي مؤلـــف نسطوري قديم، يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثالث للميـــلاد، ويُعـــرف باسم "يوميات سرت" يذكر لنا المؤلف أن داود أسقف العرب قرر أن يترك كرسي البصرة ليتفرغ للتبشير في بلاد فارس، وهناك أكثر من شاهد غـــير ذلك على هذه الحقيقة، كما أن الاضطهاد المر الذي أثاره شـــابور الثـــاني (٣٠٩-٣٧٩) على المسيحيين النساطرة القاطنين في بلاد فارس قد عمـــل على تشتيت الجماعات الكثيرة وهجرتهم من هناك إلى جنوب الهند.

---

* "تولى بنتينوس القديس والفيلسوف رئاسة مدرسة الإسكندرية حوالي عام ١٨١م، وكان قـــد اعتنق المسيحية على يد أثينا غوراس وخلفه كرئيس لمدرسة الأسكندرية. روى المؤرخون قصـــة ذهابه للهند هكذا: إن تجاراً من الهند استمعوا إليه فأعجبوا به، واعتنقوا المسيحية بغيرة شـــديدة، فالتقوا بالبابا الاسكندري وطلبوا منه أن يسمح لهم بارسال بنتينوس إلى الهند للكرازة بين أهلـهم.. وعند رجوعه من الهند قيل أنه كرز في أثيوبيا وبلاد العرب واليمن. ويـــروي القديـــس جـــيروم ويوسابيوس(١٠: ٣) أن بنتينوس أحضر معه نسخة من إنجيل متى بخط يد الإنجيلي، كـــان قـــد أحضرها القديس برثلماوس معه إلى الهند" سلسلة آباء الكنيسة. الكتاب الأول جـــ ١. ١٩٩٢. الناشر دار فيلوباترون. ص ١١٧-١١٨.

وانظر دائرة المعارف الكتابية. جـــ ٢. ص ١٠٨.

ثم جاءت موجتان كبيرتان من هجرة النساطرة في القرن الثامن بقيادة الأسقف توما وجماعة من رفاقه من أرض العراق (٧٧٤م). وأيضاً في القرن التاسع بزعامة مار صابور. وقد وهبت سلطات الهند هاتين الجماعتين حقوقاً ومقاماً تشير إلى علوهما في نظام الطبقات.. وهناك قام النساطرة بالتبشير بين الهنود وإقامة الكنائس والصلبان في الميادين التي ما يزال بعضها قائماً حتى الآن" (٧).

ويرى د. عزت ذكي أن: "مجهودات النساطرة في وسط آسيا وفي الصين تضيق الصفحات عن استيعابها، وإذا كان قد قدر للقائد المتعصب تيمور لنك أن يذبح الألوف المؤلفة من المسيحيين (يقال إنه صنع هرماً في أصفهان من جماجم ٧٠٠٠٠ قتيلاً). فإننا نقول إنه لم يستطع أن يمحق المسيحية تماماً من هناك. وما زال في تلك المناطق أكثر من شاهد على ذلك. حتى في التبت نجد في ممارسات اللامية ما يشير إلى أثر المسيحية الأشورية" (٨).

إذن المسيحية قد شقت طريقها إلى الهند عن طريق تلاميذ أو أتباع المسيح، وكون أن المسيحية قد انتشرت هناك فهذا ليس دليلاً على ذهاب المسيح إليها.

٣ - إن وجود مشابهات بين ألقاب المسيح وبوذا وأحوالهما ليست أيضاً دليلاً على ذهاب المسيح إلى هناك، فهذه قد وجدت في الكتابات البوذية المتأخرة التي كُتبت بعد انتشار المسيحية هناك، وقد أثرت المسيحية فيهم وأخذوا ألقاب المسيح وأضافوها إلى بوذا (٩).

٤ - إذا كان المسيح قد ذهب إلى هناك، كنا نجد هذا مذكوراً في:

أ - كتب اليهود -لأن المسيح واحد منهم- مثل التوراة والتلمود.

ب - كتب الهنود، كانت بلا شك سوف تصرح بهذا بكل وضوح.

ج - كتب التاريخ المسيحي، وأقوال آباء الكنيسة.

وحيث أنه لم يأت أي ذكر لهذا لا في كتب اليهود ولا الهنود ولا التاريخ المسيحي، فيكون هذا ادعاء بلا دليل.(١٠)

المراجع:

١ - المسيح الناصري في الهند. ص٨١

ولقد سبق لنا دراسة هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "السنوات المجهولة من حياة المسيح" ص١١-٥٠.

كتب الدكتور عزت ذكي "في التبت نجد في ممارسات اللاميسة ما يشير إلى أثر المسيحية الأشورية، في استخدام الماء المقدس، والبخور، وثياب الكهنوت وغير هذه، حتى أن بعض النقاد المغرضين اختلط عليهم الأمر، فقالوا بأن المسيح ذهب إلى وسط آسيا واستقى تعاليم المسيحية وممارساتها من البوذية، ويكفي أن نقول إن البوذية لم تدخل التبت قبل عام ٦٤٠م". كنائس المشرق. ص١٣٢.

٢ - المسيح الناصري في الهند. ص٨١.

٣ -المسيح الناصري في الهند. ص٨٤.

٤ - المرجع السابق. ص٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٠٤.

٥ - جريدة وطني عدد ١٧٠٨ في ٩٤/٩/١٨. ص٢. مقالة تحت عنوان "القديس برثلماوس الرسول" للأنبا غريغوريوس.

٦ - انظر دائرة المعارف الكتابية. جـ٢. ص ٤٠٥-٤٠٦، جـ١ ص ٣٨-٦٠.

٧ - كنائس المشرق. د. عزت ذكي. ص١٤٤،١٤٥.

٨ - المرجع السابق. ص١٣١.

٩ - لمزيد من التفاصيل حول هذا ارجع إلى "السنوات المجهولة من حياة المسيح" للمؤلف.

١٠ - سوف يقوم المؤلف بإعداد دراسة شاملة للتشابه بين المسيح وبوذا في المستقبل القريب إن شاء الله.

الفصل الثالث:

شهادة الكتب التاريخية التي تثبت ضرورة مجيء المسيح إلى فنجاب وما يجاورها من البلاد

كتب المؤلف:

"لماذا سافر المسيح إلى هذه البلاد بعد نجاته من الصلب، وما الذي حداه إلى تجشم هذا السفر الطويل؟

لا يغربن عنكم أنه كان على غاية من الأهمية للمسيح من ناحية واجبات رسالته أن يسافر إلى فنجاب والبلاد المجاورة لها، لأن عشرة شعوب من بني إسرائيل التي سُميت في الإنجيل بخراف إسرائيل الضالة، كانت قد جاءت إلى هذه البلاد، الأمر الذي لا ينكره أحد من المؤرخين، ولذلك كان لا بد للمسيح الناصري من أن يسافر إلى هذه البلاد، ويبلغ هؤلاء الخراف الضالة رسالة الله بعد أن يفتش عنهم ويجتمع بهم، ولو لم يفعل ذلك لظلت غاية رسالته عقيمة قاصرة، لأنه كان مرسلاً من الله تعالى إلى هؤلاء الخراف الضالة" [1]. ثم يثبت في بقية الفصل بالرجوع إلى كثير من المراجع أن أهالي كشمير والأفغان هم بنو إسرائيل الذي أسرهم "بخت نصر " وأسكنهم في بلاد فارس وهاجروا منها فيما بعد إلى الشرق [2]، ويختم الفصل بهذا القول:

"إن الهدف النهائي الحقيقي لرحلة المسيح الطويلة إلى الهند كان تأدية واجب الدعوة والتبليغ لجميع شعوب إسرائيل الأمر الذي صُرح به في الأناجيل مراراً، فلذلك ليس من المستغرب أن يأتي إلى الهند وكشمير، بل

بالعكس كان من المستغرب جداً لو صعد إلى السماوات بغير أن يقوم بواجبه الأساسي"[٣]

التعليق:

لكي تكون الصورة واضحة سوف نقدم هنا دراسة تاريخية حول:

١ - السبي الآشوري أو كيفية انتقال اليهود إلى هناك.

٢ - مصير اليهود المسبيين.

٣ - النساطرة وهل هم بقايا الأسباط العشرة؟

٤ - دخول وانتشار المسيحية في وسط وشرق آسيا.

(أ) السبي الآشوري

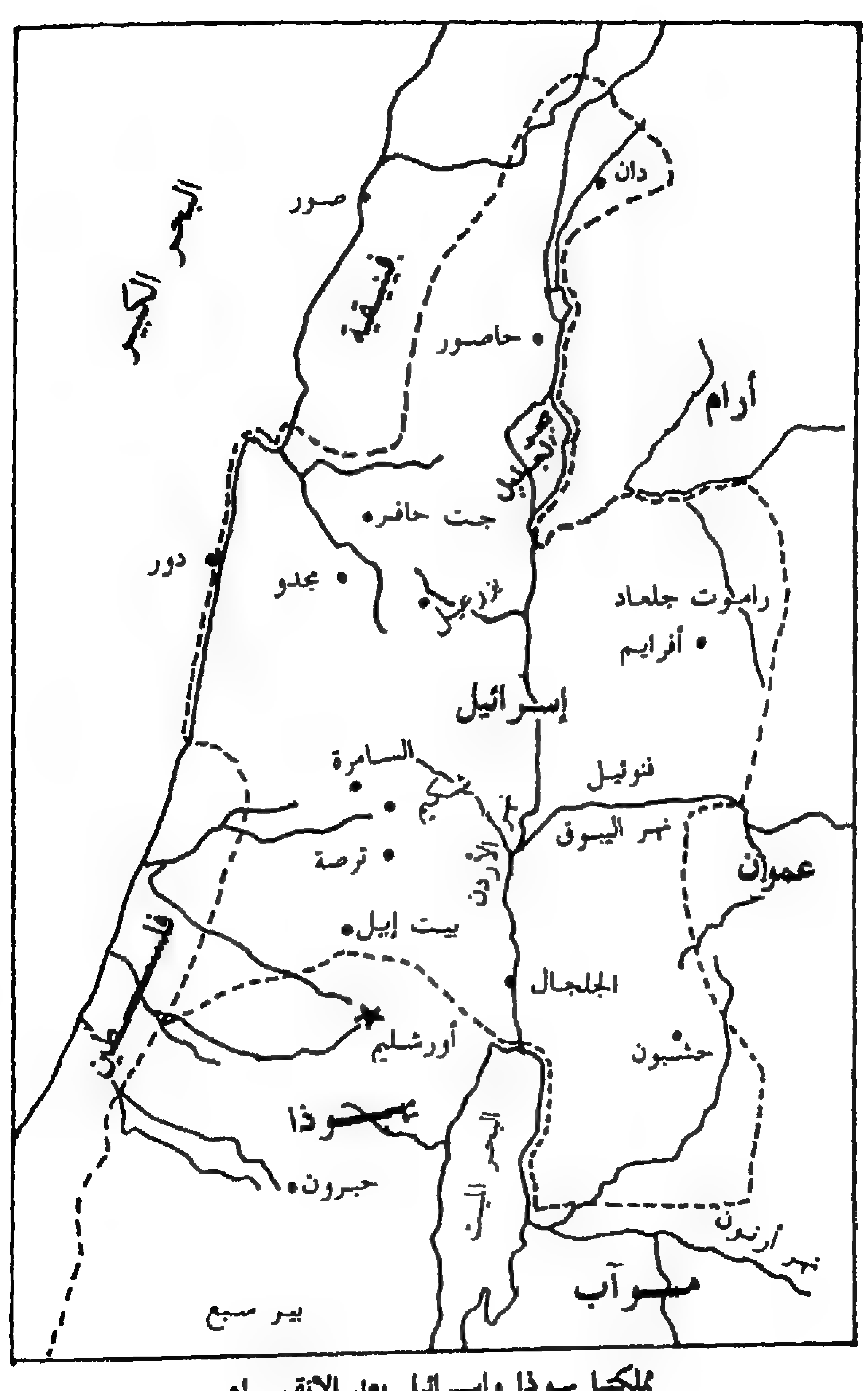
لقد كان شاول أول ملك على اليهودية في الفترة من ١٠٣٥-١٠١٥ ق.م تقريباً، ثم تبعه الملك داود (١٠١٥ -٩٧٥)، ثم الملك سليمان (٩٧٥-٩٣٥)، وبعد موته، انقسمت المملكة إلى قسمين:

أ - المملكة الجنوبية: وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم، ولقد ملك عليها من سنة ٩٣٥-٥٨٦ ق.م عشرون ملك كلهم من عشيرة داود (ما عدا الملك أخزيا بن يهورام إذ كانت أمه بنت عمري ملك إسرائيل).

ب - المملكة الشمالية: وتدعى إسرائيل، وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط، وأول ملك عليها هو يربعام.

وكان هناك صراع مرير بين المملكتين دام أكثر من مائتي عام (٩٣٥-٧٢١) [٤].

ومنذ سنة ٧٣٢ق.م بدأ الغزو الآشوري:



مملكتا يهوذا وإسرائيل بعد الانقسام

"ورأى علماء الآثار تقسيم تاريخ بلاد آشور إلى ثلاثة عهود رئيسية هي:

أ – العهد الآشوري القديم (٣٠٠٠-١٥٩٥ ق.م).

ب – العهد الآشوري الوسيط (١٥٩٥-٩١١ ق.م).

جـ العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م).

ويقسم هذا العهد إلى دورين:

١ – الامبراطورية الآشورية الأولى (٩١١-٨٢٤ ق.م) حكم فيها أربعة ملوك. كان أشهرهم "أشور ناصر بال الثاني" (٨٨٤-٨٥٩ ق.م)، وقد خلفه في الحكم ابنه "شلمناصر الثالث" (٨٥٩-٨٢٤ ق.م).

٢ – الامبراطورية الآشورية الثانية (٦٤٥-٦١٢ ق م) يبدأ هذا العهد بتسلم "تجلات بلاسر الثالث" زمام الحكم سنة ٦٤٥ق.م. وقد استمر حكمه ثماني عشرة سنة، تمكن خلالها من استعادة نفوذ المملكة الآشورية بعد فترة الانتكاس، وحكم خلال فترة الامبراطورية الثاني هذه ستة ملوك من ضمنهم "تجلات بلاسر" [٥]

* الدولة البابلية أو الكلدانية (٦١٢-٥٣٩ ق.م)

وعلى أنقاض الدولة الآشورية قامت الدولة البابلية، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد نبوخذ نصر، والذي دام حكمه ثلاثة وأربعين سنة (٦٠٥-٥٦٢ق. م)، وبعد وفاته سنة ٥٦٢ق.م. خلفه على عرش بابل ملوك ضعفاء حتى وقعت بابل لقمة سائغة بيد كورش الأخميني[٦].

* الغزو الآشوري لمملكة إسرائيل:

لقد كان لقيام الامبراطورية الآشورية التي دامت بين سنة ٩١١-٦١٢ ق.م. أثرها في تغيير وجه الشرق، فقد حكم خلال هذه الفترة خمسة عشر ملكاً بلغت الامبراطورية في عهد بعضهم أوج عظمتها واتساعها بحيث

ضمت جميع أراضي الهلال الخصيب. ومن ضمنها مصر، ولقد لعبت دوراً رئيساً في القضاء على مملكة إسرائيل وسبي سكانها إلى أماكن بعيدة وإحلال سكاناً من غير اليهود محلهم من مختلف أنحاء الامبراطورية، ثم تحطيم مملكة يهوذا.

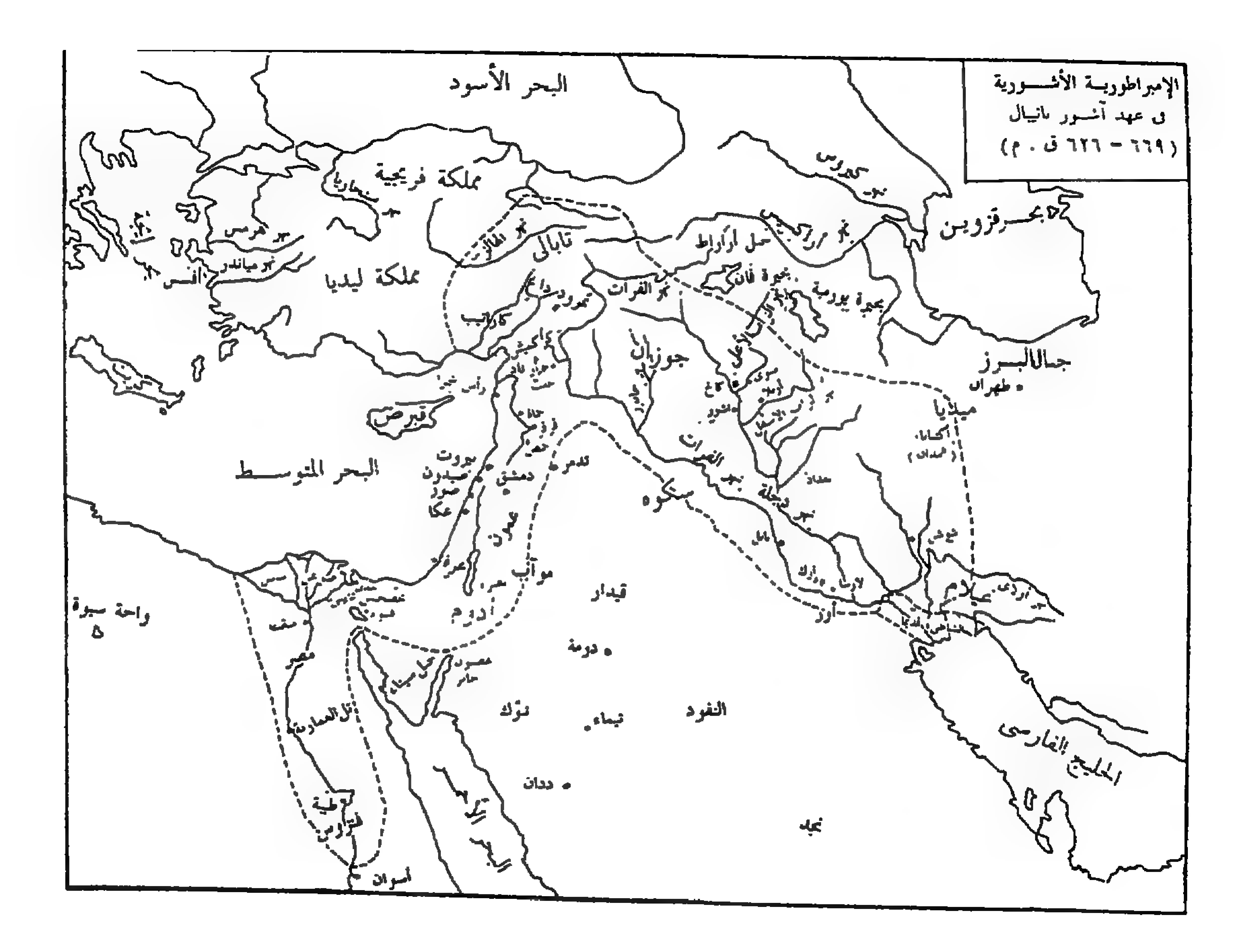
ومن الحملات التي شنها ملوك الامبراطورية الآشورية، حملة "تجلاث بلاسر الثالث" على مملكة آرام، فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق.م. وسبى أهلها وقتل ملكها "رصين".. ثم توجه إلى إسرائيل فاستولى في زمن "فقح" ملك إسرائيل (٧٣٠-٧٢١ق.م)، على كل أرض إسرائيل وسبى اليهود إلى أشور وأحل محلهم سكاناً من أقاليم أخرى، تاركاً لخلف "فقح" الملك هوشع مدينة السامرة، وقد قام تجلاث بلاسر بهذه الحملة استجابة إلى طلب آحاز بن يوثام ملك يهوذا (٧٣٢-٧١٥ ق.م) (٢مل١٥: ٢٩، أخ٥: ٢٦)، ثم جرد شلمنصر الخامس - خلف تجلاث بلاسر- حملة تأديبية على إسرائيل وحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات، وقبل أن يظفر بالنصر النهائي وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ق.م، ولكن القائد الآشوري أتم مهمته باحتلال السامرة في النهاية على عهد سرجون الثاني. وبذلك تم استسلام السامرة والقضاء في النهاية على مملكة إسرائيل نهائياً (٢مل١٧: ٦، ١٨: ٩). وتبعاً للخطة التي سار عليها تجلاث بلاسر الثالث أجلى سرجون الثاني ٢٧٢٨٠ شخصاً من اليهود إلى ناحية حرّان وإلى ضفة الخابور وميديا وأحل محلهم الآراميين من أقليم حماة. وقد عثر بوتا [٧] سنة ١٨٤٣ بين أطلال مدينة "سمالي" (زنجرلي) عاصمة الآراميين[٨]. على مسلة سرجون الثاني نقشت عليها باللغة الآشورية، وبالخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على إسرائيل والتي انتهت بالقضاء عليها وحمل اليهود إلى الأسر.

* الغزو الآشوري لمملكة يهوذا:

"بقيت مملكة يهوذا الصغيرة تنتظر دورها وهي تتأرجح في مهب الرياح بين رحمة حكومة مصر من الغرب ودولة أشور من الشرق، فإذا انحازت للأولى غضبت عليها الثانية، وإذا انضمت إلى الثانية اغتاظت الأولى، ولما انحاز حزقيا ملك يهوذا إلى مصر، غضب سنحاريب الذي خلف سرجون، فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لاخضاعها أو تدميرها والقضاء عليها، فهب حزقيا وأرسل وفداً إلى مصر مستنجداً بملكها، فوعده المصريون بمده بالعون فانتقده النبي إشعياء على اعتماده على ملك مصر بدلا من اعتماده على الرب (إش٣٠: ١-٧، إش٣١: ١)، ولدينا مصدران عن أخبار حملة سنحاريب على مملكة يهوذا، ما جاء في التوراة (٢مل١٨: ١٣-١٧، ١٩: ٢٥-٣٦)، والمصدر الثاني هو النقوش التي اكتشفت على جدران قصره في نينوى، وقد انتصر سنحاريب واحتل مدن يهوذا، وحاصر أورشليم ولم يفك الحصار إلا بعد أن تسلم الجزية من ملك يهوذا"(٩).

* الغزو البابلي لمملكة يهوذا:

"بعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ق.م، اقتسم الماديون والكلدانيون ممتلكاتها، فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق، وتأسست على أثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية التي دام حكمها ٧٣ سنة (٦١٢-٥٣٩ ق.م) والذي يهمنا من حكم هذه الدولة قضاؤها على مملكة يهوذا وسبي اليهود إلى بابل، وقد أنجزت هذه العملية على عهد "نبوخذ نصر الثاني" أعظم ملوك هذه الدولة، والذي حكم البلاد ٤٣ سنة (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) وذلك في حملته الأولى سنة ٥٩٧ ق.م، والثانية في سنة ٥٨٦ ق.م.وتشير التوراة إلى أن الملك "يهوياقيم" ملك يهوذا (٦٠٨-٥٩٧ ق.م) تمرد على "نبوخذ نصر" على الرغم من تحذير النبي إرميا له، وذلك بعد أن أظهر الطاعة والخضوع للعاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات،


الإمبراطورية الأشورية
في عهد آشور بانيبال
(٦٦٩ - ٦٢٦ ق. م)
البحر الأسود
البحر المتوسط
مملكة فريجية
مملكة ليديا
تابال
قبرص
بحر قزوين
جبال البرز
طهران
ميديا
عيلام
الخليج الفارسي
البحر الأحمر
النفود
قيدار
دومة
تيماء
تبوك
ددان
نجد
دمشق
صيدون
صور
عكا
بيروت
تدمر
عمون
مواب
أدوم
نهر الفرات
نهر دجلة
بحيرة وان
بحيرة يورمية
جوزان
مصر
أسوان
واحة سيوة

فشن "نبوخذ نصر" حملة على "يهوياقيم" وحاصر أورشليم، وأثناء هذا الحصار توفى "يهوياقيم" وخلفه ابنه "يهوياكين" الذي اضطر إلى الاستسلام، فسبى "نبوخذ نصر" كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس والصناع، عشرة آلاف شخص. ولم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض، كما سبى "يهوياكين" وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم إلى بابل. وأخذ نبوخذ نصر جميع خزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب، ثم عين "صدقيا" عم "يهوياكين" خلفا ليهوياكين الذي أكد ولاءه للملك الفاتح. وقد تم إسكان المسبيين وعوائلهم في منطقة تدعى "نهر الخابور" قرب نيبور وهذه خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في أماكن بعيدة لمنعهم من التكتل والتجمع وممارسة تقاليدهم وثقافتهم، فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم. وكان هذا هو السبي الأول. ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق.م، وهذا وقع على أثر نقض "صدقيا" لعهده بالولاء لنبوخذ نصر، إذ دخل في حوالي سنة ٥٨٩ ق.م في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من "حوفرا" ملك مصر، الذي كان يطمح في استعادة سيطرة مصر على سورية، وهكذا وضع "صدقيا" مصيره مع مصر وحلفائها على الرغم من محاولة إرميا إبعاده عن هذا الحلف الذي كان موجهاً ضمناً ضد "نبوخذ نصر"، فغضب "نبوخذ نصر" غضباً شديداً، وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية إلى سوريا الشمالية وعسكر في ربلة على نهر العاصي، وكان ذلك سنة ٥٨٧ ق.م، وأرسل نبوخذ نصر من يحاصر أورشليم، إلا أن دخول "حوفرا" ملك مصر إلى فلسطين اضطر البابليين إلى رفع الحصار لمحاربته، فظن اليهود أن النصر حليفهم، ولكن النبي إرميا حذرهم وأبان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لأنه وقتي، فوضعوه في السجن (إرميا٢٨: ٢)، ووقع كما تنبأ إرميا فعلاً، فقد تمكن البابليون من صدّ المصريين وإرجاعهم على أعقابهم، ثم

أعادوا بسط الحصار على أورشليم في الحال، ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وربما الوباء في المدينة، مما اضطر اليهود أن يرضخوا ويستسلموا، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر يوليو سنة ٥٨٦ ق.م، أما صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته، ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا، حيث قبضوا عليه وحملوه إلى "ربلة" حيث كان مقر معسكر الملك نبوخذ نصر، وهناك ذُبح أولاده أمام عينيه ، ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلاً مع الأسرى إلى بابل، وكان النبي دانيال بين المسبيين. وأما أورشليم فخربت ودمرت تدميراً كاملاً، فأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، كل بيوت العظماء، وسُلبت الخزائن ونُقلت إلى بابل. ويقدر عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي ٥٠٠٠٠ شخص.

وهكذا قُضي على مملكتي إسرائيل ويهوذا.. وقد دام حكم إسرائيل ٢٠٩ سنوات، وذلك بين سنة ٩٣١- ٧٢٢ ق.م، ودام حكم يهوذا ٣٤٥ سنة وذلك بين سنة ٩٣١-٥٨٦ ق.م (١٠).

* **ملحوظة حول عدد المسبيين من يهوذا:**

"يبدو شئ من الغموض في أعداد المسبيين. فنقرأ في ارميا ٥٢: ٢٨-٣٠ عن ثلاث دفعات للسبي، ففي سنة ٥٩٧ ق.م سُبي ٣٠٢٣ شخصاً، وفي سنة ٥٨٦ ق.م سبي نبوخذ نصر ٨٣٢ شخصاً، وفي سنة ٥٨١ ق.م سبى نبوزراذان ٧٤٥ شخصاً فيكون جملة المسبيين ٤٦٠٠ شخصاً (إرميا ٥٢: ٣٠)، ونجد في ٢ مل٢٤: ١٥-١٦ أن نبوخذ نصر قد سبى ٨٠٠٠ شخصاً.

ويرى د. الخضري: أن العدد الذي اتفقت عليه الأغلبية هو حوالي ٢٢٠٠٠ شخصاً غير النساء والأولاد. (١١).

ويذكر د. جمال حمدان: أن عدد اليهود في ذلك الوقت بلغ زهاء ثلاثة أرباع المليون، وأن نبوخذ نصر سبى أغلبهم(١٢).

ويقدر د. جورج آدم سيمث[١٣] أن أكبر رقم محتمل هو ٦٢٠٠٠- ٧٠٠٠٠ من الرجال والنساء أي أقل من نصف السكان[١٤].

* مصير اليهود المسبيين:

(١) المسبيون من يهوذا:

"نعلم شيئا عن أحوال المسبيين الذين نقلهم نبوخذ نصر إلى بابل، فأقاموا على ضفاف أنهارها، من نبوات دانيال ونبوات حزقيال ومزامير السبي... والاكتشافات التي أسفر عنها التنقيب في نيبور تلقي أمامنا ضوءا قويا على الحالة الاجتماعية للمسبيين. وهناك ألواح بالخط المسماري -محفوظة الآن في المتحف العثماني باسطنبول- تعود إلى أيام ارتحشستا الأول وداريوس الثاني (٤٦٤-٤٠٥ق.م). ويستنتج هلبرخت، في كتابه (البعثة البابلية. مجلد ٩. ص١٣ وما بعدها) من فحص هذه الألواح أن عدداً كبيراً من المسبيين اليهود الذين جاء بهم نبوخذ نصر بعد تدمير أورشليم قد استقروا في نيبور وما حولها، وهناك أدلة كثيرة على هذه الحقيقة.

العودة من السبي بتصريح كورش سنة ٥٣٨ ق.م

تحققت آمال المسبيين باستيلاء كورش ملك فارس على بابل والقضاء على المملكة البابلية[١٥]. ففي السنة الأولى لاستيلائه على بابل أصدر مرسوماً (٢أخ٣٦: ٢٢-٢٣، عزرا ١: ١-٤) يسمح فيه لليهود بالعودة إلى بلادهم، وإعادة بناء الهيكل، ولهذا الغرض أمر بأن تعود إليهم آنية الهيكل التي كان قد أخذها نبوخذ نصر، كما أمر الإسرائيليين الذين يرغبون في البقاء في بابل أن يسهموا في إعادة بناء الهيكل". وكان على رأس العائدين شيصر- الذي يحتمل أن يكون زربابل- وكذلك رئيس الكهنة يشوع وكان حفيداً لرئيس الكهنة سرايا الذي قتله نبوخذ نصر. وعاد في رفقتهم عدد قليل من المسبيين يبلغ ٤٢٣٦٠ من الرجال والنساء والأطفال، وعدد من الخدم من الذكور والإناث، وبخاصة من أسباط يهوذا وبنيامين ولاوي. وفي سنة ٤٥٨ ق. م في السنة

السابعة لارتحشستا جاء عزرا الكاتب من بابل إلى أورشليم ومعه مجموعة جديدة من نحو ١٥٠٠ من الرجال ومعهم النساء والأطفال.

- أما تاريخ اليهود في العقود الأخيرة من الفرس فلا نعرف عنه الكثير، فقد قاسى اليهود كثيراً في عهد ارتحشستا الثالث، عندما اشتركوا في تمرد مع الفينيقيين والقبارصة، وقد نفى الكثيرين من اليهود -في ذلك الوقت- إلى هرنيكا على الساحل الجنوبي لبحر قزوين"[١٦]

(٢) المسبيون من إسرائيل:

كتبت د. ايفار ليستر: "لم تدم إسرائيل أكثر من مائتي عام، وانتهى تاريخها في سنة ٧٢١ ق.م، حين أوقع الملك سرجون الثاني الآشوري الهزيمة بالسامرة ونفي إلى آسيا الوسطى ٢٧ ألف نسمة من الأسباط العشرة التي اختفت من على مسرح الأحداث التاريخية، ولم نسمع قط عما حل بها، ولازال مصيرهم من بين الألغاز التاريخية التي لم تحل، ومن الأمور التي يتوق إليها المؤرخون، في الواقع، هي إعادة اكتشاف الأسباط العشرة المفقودة، ولما عُثر في الصين على أحجار عليها كتابة يهودية، ظن بعض العلماء أن تلك الأسباط قد ألقت عصا الترحال هناك، كما زعم البعض بأنهم عثروا على آثار لهم في الهند، بينما ينظر غيرهم من العلماء إلى الأنجلوساكسون على أنهم منحدرون من سلالة تلك الأسباط المنفية.. وأما المصير النهائي للأسباط العشرة المفقودة فنكاد نعثر عليه في كل بقعة من بقاع العالم"[١٧].

فهل حقاً أن الأسباط العشرة قد اختفت من على مسرح الأحداث التاريخية وصارت لغزاً؟

يرى د. فيليب حتي: "إن سرجون قد سبى ٢٧٢٨٠ شخصاً إلى ميديا (٢مل١٧: ٦)، ولم يشكل المسبيون سوى قسم صغير من سكان المملكة الشمالية غربي الأردن، ويقدر عددهم بأربعمائة ألف نفس، وهكذا فإن الأسباط العشرة المفقودة، لم تفقد قط والذين أصبحوا مسبيين اندمجوا

بغيرهم. وقد أظهر الرحالة بنيامين من بلدة توديلا في القرن الثاني عشر مقداراً أكبر من الفهم التاريخي حين كتب أن الطائفة اليهودية في نيسابور في شرقي إيران ينحدر أفرادها من المسبيين الأصليين"(١٨).

يرى د. جمال حمدان: أنه بعد الرجوع من السبي، الأغلبية منهم بقيت في العراق حيث كونت مستعمرات مهمة نمت حتى بلغت في عهد المسيح مليوناً... وقد أمتد انتشار اليهود في العراق شمالاً إلى كردستان، غير أن يهود العراق -مع سكانه- تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولي، حيث هوى عددهم إلى بضعة آلاف فقط، على أن يهود العراق كانوا نواة الشتات شرقاً، فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة في عهد كسرى، ولكن هجرتهم الكبرى كانت في القرن الثاني عشر الميلادي، وبالمثل كان يهود هيرات في أفغانستان ويهود بخاري وسمرقند في التركستان شظية من نواة فارس.

كذلك يقال إن يهود القوقاز -الذين يردون مستعمراتهم المبعثرة في تضاريس جبالها هناك إلى العصر الأشوري، ولو أن أول ذكر لها تاريخياً يرجع إلى القرن الخامس الميلادي -يقال إنهم أتوا من فارس ونواتها القديمة، ومن هذه المراكز الأولية والثانوية يمكن أن نتتبع انتشار اليهود حتى نهاياته ومستعمراته القصوى في الشرق الأقصى بالهند والصين" (١٩)

"وليس من المستبعد أن تهاجر قبائل من العبرانيين إلى أماكن بعيدة عبر نهر الفرات سعياً وراء الرزق أو هرباً من الاضطهاد، ويؤكد لنا أحد الرحالة الباحثين، في لقاء له مع اليهود ذوي البشرة السمراء، أنه استفسر منهم عن مصير إخوانهم من البقية من الأسباط العشرة، فكان جوابهم إنهم هناك في أرض الكلدانيين فيما بين النهر. ولكن البعض هاجر إلى كوشين وأجابور في الهند، وإلى أماكن أكثر بعداً في الشرق الأقصى، وتكاثر واستقر به المقام، وليس من المستبعد أن نرجع بأصل الشعب الأفغاني

أيضا إلى مثل هذه القبائل المهاجرة، التي تكاثرت وتزايدت وكونت هذا الشعب المميز في شمال الهند". (٢٠)

ومما لا شك فيه أن اليهود في أورشليم والمسيحيون الأولون كانوا يعرفون أن في بابل بقية من اليهود المسبيين.

"إننا لو رجعنا إلى التقرير الذي كتبه لوقا الطبيب في سفر الأعمال عن المجتمعين في يوم الخمسين لوجدناه يذكر أتقياء من كل أمة على وجه الأرض ومن ضمنهم: الماديون والعيلاميون والساكنون بين النهرين (أع٢: ٩)، هؤلاء كانوا في العيد في أورشليم وأتيح لهم أن يشاهدوا المعجزات التي اقترنت بحلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين، فإذا بهم يسمعونهم ينادون ببشارة الإنجيل، بنفس اللغة التي ولدوا فيها... ولعل أوضح دليل غير هذا، نجده ضمن كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس، وفيها يذكر شيئا عن الملك أغريباس فبعد مرور سنوات أربع على محاكمة بولس أمامه، نقرأ عنه هناك، أنه في خطاب تقدم به إلى اليهود، محاولا تسكين ثائرتهم ضد الرومان، يقول لهم: "وهل تعتقدون إن إخوتكم الساكنين عبر الفرات في "أديبنه" سوف يهبون لمعونتكم؟ هذا مع العلم أنه قد مر على سبي الأسباط العشرة إلى أرض أشور حتى ذلك الحين ما يزيد على سبعة قرون كاملة، ومع ذلك نرى الملك أغريباس يتحدث عن وجودهم كحقيقة واقعة، وكشعب له قوته وكيانه في القرن الأول المسيحي" (٢١)

وعندما وصلت إليهم البشارة المسيحية اعتنق معظمهم الديانة المسيحية.

"لقد سُئل أحد أحبار اليهود المنتشرين حول جبال "أديبنة" (والعهدة في صدق الرواية على هنرى هول الذي كان يرأس في وقت ما الإرسالية الإنجليزية إلى النساطرة في بلاد فارس) عن رأيه في النساطرة وكان جوابه: إنهم إخوتنا، أبناء جنسنا، لكننا لا نريد الاعتراف بهم، لانحرافهم عن الحق الموسوي منذ عصور سحيقة في القدم" (٢٢)

ويؤكد د. أحمد سوسة ذلك بقوله:"مما تجدر الإشارة إليه أن إمارة واسعة تدعى إمارة حدياب (Adiabene) وبالعربية "حزة" ازدهرت في القرن الأول بعد الميلاد في نفس منطقة كردستان التي نقل إليها أسباط مملكة إسرائيل المسببين، وهي من ضمن أراضي أشور القديمة التي تقع شرقي نهر دجلة في منطقة كردستان، وتمتد بين نهر دجلة وأذربيجان ثم توسعت لتشمل بلدة نصيبين غرباً، وكان ملك هذه الإمارة المدعو (ايزاط الأول) إسرائيلياً كما كانت الملكة الأم المدعوة (هيلانة) إسرائيلية أيضاً. أما عاصمة الإمارة فكانت مدينة أربيل[٢٣]. وقد اعتلى (ايزاط) الإمارة سنة ٣٦م.

وامتد حكمه حتى توفى سنة ٦٠م، فخلفه أخوه (مولوباس الثاني) وقد دام حكم هذه الأمارة أكثر من ٧٥ سنة عندما غزاها ترجان أمبراطور روما سنة ١١٥ أو ١١٦م... وقد التزمت هذه العائلة الملكية الإسرائيلية بولائها للإسرائيليين في أورشليم مما يدل على أنه منذ القديم اتصال بين الأسباط العشرة في حدياب وبين الإسرائيليين في أورشليم... ويقول د. جرانت: إن عدد النساطرة في منطقة حدياب التي كانت تحت حكم ملك يهودي خلال القرن الأول للميلاد يبلغ مائة ألف نسمة. وقد كان أجداد هؤلاء الإسرائيليين من الأسباط العشرة قبل تنصرهم في أعقاب ظهور المسيح" [٢٤]

* **الأسباط العشرة المفقودين والمسيحيون النساطرة في كردستان:**

يرى د. أحمد سوسة: "كانت سياسة الآشوريين أن يبعدوا السبايا إلى عدة أماكن نائية، منعزلة لكي لا يتيسر لهم التجمع في مكان واحد والتكتل على أمل العودة إلى مناطقهم التي أبعدوا عنها، وهكذا أبعد الآشوريون أسراهم اليهود من مملكتي إسرائيل ويهوذا إلى المناطق الجبلية المنعزلة في كردستان العراق وتركيا وإيران ضمن حدود الامبراطورية الآشورية، وأحلوا محلهم أقواما من أنحاء الامبراطورية حتى خفيت أخبارهم عن اليهود في فلسطين، وفي العراق اعتبروا بحكم المفقودين، لذلك سماهم

الباحثون (الأسباط العشرة المفقودة) لأن مملكة إسرائيل التي قضى عليها الآشوريون كانت تتألف من عشرة أسباط. وقد كون هؤلاء المسبيون قرى بين السكان الأكراد وفي المناطق العراقية الأخرى.

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن هؤلاء اليهود المسبيين لا يزالون رغم مرور حوالى ٢٨٠٠ سنة على نفيهم إلى كردستان يتكلمون فيما بينهم بلغتهم الأصلية -اللهجة الآرامية العربية القديمة[٢٥]- وفضلاً عن ذلك فهم لا يزالون متمسكين بدياناتهم الأصلية... وقد أفلح الصهاينة في تهجير كل اليهود الأكراد من العراق إلى إسرائيل.. ويؤيد الباحثون نقلاً عن هؤلاء اليهود الأكراد بأنهم أحفاد اليهود الذين سباهم الآشوريون ونقلوهم إلى منطقة كردستان، وقد أيد ذلك بنيامين التطيلي الذي زار هذه المنطقة في القرن الثاني عشر الميلادي، فقال في رحلته عن العمادية[٢٦]:

"يقيم بها خمسة وعشرون ألف يهودي وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان[٢٧] عند تخوم بلاد ماري، ويهودها من بقايا الجالية الأولى التي أسرها شلمنصر ملك أشور، ويتفاهمون بلسان الترجوم[٢٨]، وبينهم عدد من كبار العلماء، والعمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم، ويؤدي يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الإسلامية". وفي كلام بنيامين عن نهاوند، وهي بلدة تبعد أربعين ميلاً عن همذان يقول: "وأرض نهاوند تبعد مسيرة خمسة أيام عن العمادية، تسكنها طائفة لا تؤمن بدين الإسلام. يعتصم أتباعها بالجبال المنيعة ويطيعون شيخ الحشاشين[٢٩]، ويقيم بين ظهرانيهم نحو أربعة آلاف يهودي يسكنون الجبال مثلهم، ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وهم أشداء لا يقدر أحد على قتالهم، وبينهم العلماء التابعين لنفوذ رأس الجال ببغداد"[٣٠].

وقد توصل د. جرانت الطبيب والمبشر الأمريكي الذي قضى عدة سنوات في منطقة كردستان وتجول في أحيائها التركية والعراقية والإيرانية، إلى أن أكثرية يهود كردستان هم من أحفاد السبايا الآشوريين، وأنهم أخذوا بتعاليم المسيح بعد ظهوره، وصاروا يعرفون بالنساطرة نسبة إلى نسطور أو التيارية بالنسبة لتسميتهم القبائلية. والدكتور جرانت هذا، حل بين النساطرة على رأس بعثة أوفدها مجلس البعثات التبشيرية البروتستانتية سنة ١٨٣٥م وبحكم مهنته كطبيب كان يسهل عليه التوغل بين المسيحيين والأكراد في تلك المناطق الجبلية الصعبة والمحفوفة بالمخاطر. واتخذ دكتور جرانت أورمية مركز لعمله وتعلم لغة النساطرة (الآرامية السريانية)... وأيضا تعلم الكردية.. وقد قضى دكتور جرانت ست سنوات في منطقة كردستان.. وبعد دراسة عميقة لهؤلاء النساطرة وتقاليدهم وطقوسهم الدينية واتصالاته بشخصياتهم الدينية والقبائلية، وبخاصة اتصاله ببطريكهم الأكبر الذي كان مقره بلدة (جولامرك) الواقعة قرب منبع خابور دجلة، توصل إلى أن النساطرة القاطنين في كردستان هم أحفاد الأسباط العشرة المفقودة، الذين سبأهم الآشوريين وأبعدوهم إلى مناطق أشور النائية، وهي المناطق التي ورد ذكرها في التوارة، أي حلح وخابور ونهر جوزان ومدن مادي (٢مل١٧: ٦، ١٨: ١١)، وتتوسط هذه المناطق التي تشمل مساكن أكراد العراق وإيران وتركيا مدينة نصيبين. وقد كانوا على رأي جرانت يهوداً عندما نفاهم الآشوريين إلى هذه المناطق الجبلية النائية، ثم لما ظهر السيد المسيح بعد حوالي سبعة قرون اتخذوا تعاليمه ديناً لهم، وذلك نتيجة البعثات المسيحية التي أوفدها الحواريون

أتباع المسيح إلى هذه المناطق للتبشير بتعاليم الدين المسيحي الجديد بينهم، وكان ذلك بعد وفاة المسيح بقليل، مما يدل على أن الحواريين كانوا على علم بوجود الأسباط العشرة في تلك المناطق، وكانوا على اتصال مسبق بهم.

وقد حافظ هؤلاء اليهود المتنصرون على تقاليدهم وعاداتهم القديمة، التي هي نفس تقاليد وطقوس وعادات ولغة اليهود القاطنين في تلك المناطق، وهم قلة بينهم لم يتنصروا، حتى أنه من الصعب التمييز بين النساطرة، وبين اليهود المجاورين لهم في المنطقة.

كما يذهب د. جرانت إلى أن القبائل اليزيدية [٣١] القاطنة في كردستان، هم كالنساطرة من أحفاد الأسباط العشرة اليهودية" [٣٢].

ويذكر د. جرانت أنه شاهد مخطوطا بالسريانية[٣٣] لدى المار شمعون الرئيس الروحي للنساطرة يرجع إلى ما قبل أكثر من سبعمائة سنة يؤيد كون النساطرة أحفاد الأسباط العشرة.

وقد أورد د. جرانت أدلة كثيرة لدعم ما توصل إليه بخصوص أصل المسيحيين النساطرة في كتاب نشره بالإنجليزية تحت عنوان "النساطرة أو الأسباط المفقودة" وطبع هذا الكتاب في نيويورك سنة ١٨٤١م، ثم ترجم إلى الفرنسية، وطبعت الترجمة في باريس سنة ١٨٤٣م.

A. Grant, " The Nestoroans or the lost Tribes " N.y.,1841.

ويرى د. نيوزنر صاحب كتاب "تاريخ اليهود في بابل" أن الأدلة التي أوردها د. جرانت، في دعم الرأي القائل بأن النساطرة هم في الأصل من اليهود الذين نفاهم الآشوريون إلى منطقة كردستان، ثم تنصروا بعد ظهور المسيح تقيم حجة قوية مقنعة لتقبل هذه النظرية".

Neusner, " The Jews in Babylonia, 111,p354" [٣٤]

* إذا كان لا بد أن يذهب المسيح إلى هذه المناطق حتى يبشر خراف إسرائيل الضالة (الأسباط العشرة) الموجودة في هذه المنطقة، فلماذا لم يذهب إلى المناطق الأخرى التي تواجد فيها أيضاً بعض خراف إسرائيل الضالة؟ وإليك أمثلة لهذه المناطق:

١ – مستوطنة "جزيرة الفيلة" اليهودية في مصر* :

"وقد عثر في مصر على وثائق نشرت بين سنتي ١٩٠١ – ١٩١١م تشير إلى أنه كانت هناك مستوطنة يهودية على هيئة حامية عسكرية يُسمى زعيمها وكاهنها الأعلى بيدونيا yedonin كانت قد أنشئت على الحدود الجنوبية المصرية مقابل أسوان على جزيرة في النيل سُميت باليونانية "اليفانتين" للتعبير عن اسمها المصري القديم "يب" ومعناها مدينة الفيلة، وتعود هذه الوثائق التي كتبت بالآرامية إلى القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه المستوطنة اليهودية القديمة وأسباب وجودها في تلك الأزمنة، فيرى أويسترلى oesterly أن أشور بانيبال (٦٦٩–٦٢٦ ق.م) عندما قام بحملته على مصر جند جيشاً من الأسباط

---

* جاء في دائرة المعارف الكتابية "اكتشفت أخيراً برديات بمعبد فيلة بمصر العليا، تعطينا صورة قوية عن اليهود في الشتات، ويظهر لنا من هذه البردية أنه في القرن السادس قبل الميلاد، لم تكن هناك في هذا المكان مستعمرة يهودية كبيرة ومزدهرة فحسب، بل أنهم قد أقاموا في هذا المكان هيكلاً جميلاً ليهوه قدموا فيه ذبائحهم التي كانوا قد اعتادوا تقديمها وهم في بلادهم. وفي رسالة آرامية –ما زالت محفوظة- يعود تاريخها إلى سنة ٤١١ق. م وكانت موجهة إلى الوالي "باجوهي" في اليهودية يشتكي هؤلاء اليهود من أن هيكلهم في "يائيب" (فيلة بجوار أسوان) قد دمر في تلك السنة نفسها، كما تذكر هذه الرسالة أن هذا الهيكل قد استبقاه قمبيز عندما كان في مصر من سنة ٥٢٥–٥٢١ق.م. كما جاء في رد "باجوهي" –مازال محفوظاً أيضاً– أنه يريد أن يعاد بناء الهيكل". دائرة المعارف الكتابية. مجلد ١. ص٢٥٢.

العشرة التي سبأها الأشوريون إلى العراق وإلى ميديا وأسس منهم حامية للحدود الجنوبية لمصر بعد انفصال الحبشة عنها.

في حين يرى سبنر M. S. Spinner أن أصل الحامية هم من اليهود الذين سبأهم الآشوريون إلى طوروس، وقد ذكر أن منسى ملك يهوذا (٦٨٦-٦٤١ق.م) قد مدَّ أشور بانيبال في حملته على مصر بالرجال.. ويستدل مما تنطوي عليه وثائق اليفانتين أن رجال الحامية اليهودية كانوا يتكلمون الآرامية، وهي نفس اللغة التي كانوا يتكلمونها في فلسطين، وكان لهم هيكل لإلههم (يهوه) * [٣٥]

٢ – في عهد الامبراطورية الفارسية، قاسى اليهود كثيراً في عهد أرتحشستا الثالث عندما اشتركوا في تمرد مع الفينيقيين والقبارصة، وقد نفى الكثيرون من اليهود في ذلك الوقت –إلى هرنيكا على الساحل الجنوبي لبحر قزوين[٣٦]

٣ – يهود المغرب (شمال أفريقيا) حيث يدّعي اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون البربرية أن أجدادهم تركوا فلسطين... بل هناك من يرى أنه من المحتمل أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين [٣٧]

٤ – الفلاشا (يهود الحبشة) والذين تم ترحيل معظمهم إلى إسرائيل.

٥ – الاسكندرية وسواحل البحر الأسود.

في أثناء الدولة الرومانية قاوم بعض اليهود في فلسطين الصبغة الهللينية بعنف وقاموا بالثورة المكابية في القرن الثاني قبل الميلاد، والكثيرين منهم انتشروا انتشاراً واسعاً بعيد المدى في كل العالم البيزنطي.

ففي مصر قُدر أن ثلث سكان الإسكندرية البطليمية* كان من اليهود وعدا هذا فقد وُجد اليهود في سوريا وأسيا الصغرى من قبل بدرجة أو

---

* "ويرى البعض الآخر أن عدد اليهود حوالي ١٠٠ ألف يهودي، أي ما يقدر بثمن تعداد المدينة". العهد القديم كما عرفته كنيسة الاسكندرية. ترجمة وإعداد رهبان القديس أنبا مقار. سنة ١٩٩٤م. ص٢٥.

بأخرى، وعدا هذا وذلك، كان ثمة مركزان رئيسيان لتركز اليهود: البلقان، وسواحل البحر الأسود الشمالية، وكل يسبق العصر المسيحي بوقت طويل، وربما أرسل يهود البلقان منذ ذلك الحين عناصر منهم إلى جنوب روسيا وخاصة كييف حيث كانت المنطقة خاضعة بشدة للمؤثرات البيزنطية. أما مركز ساحل البحر الأسود فكان يقطنه القرم حيث ذهب كثير من اليهود مع الأغريق بعد الاسكندر" (٣٨)

فلماذا لم يذهب المسيح إلى أسوان ليبشر اليهود ولا سيما وأن الآراء تجمع أنهم من بقايا اليهود الذين سبأهم الأشوريين؟

ولماذا لم يذهب المسيح إلى هرنيكا على الساحل الجنوبي لبحر قزوين حيث اليهود الذين نفاهم أرتحشستا الثالث الفارسي؟ اليسوا هم أيضاً يهود ضالين؟ ولماذا لم يذهب المسيح إلى المغرب أو الاسكندرية حيث وجُد أيضاً يهود ضالين هناك؟

إن انتشار المسيحية في أي مكان لا يحتم ذهاب المسيح شخصياً إلى هناك، بل ربما انتشرت بواسطة تلاميذه في القرن الأول الميلادي أو في القرون التالية بواسطة أتباعه.

*** انتشار المسيحية في وسط آسيا**

نحن هنا لسنا بصدد تقديم دراسة تاريخية تفصيلية حول انتشار المسيحية في آسيا. ولكن سوف نقدم دراسة مختصرة وفيها نركز على الأماكن التي قال المؤلف بأن المسيح قد ذهب إليها ليبشر خراف إسرائيل الضالة.

كتب الدكتور عزت زكي: ترى كيف دخلت المسيحية إلى تلك البلاد؟

هناك دائرتان نستقي منهما معرفتنا في هذا المجال، دائرة التقاليد ودائرة التاريخ. وحيثما يخفق التاريخ في أن يتحدث إلينا بسبب غموض القدم، تتقدم التقاليد لسد الفراغ.

والتقاليد... تقرن المسيحية السريانية بالعصر الرسولي. بل إن البعض منها يؤكد أن تقديم البشارة لآسيا قد حدث أثناء حياة المسيح. وهي تقدم لنا لتأكيد هذه الغاية قصصاً ثلاث:

١ – القصة الأولى:

تدور حول زيارة المجوس الثلاثة للطفل يسوع

يؤكد النساطرة ما دام المجوس قد عرفوا السريانية الآرامية وتخاطبوا بها مع يهود أورشليم، فلا بد وأنهم أتوا من مملكة أوري أو مملكة أديسا نفسها، وهي التي احتفظت وحدها بالسريانية كلغة رسمية لها وسط عدد من اللغات التي سيطرت على الدول... بل لقد قيل أيضاً إن قصة المسيحية تجد جذورها هناك قبل ولادة المسيح بسبعة قرون كاملة، حيث أشرقت على زرادشت[٣٩] في الكهف الذي اعتزل فيه، تلك النواميس والمبادئ الأخلاقية التي وجدت كمالها في المسيحية، وهناك أيضاً أعلنت له الرؤيا والنبوات عن ذلك الطفل السري العجيب (الكلمة الذي به خُلقت السموات)، وبهذا النبوة تحدث إلى أتباعه طالباً منهم (يتبعوا نجمه) واستناداً على ذلك ظلت هواية المجوس مراقبة النجوم، وحسابها خلال الأجيال الطويلة، حتى عثروا أخيراً على نجمه واتجهوا لتقديم التعبد له..

٢ – القصة الثانية:

تدور حول الملك الأبجر الخامس ملك أديسا الذي يقال إنه تبادل رسائل مع السيد المسيح، ومع أن القصة لا تستند إلى دليل تاريخي قاطع، إلا أنها وجدت طريقها إلى الأدب المسيحي السحيق في القدم، واحتلت مكانتها على صفحاته.

وتقول القصة: إن الأبجر الخامس، أرسل سفارة إلى سابينوس الحاكم الروماني في فلسطين، بسبب بعض الأمور السياسية، وكانت السفارة مكونة من المدعو مارياب وشمشجرلم، مع كاتب يدعى حنان الكاتب. وفي

طريق عودتها مرت تلك البعثة بمدينة أورشليم، وعلمت أن نبيا جديدا قد ظهر، وعلى يديه نال العديدون من المرضى الشفاء من أمراضهم المتعددة. أما الأبجر فقد كان مصابا بداء البرص، وهكذا نقل إليه وزراؤه البشارة الطيبة، ولقد كان ممكنا أن يذهب الملك بنفسه إلى المسيح لينال على يديه الشفاء، لولا أنه ما كان يستطيع أن يخترق الحدود الرومانية الكائنة بين أورشليم وأديسا. وهكذا أرسل بيد حنان رسالة إلى يسوع يدعوه فيها بالحضور إلى بلاده لشفائه، والمناداة بالدين الجديد بين شعبه.

أما تلك الرسالة، ورد المسيح عليها، فقد أثبتهما يوسابيوس القيصري (أسقف قيصرية الذي عاش في القرن الرابع الميلادي) في تاريخه الكنسي باللغة اليونانية. ووردت أيضا بالسريانية في مؤلف لكاتب غير معروف بعنوان: "عقائد عداى" عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي. واشتهرت تلك الرسالة مع رد المسيح عليها في القرون المسيحية الأولى، حتى أننا نجد لها ترجمات إلى اللاتينية والآرامية، وكذلك العربية التي نجدها ضمن المخطوطات التاريخية التي اكتشفت في دير سانت كاترين وكلها مطابقة لما أورد يوسابيوس.

تقول رسالة الأبجر :

من الأبجر أوكهام الملك إلى يسوع المخلص الصالح الذي ظهر في نواحي أورشليم

تحياتي

لقد سمعت عنك، وعن معجزات الشفاء التي تصنعها، كيف أنك تقوم بها دون استعانة بالعقاقير أو الأعشاب، كما سمعت عنك، أنك تجعل الأعمى ينال البصر، والأعرج يمشي مستقيما، والأبرص ينال التطهير، أما الأرواح النجسة والشياطين، فلك السلطان عليها حتى أنك تستطيع أن

تأمرها فتخرج. ولقد سمعت أيضاً أنك تبرئ من الأمراض المستعصية، بل وتقيم الموتى أيضاً، وحينما عرفت عنك كل هذه الأمور، قررت في نفسي أحد أمرين: أما أنك الله نزل من السماء، ليقوم بهذه المعجزات، أو أنك ابن الله، وهذه المعجزات تؤيد بنوتك. ولذلك فإنني أتوسل إليك أن تسرع بالمجيء إليّ لشفائي من مرضي العضال. بل لقد عرفت أيضاً أن اليهود يسخرون منك، ويدبرون ضدك المؤامرات. وأني أقول لك إن بلدي رغم صغره ووضاعته، سوف يكون المكان اللائق بنا كلينا.."

وهذا هو جواب يسوع. إلى الأبجر الملك، مرسلاً بيد رجل البلاط حنان.. " طوباك أنت، يا من آمنت بي دون أن تراني، لأنه مكتوب عني كثيرون يرونني ولا يؤمنون بي، وكثيرون لا يرونني، ويؤمنون بي وينالون الحياة. أما بخصوص مجيئي إليك فإني أقول لك إنني ينبغي أن أتمم أولاً الغرض الذي أرسلت من أجله، وبعد أن أتممه أعود للآب الذي أرسلني، وحينما أصعد للآب، سوف أرسل لك واحد من تلاميذي لتنال الشفاء على يديه، من كل أوصابك. ويهبك الحياة أنت ومن معك".

ويؤيد كتاب (عقائد عداي) "أنه بعد صلب المسيح وقيامته وصعوده، أتم الرب وعده، فأرسل من التلاميذ واحد.. يدعى تداوس أو عداي إلى أديسا. وهناك استقر به المقام لدى واحد من أهل جنسه.. قبل أن يذهب للملك ويتراءى له ويشفيه من برصه. وبعد ذلك اعتنق الملك المسيحية، واعتمد هو وكل شعبه".

وهذه القصة تدعو إلى الشك[٤٠] بسبب بعض الأدلة والمتناقضات التاريخية.. ومن لغة الرسالة التي رد بها يسوع، نستطيع أن نكتشف أنها لا تشبه لغة الأناجيل، بل هي أقرب ما تكون إلى لغة الدياطسرون أو الرباعي الذي صنعه ططيانوس في منتصف القرن الثاني. لذلك فمن المرجح أن تاريخ كتابة هذه الرسائل يرجع إلى القرن الثالث، ولا يمكن أن يكون قبل هذا"[٤١]

٣ - أما التقليد الثالث: فمصدره ما يدعى "بأعمال توما"[٤٢]

وهو كتاب أبو كريفي ينسب إلى شخص نسطوري يدعى برديسانس (١٥٤-٢٢٢م) يدعي فيه أن توما قد جاء إلى الهند. ولقد قامت مدرستان حول هذا التقليد، المدرسة الأولى رفضت القصة بأكملها، كتقليد لا سند تاريخي له...، أما المدرسة الحديثة، فمع أنها رفضت الأقاصيص التي نسجت حول تبشير توما في جنوب الهند، إلا أنها لم ترفض إمكانية بشارته هناك، خاصة وأن كنيسة (مالابار)، ترتبط باسمه منذ زمن سحيق، أما الصلة بين ربوع الهند وبين الرومان، فقد كانت قائمة منذ العصور القديمة، وكانت السفن تبحر إلى هناك لتعود محملة بالافاوية، وحاصلات الهند. كما اكتشفت في الحفريات ما يشير إلى وجود النساطرة والسريان بين الهنود[٤٣]

"ومهما كانت قيمة هذه التقاليد التاريخية، فأنها تشير على الأقل إلى أن جذور الآشورية المسيحية تمتد إلى سحيق القدم، ومع أن قصة الأبجر تفتقد إلى سند تاريخي، إلا أنه من المؤكد الثابت تاريخيا أن الأبجر الثامن (١٧٦ - ٢١٣م) كان مسيحيا، وذلك بشهادة سكستوس أفريكانوس الذي زار بلاط قصره" [٤٤].

أما فتح الرومان لأديسا عام ٢١٦م فقد أنهى حكم الأبجر التاسع، وفتح المجال للاتصال بين المسيحية الأورشليمية والمسيحية الآشورية.

"بدأت الكنيسة بعد أن رسخت عقيدتها، وتأسست لها خلافتها الرسولية وبطريركيتها في ربوع فارس تتطلع إلى الامتداد والاتساع.. إن تطلعات الفرس لفتح جهات جديدة لهم للتوسع وجلها للشرق، قد أفسح المجال أمامهم لحقول جديدة للكرازة، ومجالات جديدة للتبشير. أما الشبكة التجارية القائمة بين بلاد العرب وآسيا والهند والصين، فقد كان لها إسهاما أيضا. هنا أصبح المجال مفتوحاً أمامهم للالتقاء بشعوب وأجناس وأمم للمناداة لهم

بحق الإنجيل.. إن مجهودات النساطرة في وسط آسيا والصين فتضيق الصفحات عن استيعابها، وإذا كان قد قدر للقائد المتعصب تيمورلنك (١٣٩٦ -١٤٠٥م) أن يذبح الألوف المؤلفة من المسيحيين، فأننا نقول إنه لم يستطع أن يمحي المسيحية تماماً من هناك.. على أن أبقى الآثار لمجهودات النساطرة، كان في تبشيرهم بالإنجيل في منطقة الهند الجنوبية، حيث ما زالت كنيسة القديس توما، ذات تأثير وكيان[٤٥]

• ملخص الرد على شهادة الكتب التاريخية التي تثبت ضرورة مجيء المسيح إلى فنجاب:

١ – أن اليهود قد تم سبيهم إلى بلاد ما بين النهرين، ومن هناك هاجروا إلى المناطق المحيطة، أي أن وجودهم لم يقتصر على فنجاب أو كشمير فقط فإذ كان لا بد أن يذهب المسيح إلى هنك، فكان يجب بالأولى أن يبدأ بالعراق.

٢ – عندما يقول المسيح أنه قد جاء إلى خراف بني إسرائيل الضالة فهذا لا يعني اليهود المسبيين. لأن الضلال هنا يعني البعد عن طريق الإيمان الصحيح، وليس البعد المكاني عن أورشليم. إن عبارة خراف بني إسرائيل الضالة هي تشبيه شائع في العهد القديم(أر٥٠: ٦، حز٣٤: ١-١٦بالمقارنة مع إش ٥٣: ٦، وأيضاً ١مل٢٢: ١٧، ٢أخ ١٨: ١٦) وقد جاءت هذه العبارة على لسان المسيح (مت ١٠: ٥-٧، مت١٥: ٢٤).

ومن الواضح أنها تشير إلى إسرائيل ككل وليس إلى مجموعة معينة[٤٦]، وهي تعني اليهود الذين ضلوا عن مسالك الحق والعبادة الروحية، فكانوا كغنم بلا راعي (مت٩: ٣٦)، وعرضة للهلاك الأبدي [٤٧] وقد استعملها الرسول بطرس "لأنكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم" ١بط٢: ٢٥. وهنا يخاطب الرسول بطرس المسيحيين في الدولة الرومانية، وربما كان معظمهم من أصل غير يهودي وبالتالي فالتعبير "خراف ضالة لا راع له" لا يعني يهود الشتات.

٣ – إذا كان وجود اليهود هناك يحتم ذهاب المسيح شخصياً إليهم – حتى لا تظل رسالته عقيمة وقاصرة– فهذا بالضروري يحتم على المسيح الذهاب إلى الأماكن الأخرى التي تشتت فيها اليهود مثل سواحل البحر الأسود، والإسكندرية والمغرب والحبشة وغيرها.

٤ – إن دعوى ذهاب المسيح إلى الهند، لا تقوم على أي سند تاريخي. والادعاء بأنه قد ذهب هناك للتبشير، ادعاء غير صحيح، حيث أنه من المؤكد تاريخياً أن المسيحية، قد عرفت طريقها إلى هناك في أواخر القرن الثاني الميلادي، وليس قبل ذلك –كما أوضحنا– في السرد التاريخي.

٥ – إن الكاتب قد ذكر "نصيبين" وذلك لما كان لها من أهمية، فقد تأسست فيها مدرسة لاهوتية حوالي سنة ٣٢٠م وكانت الدراسة فيها باللغة السريانية، ولكنها لم تعمر طويلاً، واضطرت إلى الانتقال إلى الرها سنة٣٦٣م حينما سُلمت نصيبين للفرس تنفيذاً لشروط الهدنة بعد الحرب التي بدأها يوليانوس. وعندما هاجر النساطرة عبر الحدود الفارسية واقنعوا "فيروز" إمبراطور الفرس بأنهم هجروا الإمبراطورية البيزنطية لسوء المعاملة التي لاقوها. قوبل النساطرة بالترحاب في بلاد فارس وأعاد النساطرة فتح مدرسة نصيبين، فأصبحت مركز الحركة النسطورية . وانتشرت البعثات النسطورية في كل وسط آسيا وجنوبها من ناحية البلاد العربية، والراجح أن المسيحيين الذين كانوا في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام كانوا من النساطرة[٤٨].

وبهذا ينتهي ردنا على كتاب المسيح الناصري في الهند.

الهوامش

١ – المسيح الناصري في الهند. ص١٠٥.

٢ – المرجع السابق. ص١٠٦-١٠٨.

٣ – المرجع السابق. ص١٢١.

لقد أعلن المؤلف عن هدفه من الصفحات الأولى فذكر : "أن المسيح بعد أن خرج من بطن الأرض رحل إلى شعوبه الضالة الحالة بأودية كشمير وتبت من البلاد الشرقية، أي الطوائف العشر من بني إسرائيل اللاتي اتخذها (شالم نصر) ملك أشور أسارى قبل المسيح ب٧٢١ عاماً، وفي نهاية المطاف أنهم هاجروا إلى نواحي الهند وأقاموا ببعض بلدانها، وكان لا بد للمسيح من أن يقوم بهذه الرحلة الطويلة، لأن الله عز وجل كان قد حدد غاية نبوته قائلاً: لا بد أن يلقي الشعوب الضالة من بني إسرائيل التي كانت قد أقامت بمختلف نواحي الهند، وهؤلاء هم الذين كانوا الخراف الضالة من بني إسرائيل الذين كانوا قد ابتعدوا عن دين أجدادهم أيضاً، ومعظمهم كانوا قد اعتنقوا البوذية وتحولوا عنها شيئاً فشيئاً إلى الوثنية.. إن المسيح جاء إلى الهند وقطع عدة مراحل حتى وصل في نهاية المطاف إلى كشمير وعثر على الخراف الضالة من بني إسرائيل في الأمة البوذية، وأن هذه الطوائف آمنت به". المسيح الناصري في الهند. ص١٨-١٩.

٤ – تاريخ الفكر المسيحي.د. الخضري. ص٤١-٤٢.

٥ – العرب واليهود في التاريخ. د. أحمد سوسة. العربـــي للطباعـــة والنشر والتوزيع. دمشق ط ٧. ص٢٠٧-٢١١.

٦ – المرجع السابق. ص٢١٧-٢١٨.

٧ – بول أميل بوتا (١٨٠٢-١٨٧٠) رحالة مشهور وعالم آثار، كـان طبيب محمد علي، وفي عام ١٨٣٣ عُين قنصلاً لفرنسا بالإسكندرية. ثـــم بالموصل بالعراق عام ١٨٤٠، وقام بالتنقيب في تل النبـــي يونــس (تــل كويونجيك)، ثم في تل حورس أباد واكتشف قلعة ومعبد ســرجون الثــاني ملك أشور، ثم نُقل بوتا إلى طرابلس الغرب سنة ١٨٤٨م. ولمزيـــد مــن الدراسة حول الاكتشافات الأثرية التي تتعلق بالدولتين الآشورية والبابليـــة انظر (الأمم السامية. مصادر تاريخها وحضارتها. حـــامد عبــد القــادر. مراجعة وتعليق د. عوني عبد الـــرءوف. دار نهضـــة مصـــر. القــاهرة ١٩٨١م. ص ٥-٢٣).

٨ – زنجرلي هي عاصمة مملكة سمأل وهي الآن قرية في ســـوريا. قريبة من عنتاب شمالي حلب.(تاريخ الأدب الســرياني. د. مــراد كــامل وآخرون دار الثقافة للطباعة والنشر. ١٩٧٩م . القاهرة ص١٥).

٩ – العرب واليهود في التاريخ. ص ٦٣٩-٦٤٥.

١٠ – العرب واليهود في التاريخ. ص٦٣٩-٩٤٧، ٦٦٣-٦٦٥.

١١– تاريخ الفكر المسيحي. د. حنا جرجس الخضري. مجلد ١ص ٤٨.

١٢– اليهود. د.جمال حمدان. مكتبة الأسرة. سنة ١٩٩٨م. ص٦٩.

١٣ – جورج سميث (١٨٤٠-١٨٧٦م) عالم آشوريات إنجليزي، قام بالتنقيب في نينوى، واكتشف لوحات كتب عليها قصة الطوفـان، وتــاريخ الأسر البابلية وأيضاً بقايا مكتبة أشور بانيبال. وتوفي في حلب وهو فـــي طريقه إلى نينوى. الأمم السامية. ص ١٧.

١٤ – دائرة المعارف الكتابية. مجلد ٢. ص ٤٦.

١٥ – المرجع السابق. ص ٤٧.

١٦ – دائرة المعارف الكتابية. مجلد ١. ص ٢٥٢-٢٥٣.

١٧ – الماضي الحي. د. ايفارليستر ترجمة شاكر إبراهيم سعيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٨١م. القاهرة. ص ١٤٤.

١٨ – تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. د. فيليب حتى. ترجمة د. جورج حداد، عبد الكريم رامق، دار الثقافة. بيروت. ١٩٨٢م. ص٢١٣-٢١٤.

١٩ – اليهود. د.جمال حمدان ص٧٠.

٢٠ – كنائس المشرق. د. عزت ذكي. دار الثقافة. سنة ١٩٩١م. ص١٠٢.

٢١ – المرجع السابق. ص١٠٤-١٠٥.

٢٢ – المرجع السابق. ص١١٩.

٢٣ – أربل: بلدة على بعد ٦كم تقريباً جنوب شرق مدينة الموصل وإرْبل باللغة الدارجة أربيل، وهي "أربه إيلو" المذكورة في النقوش البابلية الأشورية المكتوبة بالخط المسماري، وقديماً كانت تسمى "أربليتس" أو "أديابين " (حَدَيّب عند أهل الشام) وبدأت من مدينة إربل بنوع خاص تتصير أقليم أديابين والأقاليم المجاورة، فقد أسس بها أسقف كرسيه منذ عصر متقدم جداً، ولم تشمل هذه الأسقفية أول الأمر إلا الأقليم المحصور بين الزابين (اسم نهرين)، ومن ثم أطلق عليها أهل الشام اسم أسقفية حَدَيّب أو أسقفية أربل أو حَزَّة (قرية بقرب أربل) باعتبار أن هاتين المدينتين هما مقر الأسقفية. وفي بداية القرن الخامس للميلاد صارت إربل بطريركية تخضع لها أشور برمتها.

وهناك مصنف يتعرض لأهمية أربل في تاريخ بلاد الشام الديني قبل الإسلام صنفه كنسي من أسقفية إربل ونشره منجانا A. Mingana في (Sources Syriaques جـ١ سنة ١٩٠٨م) ويتناول هذا المصنف تاريخ أساقفة وشهداء هذه الأسقفية في العهد ما بين عامي ١٠٠ و ٥٤٠م. دائرة المعارف الإسلامية طبعة دار الشعب. مجلد ٢ص ٥١٦-٥٢٤.

٢٤ - العرب واليهود في التاريخ. ص٦٥٨ -٥١٩.، وانظر أيضا "تاريخ الأدب السرياني" ص٦٢ -٦٣.

٢٥ - لما استولى البابليون على مملكة دمشق في القرن الثامن قبل الميلاد، نقلوا إلى بلادهم عدد كبير من مهرة الآراميين للاستعانة بهم، وقد استقر الآراميون في مملكة بابل ونشروا لغتهم حتى غلبت على اللغة البابلية والآشورية. وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد تم للفرس الاستيلاء على الشرق.. وكانت اللغة الآرامية شائعة في الشرق كله، وقد تبع انتشار الآرامية واتصال أصحابها بغيرهم من الأقوام أن تولدت لهجات عدة يمكن أن نميز بينها تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والدين والحضارة وقد اختلفت الآراء في تقسيم اللهجات الآرامية. "تاريخ الأدب السرياني". ص١٢-٢٣، ولمزيد من الدراسة حول اللغة الآرامية ارجع إلى "فقه اللغة". د. على عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر القاهرة. ص٥٦-٧١.

٢٦- العمادية قلعة شهيرة في شمال العراق تبعد نحو ١٦٨ كيلو متراً عن الموصل، كانت تُسمى في العصر الآشوري آمات (Amat). ويروي ياقوت أنها كانت حصناً للأكراد يُدعى أشب، وبعد خرابه عمره عماد الدين زنكي وسماه باسمه.

٢٧- خفتيان حبتون أو هفتون، من جبال كردستان. جاء في معجم البلدان لياقوت: حبتون جبل بنواحي الموصل، وهفتون بلدة صغيرة من

نواحي أربيل تنزلها القوافل لمن يريد أذربيجان، وخفتيان قلعتان عظيمتان من أعمال أربيل، أحدهما على طريق مراغة يقال لها خفتيان الزرزاري، والآخرى خفتيان سرحان ابن بدر.

٢٨ – ترجوم اسم يطلق على عدد من الترجمات التفسيرية القديمة لأجزاء من العهد القديم إلى اللغة الآرامية، وكلمة ترجوم، كلمة آرامية تعني ترجمة. "دائرة المعارف الكتابية مجلد ٢. ص٢٤٦".

وربما يقصد (اللهجة الآرامية اليهودية البابلية) وكان يستعملها يهود العراق الذين يسكنون في بابل وما حولها، وقد بقي لنا منها التلمود البابلي وشرح الكتاب المقدس الذي ألف في مدارس اليهود في بابل فيما بين القرنين الرابع والسادس الميلادي، ويعرف بالجمارا (تاريخ الأدب السرياني. ص ٢١).

٢٩ – الحشاشين: طائفة إسماعيلية، وهم أعظم جمعية سرية ثورية عرفها الإسلام، لبثت زهاء قرن ونصف رعب الدول الإسلامية من فارس إلى الشام، واستطاعت أن تحشد جموع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض السياسة، واعتمدت في مخاصمة خصومها على الاغتيال الخفي، والذي نظمها ووضع برنامجها الحسن بن علي، المعروف بالصباح، وهو فارسي من خراسان، التحق بخدمة السلطان ملك شاه، ثم اغتال وزيره وهرب إلى مصر ونزل في ضيافة الخليفة المستنصر الفاطمي، واتصل بأساتذة دار الحكمة –التي أنشأها الحاكم بأمر الله لبث الدعوة الشيعية– وتفقه في تعاليمهم، ثم عاد إلى الشام واستقر حينا بحلب ينظم طائفته الجديدة، وطاف بالجزيرة وبغداد وجنوب فارس يبث تعاليمه ويدعو بإمامة إسماعيل وبنيه من آل البيت. ثم عاد إلى خرسان واستولى على قلعة ألموت وحصنها واتخذها قاعدة للإغارة على ما يجاورها من الأنحاء، وتسمى بالرئيس أو "شيخ الجبل، ثم استولى على كثير من القلاع، وعاثوا في البلاد قتلا وسلبا ونهبا.

وتوفي الحسن سنة ١١٢٤م بعد أن حكم الإسماعيلية خمساً وثلاثين سنة. وترجع تسميتهم بـ "الحشاشين" فيما يرجح إلى أن الدعاة الباطنيين كانوا يأكلون أوراق شجرة الحشيش المخدرة.

وقد قضى عليهم هولاكو سنة ١٢٥٢م في بغداد وخراسان، وسحقهم في الشام فارس الظاهر ملك مصر، وبذلك زالت دولتهم."

"تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة. محمد عبد الله عنان. مؤسسة مختار للنشر والتوزيع. القاهرة سنة ١٩٩١. ص٤٤ -٥٤.

وانظر أيضاً الجمعيات السرية بين الأمس واليوم. أركون دارول. ترجمة آسيا الطريحي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ط ١ سنة ١٩٩٤م. ص ١١-٣٦.

٣٠ - رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة عزرا حداد. ص١٥٣-١٥٤.

٣١ - لمزيد من الدراسة حول اليزيدية ارجع إلى كتاب "اليزيدية بقايا دين قديم" جورج حبيب. دار بتر للطباعة والنشر. ط٣. دمشق.

٣٢ - العرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة. ص٦٤٩-٦٥٥.

٣٣ - السريانية: هي اللهجة الآرامية التي كان موطنها ما بين النهرين في الإقليم الذي كانت عاصمة مدينة الرُها أو أرفة كما كان العرب يسمونها، وهي التي يعرفها الفرنجة باسم Idssa (إدسا)، وكانت تحكمها في العصر السابق لظهور المسيحية أسرة عربية، فلما ظهرت المسيحية وانتشرت في هذا الإقليم، واتخذت لغته لغة أدبية لها كره أصحابها أن يطلق عليهم اسم الآراميين، وأن يطلق على لغتهم اسم اللغة الآرامية، ورأوا في هذه التسمية مرادفاً للوثنية والإلحاد، فعدلوا عنه إلى الاسم الذي أطلقه عليهم اليونان وهو "السريان" وسموا لغتهم بالسريانية، تاريخ الأدب

السرياني. ص٢٢-٢٣. وانظر أيضاً مجلة مجمع اللغة السريانية. مجلد ١ سنة ١٩٧٥م، ومجلد ٢ سنة ١٩٧٦ م. بغداد).

٣٤ - العرب واليهود في التاريخ. ص٦٥٥-٦٦٠.

٣٥ - العرب واليهود في التاريخ. ص٦٦١-٦٦٢، وانظر أيضاً "تاريخ الأدب السرياني" ص٤٩.

٣٦ - دائرة المعارف الكتابية. مجلد ١. ص٢٥٣.

٣٧ - اليهود. جمال حمدان. ص٧.

٣٨ - المرجع السابق. ص٧٣.

٣٩ - زرادشت: قيل أن زارادشت أو زوآستر، قد مارس نشاطه في شمال شرق إيران. ويؤرخ له من الناحية التقليدية بـ ٦٢٨-٥٥١ق.م والواقع أنه ربما عاش في فترة مبكرة عن ذلك التاريخ، ونحن لا نعرف عن تفاصيل حياته إلا أقل القليل، تزوج وأنجب بنتا وولدين. وتقول وثائق التراث إنه قتل في سن السبعين. وصلتنا تعاليم زرادشت في سبع عشر ترنيمة من ترانيمه المسماة جاثا (Gathas). الكتاب المقدس عند الزرادشتين هو الابستاق (Avesta) وليس من المرجح أن يكون قد تم تدوينه قبل القرن الخامس الميلادي، لكن جزء من مادة هذا الكتاب يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ بفترة طويلة. (المعتقدات الدينية لدى الشعوب المشرف على التحرير جفرى بارندر. ترجمة د. إمام عبد الفتاح بدوي. عالم المعرفة. الكويت. مايو ١٩٩٣م. ص١١٦-١١٩). تتضمن بعض النصوص المسيحية في القرن الخامس وجود أسطورة (مترا)، تتنبأ بظهور نجم يقود المجوس إلى المكان الذي يولد فيه المخلص. (المرجع السابق ص١٢٦).

لدراسة أناشيد زرادشت ارجع إلى: ترانيم زرادشت، اختيار د. فيليب عطية. الألف كتاب الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

٤٠- لا يمكن اعتبار قصة أبجر وثيقة تاريخية لدخول المسيحية في الرها، فالقصة وإن اشتملت على بعض الحقائق التاريخية، فإن هذه الحقائق قد وقعت في زمن متأخر عن العصر الذي يراد نسبة القصة إليه. (تاريخ الأدب السرياني. ص٦٦).

٤١- كنائس المشرق. ص١٢٠-١٢٤.

٤٢- أعمال توما: توجد هذه الأعمال كاملة، والأرجح أنها كتبت أصلاً بالسريانية، ثم ترجمت بعد ذلك لليونانية مع أجراء تعديلات فيها لتناسب وجهة النظر الكاثوليكية، والنسخة اليونانية تنقسم إلى ثلاثة عشر قسماً وتنتهي باستشهاد توما، وهي في شكل أدب الرحلات، وكان الهدف الرئيسي منه إظهار أن الامتناع عن العلاقات الجنسية شرط حتمي للخلاص. وواضح أن هذه الأعمال نبتت في الدوائر الغنوسية واحتضنتها دوائر الهرطقة ولسنا في حاجة إلى القول بأن أعمال توما وهي رواية خيالية هادفة وليست مصدراً تاريخياً لأي معلومات عن توما، وإن كان المؤلف قد استخدم أسماء أشخاص تاريخيين.. ومن المشكوك فيه كثيراً ما تحتفظ به هذه الأعمال من أن توما قد عمل في الهند، فأقدم التقاليد التي نعرفها تقول إن دائرة عمله كانت بارثيان. والتقاليد السريانية تقرر أنه مات في أديسا حيث كرست كنيسة على اسمه في القرن الرابع. كما أن أسطورة أبجر تربط بين توما وأديسا حيث تقول إن تاديوس الذي أسس كنيسة أديسا كان مرسلاً من قبل توما. وفي أعمال توما نجد مجموعة من التقاليد عن الهند وأديسا، وأنه بعد موت الرسول بمدة حملت عظامه إلى مناطق الغرب" دائرة المعارف الكتابية. مجلد١ ص٥١-٥١، وانظر أيضاً:

New Testament Apocrypha,English Translation, edited by R. M. Wilson. vol., 2.PP322-411(The Acts of Thomas)

٤٣ – كنائس المشرق. ص١٤٤.

٤٤ – إن انتشار المسيحية في الرها في النصف الأخير من القرن الثاني أمر مرجح، إلا أن الأدلة المادية على وجودها متأخرة نوعا ما. فقد وجد على نقود أبجر المعاصر للإمبراطور كوفودوس (١٨٠–١٩٢م) وهو أبجر سويروس، صليب عوضا عن الشارة القديمة وهي الهلال والنجمة. وأول إشارة إلى وجود كنيسة في الرها كانت سنة ٢٠١م وأول مرة ذكر فيها اسم أسقف لمدينة الرها كان في سنة ٣١٣م. "تاريخ الأدب السرياني. ص٣٥–٣٦".

٤٥ – كنائس المشرق. ص١٢٤،١٢٩، ١٣٠.

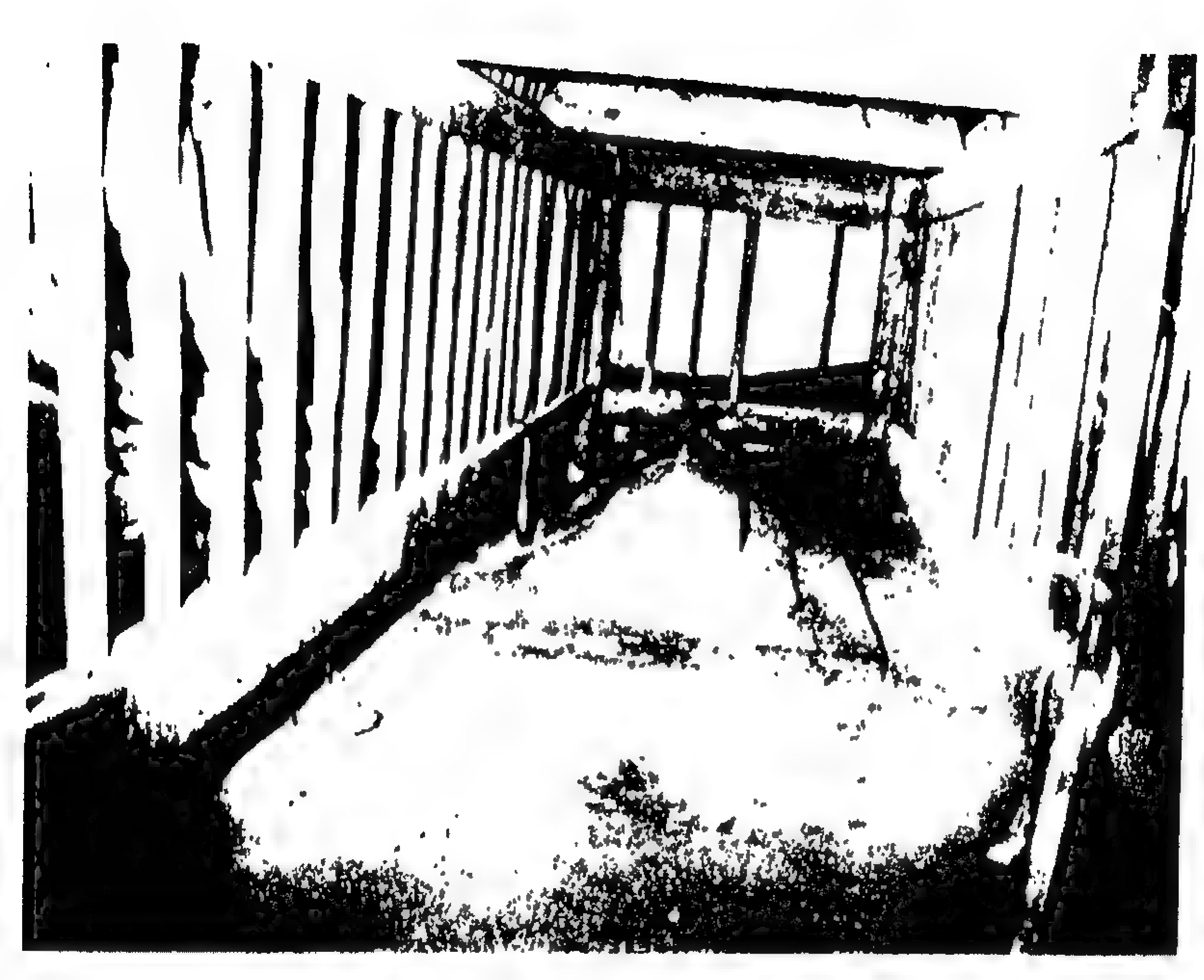
٤٦ – التفسير الحديث (متى). ر.ت. فرانس. تعريب أديبة شكري. ص١٩٣.

٤٧ – الكنز الجليل جـ١ د. وليم إدي. ص١٥١.

٤٨ – تاريخ الأدب السرياني. ص١٢٧–١٢٨. والفكر العربي ومركزه في التاريخ. ص ٢٨–٣٤.



In this building 'Rozabal' (= tomb of the prophet) the burial place of Yuz Asaf (= Jesus) is found in the centre of the old town of Srinagar



The gravestone (sample, so called cenotaph). Below it is the tomb of Yuz Asaph situated.

كتب للمؤلف

١ موت المسيح حقيقة أم افتراء.

٢ موت أم إغماء.

٣ قيامة المسيح حقيقة أم خدعة.

٤ السنوات المجهولة من حياة المسيح.

٥ من هو المصلوب؟

٦ إنجيل برنابا بين المؤيدين والمعارضين.

٧ قبر المسيح في كشمير.

دعوة المسيح هل كانت عنصرية (تحت الطبع).

رقم الإيداع : ١١٨٩٥ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى : X - ٩٦٣٨ - ١٤ - ٩٧٧

مطبعة أوتوبرنت
ت : ٥٨٧١٠٠٢

لقد ادّعت إحدى الفِرقْ أن المسيح لم يمت على الصليب ، وبعد أن فاق من الاغماء فر إلى كشمير ليبشر خراف بني إسرائيل الضالة. وعاش فترة طويلة ، ثم مات ودفن هناك، وقبره عندهم حتى اليوم .

فمن هي هذه الفرقْة ؟ وما مدى صحة دعواها ؟ وما هو موقفها من العقائد المسيحية ؟

في هذا الكتاب نناقش هذه الأسئلة ونوضح الحقيقة .

